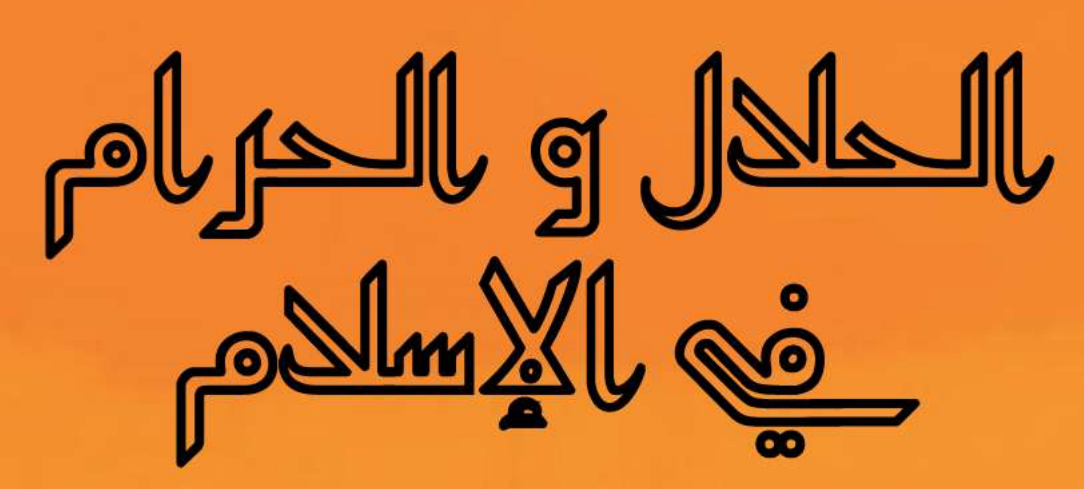


يوسف القرضاوي

الحلال والحرام في الإسلام

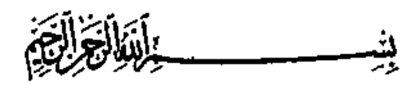
اعداد
سعيد اللحام

منشورات
دار ومكتبة الهلال

الطبعة الثانية
١٩٩٠

الإدارة العامة: دار ومكتبة الهلال بئر العبد - شارع مكرزل

بيروت - ص.ب: ١٥/٥٠٠٣



مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أتم لنا الله به ديننا وأرشدنا سواء السبيل، وسبحان الله نعم المولى ونعيم النصير.

وبعد

هذا كتاب الحلال والحرام في الكتاب والسنة وهو كتاب يجمع ما بين دفتيه نفي للحرام وإيجاب للحلال وتحذير من المتشابه والشبهات التي حذرنا رسول الله ﷺ من الوقوع فيها.

وهو يجمع إلى الطاعات والأوامر الإلهية والسنة النبوية المشرفة وآثار الصحابة الأجلاء فيما يعرض للمسلمين من أمور حياتهم وعلاقاتهم بين بعضهم البعض ومع الآخرين من أهل الكتاب وسواهم.

وفيه تعيين وإيضاح لما أمر الله ورسوله المؤمنين بالقيام به وإدائه.

وإرشاد لاجتناب ما أمر الله ورسوله باجتنابه وما حرّم على المؤمنين والمؤمنات.

وفيه رد على المتهجمين على رسالآت السماء من الدهرية والملحدين.

ورد على دعاة الشرك.

ورد على أعداء الإسلام ومتهميه.

وكان الرد بحمد الله من جنس السلاح، لقد هاجموا الإسلام باسم العلم فرددنا بالعلم والحمد لله.

وهاجموا الإسلام بالشرك باسم الكتب فأوضحنا ما حرفوه فيها وكيف ولماذا ومتى.

وهاجموا الإسلام باسم الحريةوأثبتنا من كتاب الله وسنة نبيه دعوة الحرية ونفي العبودية.

ولقد اخترعوا وساروا فى دروب جديدة من بدع الضلالة فأوضحنا بعون الله عواقبها على من اتبعها، كما تعرضنا للكثير من المسائل في العلاقات بين المسلمين وتعاملهم معاً في أمور الدنيا والدين والزواج والطلاق وكثير من الأبواب الأخرى.

والله الموفق

الناشر



الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل ونصب على ذلك حججه وآياته وانفرد بالقضاء والتدبير فلا رادَّ لما أبرمه وقضاه من أحكام خيرة في جميع مخلوقاته، دعا جميع العباد إليه وهدى من شاء منهم، فلا مضل لمن هدى سبحانه وتعالى، فأجابوه ملبين مسرعين لمرضاته وقصروا وجهتهم عليه فلم يرجوا من سواه نفعاً ولا ضراً فلا إله إلا هو رب السماوات والأرض جلَّ عما يصفون.

نحمده تعالى ونشكره على ما خولنا من عظيم نعمه وجزيل هباته ونستعينه سبحانه ونستغفره مما ارتكب كل منا من ذنوب وهفوات ونشهد أن لا إله إلا الله، شهادة من تحقق عظمته وجلاله ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه أرسل بدين الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فأطيب الصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

وبعد،

أتقدم إليك، عزيزي القارىء، بهذا الكتاب، الحلال والحرام في الكتاب والسنة متخذاً فيه أسلوب النفي والإيجاب نفي ما نهى الله عنه وأمر باجتنابه من

المعاصي والآثام تطهيراً لنفوس المؤمنين من الرذائل والموبقات وإعداداً لهم كي يكونوا ممن استحق رضي الله رضوانه ونعمته التي وعد بها المؤمنين الصالحين المتقين ألا وهي فسيح جناته.

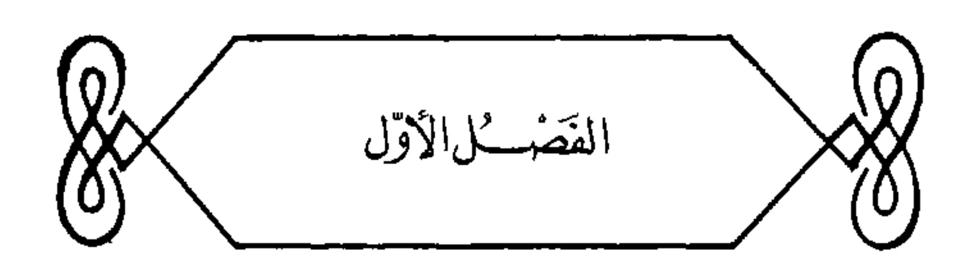
وإثباتاً لمعصية من عصى من الناس باتباعهم أمر الشيطان ودعـوته إلى الباطل بمتابعتهم له فيما يأمرهم به مما أمر الله باجتنابه، والله غني عن العالمين وهم إنما يدنسون أنفسهم ويعدونها للعذاب الأليم في جهنم مقر العصاة الكفرة والملحدين جزاءً وفاقاً لما جنته أيديهم.

أما الإيجاب ففيه أثبتنا وفصلنا وشرحنا جهد طاقتنا ما أمرنا الله باتباعه في كتابه الكريم وسنة نبيه العظيم إعداداً للمؤمنين كي يستحقوا النعمة التي أنعم الله عليهم في الدنيا وهي رسالة الإسلام وفي الآخرة وهي النعيم المقيم وما لا عين رأت ولا أذن سمعت. أما الذين كفروا فتراهم مما أمر الله باتباعه قد نفروا وعنه ابتعدوا وإلى ما نهى عنه وأمر باجتنابه يسرعون الخطى، نجّانا الله منهم وجعلنا من الأبعدين عنهم، فإلى الضلال يسيرون وإلى عذاب لا مثيل له وإلى نار تزيد سبعين ضعفاً عن نار الأرض يركضون ويجدون السعي.

ولقد ظهر بعض الاختلافات بين الأئمـة وأهل العلم في بعض الأمـور الفرعية فاظهرنا وأوضحنا هذه الخلافات وإن كنا نميل دائماً إلى مواقف وآراء الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته قناعة منا بآرائهما واجتهاداتهما واعتقادنا الجازم بأحقية الأخذ بقوليهما. لتشددهما في نفي البدع وأهلها ولتمسكهما الشديد بحرفية النص القرآني العظيم والحديث الصحيح المتين وابتعادهما من المتشابه احتماءً من الوقوع فيما لا يرضاه لنا رب العالمين.

والله ولي التوفيق.

سعيد اللحام



إيجاب الخلق ونفي النشوء

الأرض والكون

قال الله تعالى في محكم آياته: ﴿ خلق اللّٰهُ السمٰواتِ والأرضَ بالحقِّ، إنَّ في ذَٰلِكَ لآية للمؤمنين ﴾[1].

ويقول علماء المادية: «كوكبنا ليس أزلياً، وتوجد عدة افتراضات وآراء تشرح نشأة المجموعة الشمسية بما فيها الأرض»[2]. وإذا أردنا مناقشة هذا القول الذي جاؤونا به، فسوف نجد أموراً عدة:

أولاً: إنهم يعترفون أن الأرض ليست أزلية، أي مر حين من الدهر لم تكن فيه هذه الأرض ولا هذه المجموعة الشمسية شيئاً موجوداً قائماً، فهي بالتالي قد خلقت خلقاً، ووجدت خلال فترة معينة.

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٤٤).

(٢) مبادىء علم البيولوجيا ـ نشأة وتطور الحياة على الأرض ـ ا. ب. كاروزيها طباعة دار مير للطباعة ـ موسكو صفحة ٤٢٣.

ثانياً: مع إنكارهم وإلحادهم بالله تعالى، جلَّ عما يصفون، لم يجرؤوا على التصدي للحديث عن كيفية وجود هذا الكون الفسيح بما فيه من آلاف وملايين المجموعات مثل مجموعتنا، ولا ما فيه من المجرات مثل مجرتنا.

ثالثاً: ليس لديهم حتى عن هذه المجموعة الشمسية وكيفية خلقها ووجودها إلا آراء وفرضيات، أي ليس هناك الكشف العلمي النهائي الذي يحدد متى وكيف وبالأرقام والمعادلات.

رابعاً: ما زالوا إلى الآن في مرحلة بحث ودراسة، وبالتالي ليس لديهم نتيجة واحدة نهائية لهذا البحث، فما زال التناقض والتقرير وإلغاء التقرير بعد قليل هو المهيمن على أبحاثهم.

خامساً: حتى هذه الأرض، وليس المجموعة الشمسية كلها، لم يتوصلوا إلى معرفتها معرفة كاملة يمكن القول بعدها، لم يعد هناك زيادة لمستزيد، فكيف بمعرفة كيفية خلقها ووجودها، ناهيك عن باقي كواكب المجموعة الشمسية.

سادساً: إنهم يقولون إن أساس تكون كواكب المجموعة الشمسية غبار كوني كان يدور حول الشمس، أما من أين أتت هذه الشمس، ومن أين أتى هذا الغبار الكوني فهم لا يعلمون بل يدعون أنه كان موجوداً دائماً دون أي إيضاح لعلة وجوده ولا كيفية هذا الوجود، ناهيك بباقي ما في الكون من مجموعات ومن مجرات.

سابعاً: يريدون منا أخيراً أن نترك ما لدينا من إيمان ومعرفة يقينية بأن الله وحده خالق السموات والأرض وما بينهما كي نؤمن بآراء وفرضيات، لم يتأكدوا هم أنفسهم أصحابها بعد من مدى صحتها أو بطلانها، ولم ولن يصلوا برأينا إلى أي نتيجة فيها، لأنهم يدورون داخل دائرة مغلقة عليهم، والخالق الموجد سبحانه، خارج دائرتهم، فهم كمن يبحث عن الشمس في منتصف الليل، أو عن السكَّر في ماء البحر، عبثاً يبحثون عن كيفية وجود هذا الكون، دون الإقرار بأن له خالقاً، جلت قدرته، قد خلقه.

يريدون منا أن نؤمن بآراء ارتآها وفرضيات افترضها علماء مهما بلغ مدى

علمهم فهم في نهاية الأمر بشر لهم نزواتهم، يخطئون ويصيبون، ويخطئون أكثر مما يصيبون.

ويريدون منا أن نترك العلم الذي جاءنا من عند رب العالمين، بواسطة آلاف الرسل والنبيين، الذين كان سيدنا محمد ﷺ خاتمتهم وبه تمت رسالتهم.

نحن نقول لهم ولكل إنسان يريد أن يتصدى لهذه المعضلة كما قال تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق؟ خلق من ماءٍ دافق ﴾[3] قبل أن يتصدوا لخلق السماوات والأرض فلينظروا إن كان بإمكانهم تعديل موروثات جينة بشرية واحدة، هذه الجينات التي لا ترى واحدتها إلا بالميكروسكوبات الالكترونية.

﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾[4].

فرضيات وآراء

لكن، على أي حال ما هي هذه الفرضيات والآراء؟

للعالم السوفييتي شميدت (١٨٩١ - ١٩٥٦) ومساعديه نظرية في هذا الشأن، يقول فيها: إنه حول كوكب الشمس الملتهب ومنذ أكثر من ٧ - ٨ مليارات من السنين كان يدور ضباب كثيف، يتكون من الغبار الكوني مخلوطاً بغازات. وكانت ذرات الغبار تحتك بعضها بالبعض عند دورانها فتفقد طاقتها الأولية ثم تقترب ويتحد بعضهابالآخر، ثم تلا ذلك تراكم لتلك الأجزاء المنفردة.

وكان بعضها يتحطم مرة أخرى وكان الآخر يزداد في التراكم حتى تحول في النهاية إلى الكواكب التي استمرت بدورها في عملية الدوران كلٌ في مداره[5].

وهنا لن نرد من عندياتنا ولن نناقش هذا الرأي بنداً بنداً بل سنرد بما رد

---

(٣) سورة الطارق الآيتان (٥ - ٦).

(٤) سورة الروم الآية (٣٠).

(٥) نفس المرجع السابق ص ٤٢٤.

أحد العلماء المسلمين في العصر العباسي المتأخر على أحد علماء الدهرية، والدهرية هم المادية أنفسهم ولكن التسمية القديمة لهم كانت هذا الاسم.

جاء أحد علماء الدهرية القائلين بمادية الكون وتطوره وعدم وجود خالق، الذين ينفون وجود القيامة والحساب إلى أحد حكام ذلك الزمان، وطلب منه أن يناقش علماء المسلمين.

وانتدب الحاكم له أحد العلماء لمناقشته واتفقا أن يكون اللقاء في يوم معين، في ساعة معينة، وكان منزل العالم المسلم عبر النهر، في الضفة الأخرى.

وفي الموعد المحدد اجتمع الناس في دار الحاكم يريدون سماع ومشاهدة الحوار وما سيسفر عنه الحوار، فبناءاً عليه سيتقرر مصيرهم ومصير دينهم ودنياهم.

وقعد الدهري معهم ينتظر، لكن العالم لم يحضر، ومضت ساعة إثر ساعة وهم في انتظار وأخيراً وصل العالم المسلم بعد أن مل الجميع من الانتظار.

دخل العالم فالتفتت الأنظار كلها إليه وكانوا قد ظنوا أنه خاف مواجهة الدهري فتخلف.

فسأله الدهري: ما الذي أخرك؟.

فقال: لقد خرجت من منزلي باكراً كي أحضر قبل الموعد، ولكن عندما وصلت إلى ضفة النهر لم أجد قارباً يقلني إلى الضفة الأخرى، فقعدت انتظر ومرت ساعات على انتظاري ولكن أخيراً رأيت بعض الخشب العائم في النهر تتجمع من هنا وهناك وتتشكل حتى صارت قارباً، فركبته، وقدمت إليكم.

فقال الدهري: هل تمزح، هل يعقل أن تتجمع الأخشاب لتشكل قارباً وحدها؟.

فقال العالم المسلم: إذا كان يصعب ولا يعقل تجمع بضع قطع من الخشب وحدها لتشكيل قارب، فكيف يعقل تجمع كل هذا الغبار والغازات في الكون كي تشكل هذه الأرض والشموس والكواكب على أتم تكوين وفي أتم

نظام ثم تبدع هذه العناصر وحدها كل ما على الأرض من مخلوقات مليئة بالأسرار والأنظمة التي ما زال يصعب على العقل البشري فهمها كلها، وهكذا وحدها دون مدبر؟.

بهت الدهري وخرج يجر أذيال الخيبة دون نقاش ودون أن يفتح فاه بكلمة واحدة.

ونحن نقول لهم:

١ ـ طالما أنه قد تكون مجموعة من الكواكب من هذا الغبار الدائر حول الشمس، فلماذا كانت طبيعة كل كوكب منها مختلفة عن الأخر؟

٢ ـ لماذا كانت الحياة البشرية والحيوانية والنباتية من اختصاص الأرض وحدها ولم توجد على كوكب آخر، أو لم لم توجد على الأرض والكواكب معاً؟ طالما أنها مكونة جميعها من نفس هذا الغبار الكوني الدائر حول الشمس؟.

ويقول الماديون: «ان الحياة نشأت على سطح الأرض من تلقاء نفسها»[٦].

نحن معهم بأن الأرض ليست أزلية، لأن الله خلقها كما خلق الكون كله ﴿الله الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن﴾[٧].

صدق الله العظيم

وسنرد عليهم بأقوالهم أنفسهم: «وقد كان يعمل في فرنسا في القرن التاسع عشر أحد مؤسسي علم الميكروبيولوجيا وهو لويس باستر. وقد أوضح هذا العالم في سنة ١٨٥٤ أن أبسط الكائنات الدقيقة لا يمكنها التوالد الذاتي. وقد ثبت من تجارب هذا العالم أن مرق اللحم الموضوع في دورق مسدود العنق يمكن حفظه مدة طويلة معقماً إذا جرى غليانه مقدماً وذلك لأن البكتريا والفطريات الموجودة في الهواء الجوي لا تتساقط في تلك البيئة المغذية. وعندما فتح الغطاء الذي يسد الدورق تساقطت الميكروبات في المرق وبدأت بالتكاثر»[٨].

---

(٦) نفس المرجع السابق ص ٤٢٥.
(٧) سورة الطلاق الآية (١٢).
(٨) نفس المرجع الأسبق ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

فإذا كانت الميكروبات والفطريات الدقيقة المجهرية التي لا ترى بالعين المجردة والتي تحتاج إلى مكبرات الكترونية تكبر عشرات الألوف من المرات كي يمكن رؤيتها، لا يمكنها أن تتكاثر من تلقاء ذاتها، لا يمكنها أن توجد من تلقاء ذاتها، فكيف توجد الأرض بما عليها ومن عليها من تلقاء ذاتها وكيف تتوالد الكواكب والشموس من تلقاء ذاتها؟..

وكنا نحب هنا أن نناقش أيضاً موقف المادية ونظريتها في المعرفة عبر مواقف ونظريات فيلسوفها الأول في أوروبا الغربية وعبر مؤلفاته وعلى الأخص النظرية المادية في المعرفة، عنيت به الفيلسوف الفرنسي، وأحد مؤسسي الحزب الشيوعي الفرنسي، روجيه غارودي، لكنه ارتد عن هذه النظريات كلها وألقى الله سبحانه وتعالى نور الإيمان في قلبه، فلم يكتف بأن يكون مؤمناً بوجود الله الخالق البارىء فقط بل إنه وجد أن طريق الحق والصواب، وأن الرسالة السماوية التي هي أجدر بأن تتبع هي رسالة الإسلام، فاعتنق الإسلام ورمى خلف ظهره بكل ما كتبه في السابق وكتب من جديد مؤلفات ضخمة تتحدث عن الإسلام، كدين وحيد فيه خلاص البشرية وسعادتها وفيه العدالة الحقيقية، العدالة التي اختارتها السماء لبني البشر طريقاً وأسلوباً للحياة.

حتى أنه غير اسمه فأصبح رجاء جارودي.

وإذا عدنا لموقف المادية الجدلية، فإن رأيها بأنه «قد نشأت الحياة على سطح الأرض نتيجة للتطور التاريخي والتغير المستمر للمواد غير العضوية، أي أن ظهور الحياة كان ضرورياً في فترة معينة من تطور الأرض»[٩].

وقبل أن ننتقل لمناقشة آرائهم في ذلك بالتفصيل فإننا نحب هنا أن نتوقف عند دوران الأرض الذي اعتبروه كشفاً من اكتشافاتهم لنقول لهم بأن كتابنا وكلام ربنا سبحانه قد حدثنا عن هذا قبل أن يعي الناس معنى هذا القول:

﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مَرَّ السحاب﴾[١٠].

---

(٩) نفس المصدر ص (٤٢٧).

(١٠) سورة النمل الآية (٨٨).

نشأة الحياة:

قال تعالى: ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾[١١].

وقال تعالى: ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾[١٢].

وقال تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[١٣].

أما موقف المادية فقد توزع على نظريات عديدة متفرقة مختلفة ومنها نظرية العالم السوفييتي المعاصر أبارين.

فقد اقترح في سنة ١٩٢٩ إحدى النظريات المنتشرة والمعترف بها فيما يخص نشأة الحياة على الأرض بعد أن بردت، إذ إنه يفترض أنها انفصلت عن الشمس وبقيت مشتعلة لفترة طويلة، بردت بعدها.

تقول نظرية أبارين: «وبدأ تدريجياً ظهور اليابسة الحديثة التي تتكون من طبقات الأحجار البركانية ـ البازلت ـ من ناحية القطب الشمالي فقط. أما بقية سطح الأرض فقد كان مغطى تماما بمياه المحيط العالمي وحدثت في هذه المياه عملية بلمرة المركبات العضوية الأولية المحتوية على الكربون بمعنى أنها أخذت في زيادة جزئياتها تدريجياً، ودخلت في تفاعلات مع أوكسجين الماء مكونة المواد العضوية (الكحول والألدهيدات والكيتونات والأحماض العضوية»[١٤].

ليصل بعدها إلى نتيجة تقول: «ولهذا السبب فإن تكوين المواد العضوية من المواد غير العضوية ليس عجيباً»[١٥].

---

(١١) سورة الأنبياء الآية (٣٠).
(١٢) سورة الفرقان الآية (٥٤).
(١٣) سورة المؤمنون الآيات (١٢ ـ ١٤).
(١٤) مبادىء علم البيولوجيا ص ٤٢٨.
(١٥) نفس المصدر نفس الصفحة.

طالما أنه ليس عجيباً، إذاً فلماذا تتعجبون وترفضون كون الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان من طين من حمأ مسنون؟.

وما دمتم تعترفون أيضاً أن الإنسان، وكل كائن حي يشكل الماء نسبة تزيد على ثلاثة أرباع تركيبه الكيماوي.

ولننظر معاً إلى الكشوفات العلمية الباهرة التي وصلوا إليها: «وتحت تأثير الشحنات التي كانت توجد في العواصف وكذلك الأشعة البنفسجية وغيرها تكونت الأحماض الأمينية في المركبات العضوية السابقة.

«وتشهد التجارب التي قام بها العالمان الأميركيان يوري وميلر سنة ١٩٥٣ على صحة هذا الافتراض...».

«وتمكن العالم الروسي الأكاديمي تيرينين من الحصول على نفس هذه النتائج عند استعمال الأشعة فوق البنفسجية بدلاً من الشحنات الكهربائية، وبعد ذلك وتحت تأثير الأشعة فوق البنفسجية وشحنات العواصف أيضاً (علماً أن هذه العواصف ليست من صنعهم) حدث اتحاد بين جزئيات الأحماض الأمينية كما اتحدت بها مواد أخرى وتكونت في أعقاب ذلك قطرات شبه سائلة من البروتينات الفردية البسيطة»[16]. قال سبحانه وتعالى:

﴿ يا أيها الناس ضرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب ﴾[18].

كل ما فعلوه هو أنهم صنّعوا مادة شبيهة بالصمغ العربي، أو قريبة من الجيلاتين. وهم يعترفون بالإضافة إلى ذلك بأن هذه الحبيبات أو بالأحرى القطرات لم تختلط بالبيئة الخارجية، هذا علماً بأنهم يعتقدون أن «التطور التدريجي للحبيبات الفردية أدى إلى تكوين الفراغات والأعضاء فيها. وهكذا ظهرت في أعقاب عمليات طويلة معقدة الكائنات الحية البسيطة»[19].

---

(١٦) نفس المصدر السابق ص ٤٢٩.
(١٨) سورة الحج الآية (٧٣).
(١٩) مبادىء علم البيولوجيا ص ٤٣٠.

هذا بالطبع دون أن يتوصلوا حتى إلى فرضيات حول كيفية أو نوعية هذه العمليات الطويلة والمعقدة.

مع افتراضهم أيضاً أن «هناك اختلافاً شاسعاً بين ظروف المعيشة في تلك الأوقات وظروف الحياة في الوقت الحاضر، فقد كانت درجة حرارة الوسط المحيط عالية، ولم تكن توجد طبقة الأوزون الحامية التي تحفظ الكائنات الحية في الوقت الحالي من تأثير الأشعة الكونية القاتل، كما لم يكن الأوكسجين الحر موجوداً في الهواء الجوي آنذاك»[٢٠].

وهم يعتبرون أنه «وعلى مدى الزمن وفي خلال العديد من الملايين من السنين، أعطت الكائنات الحية البسيطة المتكونة من هذه الحبيبات الغروية في أثناء عملية تطورها عالم الحيوان والنبات الذي يوجد على كوكبنا»[٢١].

وهنا نلاحظ أن بعض العلماء يضعون للأرض عمراً حوالى ٧ ـ ٨ مليار سنة وبعضهم ١,٨ مليار سنة. وقد وصل بعضهم إلى بضع ملايين من السنين، كما صور كل واحد مراحل تطورها بشكل مختلف.

هم وبعد كل هذا غير أكيدين من النتائج التي وصلوا إليها وغير أكيدين ما إذا كانت تثبت صحة نظرياتهم أم لا.

«ربما يثبت صحة أساس نظرية تطور الحياة على الأرض التي وضعها دارون ومناصروه، هو وجود الأشكال الوسيطة من الحيوانات التي تعيش حالياً والحفريات التي يعثر عليها، ونستطيع في الوقت الحاضر أن نتكلم عن تطور الأشكال العضوية ومجموعاتها الفردية»[٢٢].

وطالما أنهم في «ربما» و«يجوز»، أي أنهم ما زالوا في بحور التخمين فنحن نقول ومن على شاطىء اليقين أننا نعرف بأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الأكوان بما فيها ومن فيها من بشر وحجر ورسله والأنبياء الذين بلغوا رسالاته

---

(٢٠) نفس المصدر ص ٤٣٠.
(٢١) نفس المصدر ص ٤٣١.
(٢٢) نفس المصدر ص ٤٣١.

ودعوته إلى الهدى والإيمان كلهم يعرفون ولم يقولوا لا ربما ولا يجوز بل قالوا: ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾[٢٣]

نشأة الإنسان:

يقول دارون ومناصروه بأنه: «من المعروف أنه يوجد لكل نوع من الحيوانات والنباتات أمراضه وطفيلياته الخاصة به، وإذا أصيب بهذه الأمراض حيوانات من نوع آخر، فإن أعراض المرض تظهر عليها بشكل آخر. ومما يثبت وجود قرابة الإنسان والقرود الشبيهة بالإنسان هو وجود أمراض عامة بينهما»[٢٤].

لكن إذا أخذنا بهذه النظرية فإن البقر أيضاً قريب للإنسان لأن البقر يصاب بالدودة الوحيدة والإنسان يصاب بها، والبقر يصاب بالجمرة الخبيثة والإنسان يصاب بها والخنزير يصاب بالتريشينوز والإنسان تنتقل إليه ويصاب بها فهل معنى هذا أيضاً أنه قريب له؟.

وإذا كان الشمبانزي هو القرد القريب للإنسان، فماذا عن القرد الأخضر الذي نقل إلى الإنسان مرض الإيدز، هل هو قريب آخر؟.

وقد قال تعالى: ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾[٢٥].

ولنتابع مع علماء المادية أبحاثهم لنرى ماذا فعلوا في الحقول الأخرى.

«وقد أجريت، عدة تجارب مختلفة في نهاية القرن الماضي، عندما بدأ وضع الأسس النظرية لنقل الدم ونقل فيها دم الإنسان إلى الحمام ودم الكلاب إلى القرود ودم الدجاجة إلى الأرنب، وقد ماتت جميع الحيوانات التي نقل إليها الدم فنقل مثلاً، دم الحصان إلى الحمار كما نقل دم الأرنب إلى الأرنب الجبلي فلم تمت هذه الحيوانات كما لم تظهر عليها أية أعراض مرضية.

---

(٢٣) سورة الأنعام الآية (١٠٢).

(٢٤) نفس المصدر ص ٤٣٧

(٢٥) سورة الملك الآية (٣).

وقد ثبت عملياً أن دم الإنسان يقرب في صفاته البيولوجية والفيزيولوجيه والكيميائية الحيوية من صفات دم الشمبانزي. كما أن للشمبانزي نفس مجموعات الدم (I - II III IV) التي للإنسان فإذا نقل دم مثلاً من المجموعة الأولى للإنسان إلى الشمبانزي فإن الفرد يبقى حياً وسليماً، هذا وتتشابه صفات كل من دم الإنسان والقرود بدرجة كبيرة مما يدل بوضوح على عمومية منشئهم»[٢٦].

إذا كان هذا ممكناً فلماذا بنوك الدم والتبرع بالدم والخ.. إذاً فهذا غير ممكن، وطالما أنه غير ممكن، فماذا يعني امكانية إعطاء دم الإنسان للقرد!.

ولنتابع معهم تجاربهم لأنهم سينفون بصورة غير مباشرة ما توصلوا إليه من نتائج بأنفسهم دون أن يشعروا أنهم قد توصلوا إلى النفي. فطالما أن الإنسان قد تطور من الشمبانزي أو قرد آخر قريب منه، واكتسب مهارات عقلية ويدوية نقلته من مستوى حيوان الغاب إلى المستوى الإنساني الأرقى، إذن يجب أن يكون ذلك ممكن الحدوث مرة ثانية، لأن ما يحدث مرة يملك في ذاته إمكانية التكرار والمعاودة إذا جاءت الظروف المماثلة.

ونحن لا نقول فقط انتظروا الظروف المماثلة بل إننا قبلنا منهم أن يساعدوا حيوان تجربتهم ويرشدوه ويكرروا له التجارب الآلاف والآلاف المرات لأننا نعلم علم اليقين بأنهم لن يصلوا إلى أي نتيجة ذات قيمة، لأن إيماننا ويقيننا هو أن الله سبحانه وتعالى قد اختص الإنسان دون سائر مخلوقاته بالعقل، والعقل والإدراك ليسا طعاماً يمكن للحيوان أن يأكله فيصير عاقلاً ولا دواء كيماوياً من حبوب أو حقن يمكن حقنه بها، لأنه وكما سبق أن ذكرنا منحة الهية خص بها الله الإنسان، سبحانه له في خلقه شؤون. والرسل يوجب التكاليف (وهذا ما سنبحثه في فصل آخر) فلنرجع إلى ما وصلت محاولات علماء المادية مع قرودهم الأثيرة لديهم.

«وقد أوضحت التجارب التي قام بها العالم السوفياتي بافلوف ومساعدوه على شمبانزي وإناث الشمبانزي (رافايل وروزا) أن مستوى النشاط العصبي

---

(٢٦) نفس المصدر ص ٤٣٨.

عال جداً على الرغم من أنه لا يمكن مقارنته بما هو عليه في الإنسان».

وهذا لعمري طبيعي لأن الله سبحانه وتعالى جعل الفارق بين الإنسان والحيوان فارقاً في النوع وليس فارقاً في الدرجة كما يتصورون، ولنتابع معهم.

«فقد علقت حلويات وفواكه في سقف الأقفاص التي وضعت فيها القرود كما وضعت عدة صناديق على أرض الأقفاص في أماكن مختلفة، وقد تمكن الشمبانزي باستخدام طريقة «التجربة والخطأ» من وضع الصناديق في شكل هرمي وحصل على الحلويات المعلقة على هذا الارتفاع وقد تعلم رافيل الحصول على الفاكهة بالتسلق على عصي طويلة ثـم صنع (والأصح أن يقال ركّب) عصا واحدة من قطعتين صغيرتين من خشب البامبـو وأخذ يضرب الفاكهة بها».

ما الفرق بين هذا التصرف وتصرفه الطبيعي في الغابة في تسلق الأشجار واستعمال الأغصان المكسورة والجافة للحصول على طعامه، وأين هذا في لغة النحل المعقدة والتي تقود مثيلاتها وترسم لهن خارطة الطريق برقصها إلى مكان الطعام؟..

إنها غريزة الجوع التي تحرك هذه الحيوانات لا أكثر ولا أقل. ولو عاش هذا القرد خمسين عاماً ثم أعادوا التجربة معه لأعاد المحاولات جميعها حتى يتوصل إلى النتيجة نفسها لأنه لا يدرك هذه الأمور إدراكاً عقلياً ولا يتعلمها بينما الإنسان إذا اكتسب مهارة وترك العمل بها لفترة طويلة، ثم عاد إليها بعد ذلك، فإن احتاج إلى مران جديد، فسيكون مراناً قصير الوقت فقط لاسترجاع المعلومات العقلية المختزنة وإيقاظها ليس إلا، ولأن الحيوان عندما تعلم ما حاولوا أن يعلموه له من هذه الحركات البسيطة إنما كان ذلك للوصول إلى المكافأة التي هي الطعام وليس الطعام العادي فحسب بل الحلوى.

والدب يرقص أيضاً من أجل الحلوى.

والكلب يؤدي حركات عجيبة كما نرى في السيرك من أجل المكافأة بالطعام وعدم المعاقبة بالضرب.

والحيوانات الشرسة أيضاً تؤدي حركات أعقد من هذه من أجل المكافأة، وحتى الفيل يقوم بحركات عجيبة من أجل المكافأة والهروب من العقاب.

فأين وجه الذكاء في ذلك، انه رد فعل الغريزة المحض ويتابع بافلوف: «كما أنه (أي القرد) قام باطفاء حريق برشه بالماء وقام كذلك بتأدية تمرينات أكثر تعقيداً من هذه»[٢٧].

كان الأجدر به والأكثر علمية ودقة إذا كان يقول انه عالم أن يعطي للأشياء مسمياتها فلا يقول قام بإطفاء حريق بل يقول: دُرِّب على إطفاء الحريق وعلى أداء الحركات المعقدة.

وهناك يكون قد ذكر الحقيقة أما ما ذكره فليس الحقيقة كاملة بل هو تحريف مقصود يراد به إثبات ما ليس حقيقياً.

والببغاء الذي يقلِّد كلام الإنسان ويصدر أصواتاً قريبة جداً من صوت الإنسان وهو يتكلم، هل أصبح قادراً على إتيان الكلام واختراع الكلمات والمفردات الجديدة أو حتى قادراً على التقليد والحفظ في نفس الوقت دون أن تكرر له الكلمة المطلوبة منه تقليدها المرات الكثيرة.

وهل يعي معنى ما يقول؟.

ولنصل معاً إلى النتيجة النهائية لهذه الأبحاث التي حاولوا بها الاثبات فوصلوا إلى النفي. «هذا ولا يستطيع أي قرد من القرود الحالية أن يقوم بنفسه بصنع أداة للعمل إذا لم تكن مهمته مختصرة كما لا يمكنه الاختراع كما يفعل الإنسان»[٢٨].؟

إذاً فطالما ليس بإمكان الشمبانزي فعل ذلك وهو أكثر القرود تأهيلاً بنظرهم ليكون قريباً للإنسان فأين هو القرد الذي يمكن لهم أن يعتبروه جد الإنسان؟.

إن كل الأبحاث والحفريات والمحاولات لم توصلهم إلى شيء، ولن توصلهم إلى شيء طالما أنهم يبحثون عما لا وجود له.

لقد وجدوا، كما يقولون، بقايا إنسان قديم اسموه النياندرتال، والآخر

---

(٢٧) نفس المصدر ص ٤٤٦.

(٢٨) نفس المصدر، نفس الصفحة.

الكرومانون نسبة إلى أماكن وجودها الأولى، وأعطوا لهذه البقايا أعماراً تتراوح بين ١٥٠ ألف سنة و ١٠٠ ألف سنة، والعجيب أنها وجدت في أوروبا في الوقت الذي يقولون فيه ان الأرض في هذه الحقبة كانت باردة جداً في هذه المنطقة من العالم، ولم يجدوا بقايا في منطقتنا، لا بين النهرين، ولا في مصر، ولا أي مكان آخر مع أنها كانت في تلك الفترة أكثر صلاحية للحياة؟.

إنه سؤال نطرحه ولن نجيب نحن عليه، لأنه يجيب بنفسه على نفسه، لأن الحقيقة لا نحن من يتهمهم بالباطل الذي يأتونه لإثبات نظرياتهم.

لقد طبلوا وزمروا كثيراً لما ادعوه، وعندما جوبهوا بما جاءت به الكتب السماوية أنكروا وكان أشد إنكارهم واستنكارهم لطوفان نوح، ثم أثبتت أبحاثهم هم أنفسهم بأن الطوفان قد حدث.

وغداً تثبت لهم أبحاثهم أشياء أخرى وفي كل مرة يخترعون لها تفسيراً، واختراعهم للتفسير بحد ذاته دليل دحض ونفي لما يدعونه لأن الحيوان لا يخترع ولا يبرر لا فعله ولا أصواته ولا غرائزه.

الأبحاث الحديثة

«في الحقبة الأخيرة من العصر الحجري وفي أثناء العصرين الثلجيين الثالث والرابع أي الفترة التي تمتد بين ٤٠٠,٠٠٠ حتى ١٠٠,٠٠٠ عام مضى كان ينتشر على سطح الأرض السلف القريب للإنسان المسمى بالإنسان النياندرتالي، وقد عثر على غطاء جمجمة الإنسان النياندرتالي لأول مرة في التاريخ في عام ١٨٥٦ وذلك في وادي نهر النياندر قريباً في مدينة دوسلدورف في ألمانيا، وكان لها جدران سميكة وغريبة. وقد أثار العثور على هذه الجمجمة نقاشاً حاداً بين العلماء حيث اعتبرها البعض جمجمة الإنسان القديم.

بينما اعتقد البعض الآخر إنها جمجمة إنسان معاصر كان قد أصيب بمرض. وقد عثر على بقايا الإنسان النياندرتالي في أماكن أخرى متفرقة في فرنسا وإسبانيا وبلجيكا ويوغسلافيا وإيطاليا وفي دول شمال إفريقيا وآسيا.

كما عثر عليها أيضاً في الاتحاد السوفياتي في القرم في كيكوب عام ١٩٢٤ وفي جنوب أوزبكستان في تشيكتاش عام ١٩٣٨.

وكان الإنسان النياندرتالي قصير القامة ١٥٥ - ١٦٣ (سنتم) للرجال، ولكن تركيب جسمه كان ممتلئاً قوياً كما تشهد على ذلك كتلة هيكله.

وعموماً هيكل عظام الإنسان النياندرتالي قريب الشبه من الإنسان المعاصر، ولو أنه أكبر كتلة حيث أن عظامه ثقيلة وغير منتظمة وفقرات العمود الفقري غير واضحة.

. . . .

وكان الإنسان النياندرتالي يقف على قدميه الملتويين بعض الشيء جيداً. [٢٩].

إذاً فهم يعترفون أولاً بأن أساس نظريتهم والذي هو القرد - الإنسان، لم يجدوا له أثراً حتى الآن، وبالتالي وطالما أنهم قد قاموا بالبحث والتفتيش في كل مكان محتمل ولم يجدوا شيئاً فهذا يعني عدم وجوده أصلاً وبالتالي بطلان نظريتهم وادعائهم.

ثانياً: ان هذا الهيكل العظمي أو الجزء من الهيكل العظمي الذي عثروا عليه، يختلف عن الإنسان وإن كان قريب الشبه. فعظامه ثقيلة (١)، وغير منتظمة (٢)، وفقرات العمود الفقري غير واضحة (٣) وقدماه ملتويتان (٤).

وما وصفوه به من أنه كان يستعمل فراء الحيوانات لصنع الفراش والملابس فهذا ادعاء بحت لأنهم لم يعثروا على أثر من هذه الأشياء وكل ما قالوه إنما هو تقدير واستدلال، يخطىء أكثر مما يصيب لأنهم يتحيزون في موقفهم ويريدون إثبات شيء ما، فهم على استعداد لاختراع الاثباتات إذا لم يجدوها.

---

(٢٩) نفس المصدر ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

وفضائح الجماجم المصطنعة والمعتقة والتي اكتشف بعض العلماء كونها مزورة وما جرى من أخذ ورد فيها أكبر دليل على بطلان هذا الزعم من أساسه، فربما تكون هذه البقايا إنسانية فعلاً وقد تعرضت لعوامل طبيعية مختلفة أثرت على تكوينها فدرسوا هم النتائج لهذه العوامل ولم يعرفوا الأصل. وهذا أيضاً دليل نفي على ما يقولون بسبب الخلافات الحادة بينهم على عمر هذه البقايا وربما تكون لحيوان قريب الشبه من الإنسان، لكنه على أي حال ليس الإنسان الذي خلقه الله فأحسن تكوينه ولأننا نعرف ومن أبحاثهم هم أنفسهم أي العلماء أن الجينات تحمل سجلات الوارثة من جيل إلى آخر، فما الذي حدث حتى جرى هذا التغيير العام لمتحوى هذه الجينات لتعطي ودفعة واحدة جيلاً جديداً مختلفاً كما سنرى.

ونحن نعرف أنه عند حدوث أي خلل في هذه الجينات فإن المولود يكون غير قابل للحياة، أو شاذاً غير عادي أي مريضاً لا قدرة له على مجابهة الحياة ومتابعتها، كالمتخلفين عقلياً أو جسدياً الذين نراهم في المصحات.

أما أسباب هذا الشذوذ والتغير فـ «قد يكون الشذوذ وراثياً ويظهر البعض الآخر نتيجة للتأثير الضار للبيئة الخارجية: الإشعاعات، أشعة رنتجن، المواد السامة، الخمور. المورفين كثير من الأدوية الطبية والتغذية غير الصحيحة»[٣٠].

وهذه العوامل التي ذكرت لم تكن موجودة حينذاك، وأي شذوذ من هذا النوع سيصيب فرداً واحداً ولن يغير مجرى البشرية جمعاء وإلا لأصبح لدينا عالماً من العمالقة لوجود بعض الطفرات المرضية كهذه أو عالماً من الأقزام لوجود طفرات مرضية قزمية أيضاً وإذا أردنا مجاراتهم في هذه الادعاءات عن أصل الإنسان. فدعونا نرى كيف تطور هذا الإنسان النياندرتالي؟

لا شيء لقد اختفى تماماً، ليحل محله إنسان من نوع آخر، حسب ادعائهم، وبمواصفات مختلفة. أما من أين جاء هذا الإنسان الآخر، فلا شيء لديهم للقول.

---

(٣٠) نفس المصدر ص ١٧٩.

لنتابع معاً ماذا يقولون عن هذا الإنسان الآخر.

«توجد ضمن رواسب الأزمنة الأخيرة هياكل عظمية وجماجم وعظام منفردة تعود للإنسان المعاصر المنقرض الذي ظهر منذ حوالي ۰۰۰، ۱۰۰ عام والذي كان يعيش في حقب الباليوليت الأخيرة، ويطلق على هذا الإنسان إسم الكرومانون نسبة إلى قرية الكرومانون القديمة في فرنسا حيث عثر لأول مرة عام ١٨٦٨ على بقاياه. وقد تلا ذلك العثور على الإنسان الكرومانوني في كثير من الدول الأخرى، فعثر عليه مثلاً في القرم في كهف مورزاق ـ قوبا في عام ١٩٣٦ وفي قرية كوستينكا التي تبعد ٤٥ كيلو متراً جنوب فورونيج في سنة ١٩٥٤ وكان هذا الإنسان كبير الحجم يصل طوله إلى ۱۸۰ سم وأكثر، وجمجمة هذا الإنسان كانت ذات جبهة عالية وعريضة وحجمها كبير جداً ويبلغ حوالي ١٦٠٠ ملليمتر ويقرب بروز الذقن جمجمة الإنسان الكرومانوني من جمجمة الإنسان المعاصر.

«ويشبه العمود الفقري الذي على شكلS وذو الرقبة والفقرات الواضحة وكذلك استقامة الأرجل في الإنسان الكرومانوني ما هو موجود لدى الإنسان المعاصر».

«إلا أن عظام الإنسان الكرومانوني كانت ثقيلة بعض الشيء وغير منتظمة»[٣١].

. . أولاً: يقولون بأن هذه العظام تعود للإنسان المعاصر المنقرض. يعني الذي لم يعد له وجود ولا صلة لنا به ولا صلة له بنا لأنه برأيهم، فإن الإنسان المعاصر، الذي هو نحن، قد ظهر فوق الكرة الأرضية منذ حوالي ١٢٠٠٠ سنة فقط، ولو جمعنا المراحل منذ آدم حتى يومنا هذا لوجدنا أن الرقم قريب جداً، حسبما هو موجود في أسفار بعض الأديان وروايات الأنبياء والرسل.

فإذا كانت هذه الهياكل العظيمة هي لبشر، فهي بالتالي ليست لجنسنا البشري على وجه التأكيد، بل لعلها لأقوام أخر عاشوا فوق هذه الأرض وانقرضوا بضربات سماوية بسبب من طغيانهم وكفرهم.

---

(٣١) نفس المصدر ص ٤٥٩.

ولعلها المخلوقات التي خلقها الله قبل آدم فعصت فأرسل إليها ملائكته العذاب فقضت عليها، وفي قصة خلق آدم كما وردتنا من مجموعة المصادر الدينية، أنه كان هنالك بعض الجن الـذين سكنوا جـزائر البحـار ثم عصوا فطاردتهم الملائكة حتى أبادتهم، والله أعلم ورسوله وفوق كل ذي علم عليم.

وفي القرآن الكريم يقول رب العالمين لرسوله الكريم: ﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة، إن الله على كل شيء قدير﴾[٣٢]. فالله سبحانه وتعالى هو يدعونا إلى أن نسير في الأرض باحثين عن كيف بدأ الخلق إن ذلك لن يزيد المؤمنين إلا إيماناً ولن يزيد الكافرين إلا ضلالاً.

وهم يقولون بأن هذا الإنسان الكرومانوني قد ظهر منذ كذا سنة، وظهر يعني أنه لا علاقة له بما قبله والوصف يوضح الاختلاف الكبير والظهور لا علاقة له بالتطور والارتقاء، فهو قد ظهر هكذا لا رابط بينه وبين ما قبله ثم انقرض فلا رابط بينه وبين ما بعده فيما قاله علماؤنا. والظهور يعني الوجود بالشكل الموجود وبالتالي فهو قد خلق ولا شيء هنالك في هذا الخلق يوجد ويظهر وحده، لعل حتى الحدائق ... الطيار من نفسه بل انتظر حتى صنعوه.

ثم ... والأشجار فلماذا لم تظهر الأصناف المحسنة منها حتى تدخلت يد الإنسان؟ وإذا كان الإنسان بكل علومه وأبحاثه ومختبراته خلال هذه الآلاف المؤلفة من السنين، لم يستطع إلا أن يضبط عملية التزاوج من أجل أن يكون الجيل الجديد من هذه الحيوانات والنباتات أفضل فكيف وجدت هذه النباتات والحيوانات وحدها دون خالق؟

أستغفر الله العظيم جل عما يصفون، هو خالق الخلق وهو معبوده وإليه المصير.

إنهم رغم كل أبحاثهم لم يستطيعوا وحتى اليوم إيجاد دواء لمرض؟

---

(٣٢) العنكبوت الآيات (١٩ - ٢٠).

«الرشح» البسيطة والتي لا ترى إلا بالمجهر، فكيف بإمكانهم أن يتصوروا بأن هذه العوالم كلها نشأت من عدم أو من غبار كوني.

وحتى لو سلمنا جدلاً، ولن نفعل، بأنها نشأت من الغبار الكوني فمن أين جاء ومن أوجد هذا الغبار الكوني، طالما أنه لا شيء يخلق من العدم؟

وأخيراً فهذا الإنسان الكرومانوني قد انتهى قبل حوالي مائة ألف عام، فمن أين جئنا نحن؟

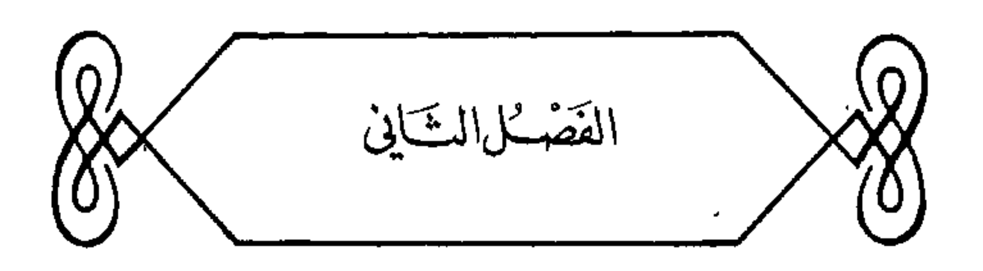
هل ظهرنا هكذا من العدم؟ وتطورنا؟

وإذا كنا حلقة في السلسلة، فأين الرابط بيننا وبين هذه المخلوقات السابقة علينا، ولماذا انقطعت السلسلة؟

وهؤلاء ليسوا بدعة جديدة، فلقد سبقهم من قال قولهم في الأجيال السابقة وأجابهم رب العالمين في القرآن الكريم: **﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين، قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[٣٣].

---

(٣٣) سورة الجاثية الآيات (٢٤ ـ ٢٦).



إيجاب التوحيد

ونبدأ هذا الفصل بإيجاب التوحيد بما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات في توحيد الخالق عز وجلّ ونفي الند والشريك والشبيه والولد والزوج.

ثم نناقش بعد ذلك أهلَ الكتاب الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة أو إن الله ثلاثة في واحد، إذ كليهما يؤدي إلى نفس النتيجة الا وهي الشرك والعياذ بالله. هذا الشرك الذي لعن الله سبحانه وتعالى القائلين به والمتعبدين به وتوعدهم بعـذاب عظيم لا مدى له ولا حد ولا نهاية.

ثم نفصل أنواع الشرك، فهناك أبواب من الشرك يأتيها الإنسان ولا يدري أنه يأتيها أو لعله يدري ولا يتيقظ، جلَّ الله عما يصفون.

مسألة الإيمان

الإيمان بالله تعالى وتوحيده يفرض الإيمان بكتبه ورسله وملائكته وباليوم الآخر، وبالجحيم والنعيم.

الجحيم الذي أعد للعصاة الذين إذا تليت عليهم آيات الله سبحانه وحديث

رسوله ولوا مدبرين وقالوا ما سمعنا بهذا ولا نعرفه، إن أنتم إلا قوم متعصبون متخلفون، لم تأخذوا من الحضارة بنصيب.

فالحضارة برأيهم هي العري والفساد والزنا، والفسوق والربا والركض وراء الشهوات والأموال، والحضارة برأيهم تقليد الغرب بكل ما أتى به من فحشاء ومنكر.

والحضارة برأيهم التعري في المسابح، وخروج الفتيات مع الشبان، ساعة يشاؤون وأنى يريدون، يأتون من الأمر منكراً ولا من يرشد ولا من يهدي.

تخرج ابنة الواحد منهم وقد تزينت كبنات الهوى وارتدت ما أصبحت فيه كاسية عارية، قد بدت مفاتنها أكثر مما سترت بهذه الملابس، وهي تتحدث مع هذا، تتمازح مع ذاك تتغنج على هذا، تتعانق مع ذاك.

وإذا جاء من يطلبها للزواج لم يسأل عن دينه ولا تقواه ولا عبادته، لأن أول ما يسأل عنه ماله وجاهه، داره وسيارته، لكأن هذا هو ما سيحفظ عرض ابنته ويصونها، إنهم يقودون بناتهم إلى الباطل والمنكر وهم مسرورون بهذا، وبعضهم يقول هي حرة لا أقدر عليها. ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، إن ما تأتيه من ذنب يحتمله الأب والأخ والعم والخال معها أمام رب العالمين فهل من يسمع؟

وتخرج زوجة الواحد منهم وقد ظهر منها أكثر مما اختفى وعطورها يشمها البعيد قبل القريب، تخرج إما في سيارتها وقد ارتدت القصير الذي يظهر ما يجب ستره، أو تسير بدلال تثير كما يحبون القول موجة من الإعجاب حولها، كما تردد دعايات أجهزة التلفزة.

. هذا الإعجاب الذي ليس أكثر من اشتهاء محض، إن كل من تسير هكذا مثيرة شهوات الناس، إنما هي بحكم الزانية ولو لم تزنِ وهي ووليها، من زوج وأب وسواهما يتحملون وزر هذا الزنا العلني فليس الجسدي المباشر وحده الذي يرفضه الإسلام، فهذا الذي تأتيه إنما هو دعوة إلى الزنا والفحشاء.

والزوج الذي يرضى أن يعيش مع امرأة كهذه إنما هو بحكم الديوث ولقد لعن الله والرسول (ﷺ) الديوث إلى يوم يبعثون ولا غفران له.

ـ والإيمان بالنعيم الذي أعده الله للمتقين من عباده. كما سنفصل صفات هؤلاء العباد الصالحين. خلال الآيات.

يقول تعالى: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أي لا تبدأ عملاً إلا أن تذكر اسم الله أولاً وآخراً وقبل كل شيء وقبل أي شيء وقبل أي كان فهو الأول وهو الآخر وهو المبدىء وهو المعيد وهو على كل شيء قدير. ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ لا تحمد على الخير سواه ولا يحمد على مكروه سواه، لأن ما نظنه مكروهاً قد يكون الخير لنا فيه وما قد نظنه خيراً، قد يكون الشر لنا فيه، وعسى أن تكرهوا شيئاً وقد جعل الله لكم فيه خيراً كثيراً وعسى أن تحبوا شيئاً يقودكم إلى التهلكة وأنتم لا تشعرون.

﴿الرحمن الرحيم﴾ فهو سبحانه رحمن قد سبقت رحمته لعباده خلقه للكون بما فيه ومن فيه وهو رحيم يرحم عباده ويقبل توبة التائبين منهم ويغفر للمستغفرين.

﴿مالك يوم الدين﴾ لا مالك سواه يوم الدين، يوم تقوم الساعة لا ريب فيها.

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فالعبادة لله وحده، لا للمال ولا للجاه ولا لمخلوق من مخلوقاته فهي كلها متساوية في العبودية له. سواء بذلك الكبير والصغير، والغني والفقير، والعظيم والحقير، وكلهم إلى تراب، وكلهم سيبعثون يوم الدين يوم لا مالك إلا الله وحده فمن أتاه بقلب سليم وإيمان لا يشوبه شرك كانت له الجنة مأوى، ومن أتى مثقلاً بأوزاره كانت النار هي المثوى.

ولذا كان على الإنسان أن يقول دائماً لربه ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ صراط طاعتك وهديك ورضاك ﴿صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾[1].

يقول تعالى: ﴿يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون* الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء، وأنزل من السماء

---

(١) سورة الفاتحة.

ماء، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ [٢].

لقد وجبت علينا عبادة الخالق العظيم لأسباب عديدة أولها أنه هو خالقنا، وليس لمخلوق أن يعصي خالقه، هل يرضى الإنسان عن آلة صنعها أن لا تسير إلا حسبما يشتهي ويريد، وللهدف الذي أوجده لها، والله سبحانه وتعالى ما خلق الإنس والجن إلا ليعبدوه، فإذا لم يفعلوا ذلك خرجوا عن طاعته، ومن يخرج عن طاعة خالقه فإلى جهنم وبئس المصير.

إن الآلة التي لا تعقل ولا تفهم إذا لم تعمل حسبما أراد صانعها، حاول إصلاحها أولاً فإذا لم ينفع الإصلاح دمرها وصنع سواها.

والله سبحانه وتعالى حاول دائماً أن يصلح بين البشر ويهديهم سواء السبيل، عبر الأنبياء والرسل الذين جاؤوا مبلغين برسالاته مبشرين بجنته منذرين بناره.

وكان التدمير بمختلف أشكاله جزاء العصاة. كان التدمير هنا على الأرض قبل حساب اليوم العظيم فذاك أمر أعظم وأخطر، وبعد رسالة نبينا محمد (ﷺ) خاتمة الرسالات، جعل الحساب الأكبر يوم الحساب.

ويقول البعض من الناس، هذا فلان يصنع ويصنع وهذا الشعب الفلاني في البلد الفلاني يصنع ويصنع فأين حساب الله لهؤلاء.

ونقول أنظروا تروا ومن له عينان فلينظر يرى الضربات التي تحيق بهم والأمراض التي تنزل عليهم وليس لهم سلطان للفرار والنجاة منها وانتظروا حسابهم يوم الآخرة إننا معكم منتظرون.

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ [٣].

---

(٢) سورة البقرة الآيتان (٢١ - ٢٢).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨).

لقد خلقنا الله من مادة ميتة من طين من حمإٍ مسنون، من ماءٍ دافق يخرج من بين الصلب والترائب، فيعطينا الحياة وينفخ فينا روح الحياة ثم نرجع إلى أرذل العمر ونموت وإلى التراب نعود حتى يبعثنا الله من مراقدنا إلى ساعة الحساب فنعود إليه ويعود إلى أعمالنا نوع الجزاء الذي نلقاه، فإما إلى جنة عرضها السماوات والأرض وإما إلى جهنم وأسفل سافلين.

لكن الإنسان هذا المخلوق الضعيف رغم هذا كله ورغم وضوح الحق وضوح الشمس فإنه يكفر. ولا يتعظ ولا يعي إلا من هدى الله ومن اهتدى بهدي الله.

﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾(٤).

فإذا ظن ظانٌ أنه قادر على الفرار من حساب الله فليحاول، ولن يجد مفراً، لأن لله ملك السموات والأرض فإلى أين تذهب أيها الخاطىء، إنك مهما بلغت في الفضاء علواً وفي البحار بعداً وفي الأرض عمقاً فإنك ضمن هذه المملكة التي لا ملك لها إلا الله.

ولا ينفعك وليٌ ترجوه وتطلب بجاهه فلا جاه إلا لله ولا يكون الدعاء إلا لله، ولا يغفر الذنب إلا هو ولا يرزق إلا هو، ولا ينصر الإنسان أحدٌ من دون الله فلا سلطان يقارب سلطانه ولا يدانيه.

رسالة التوحيد

رسالة التوحيد لم نكن أول من دعي إليها وإن كانت رسالة الإسلام أكمل واتم رسالة نزلت ورسولها محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين، فإن رسالة التوحيد قد جاءت لأقوام قبلنا لكن حرفوا الكلم عن مواضعه يبتغون به ثمناً قليلاً ألا ساء ما كانوا يعملون **﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾** لا يبتعد عن التوحيد إلا من استصغر عقل نفسه فجعل نفسه من السفهاء الذين لا يفقهون، التوحيد ديانة إبراهيم الخليل عليه السلام **﴿ولقد اصطفيناه في**

---

(٤) سورة البقرة الآية (١٠٧).

الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾[٥] لقد اختاره ربه من بين الناس جميعاً لتقديم الشهادة ونشر كلمة الله لأنه ﴿إذ قال له ربه أسلم، قال أسلمت لرب العالمين﴾[٦] لقد أسلم بناء على أمر ربه وآمن دون نقاش، ونقل هذا الإيمان إلى أبنائه من بعده وأحفاده الـذين أدركهم حياً: ﴿ووصى بهـا إبراهيم بنيه ويعقوب: يا بني إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[٧]، ومنهم إلى أولادهم ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾[٨]، ولذا كان الأمر أيضاً لمن آمن برسالة رسول الهدى محمد ﷺ بأن يؤمنوا بكل الأنبياء والكتب والرسل الذين جاؤوا من قبل ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ أي القرآن الكريم ﴿وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط﴾ الدين الحنيف والتوحيد ﴿وما أوتي موسى﴾ التوراة ﴿وعيسى﴾ الأنجيل ﴿وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[٩].

ولقد شددت الآيات أن التوحيد والإسلام هو الدين عند الله. وقال تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾[١٠] إلهكم واحد، لا ند له ولا شبيه ولا ولد ولا زوجة ولا شريك ومن طلب آية برهاناً على هذا فـ﴿إن في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فأحيـا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كـل دابـة وتصـريف الريـاح المسخر بين السمـاء والأرض لآيات لقـوم يعقلون﴾[١١] ورغم هذه الآيات فإن من الناس من ألحد وأنكر الألوهية إنكاراً مطلقاً والعياذ بالله ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ نعم هؤلاء أيضاً قد تعلقوا بأشخاص جعلوهم لكثرة محبتهم لهم وتعلقهم بهم

(٥) سورة البقرة الآية ١٣٠.
(٦) سورة البقرة الآية ١٣١.
(٧) سورة البقرة الآية ١٣٢.
(٨) سورة البقرة الآية ١٣٣.
(٩) سورة البقرة الآية ١٣٦.
(١٠) سورة البقرة الآية ١٦٣.
(١١) سورة البقرة الآية ١٦٤.

أنداداً لله وجعلوا محبتهم لهم معادلة لمحبة الله فقد أشركوا دون أن يدروا ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ لأنه لا أحد من المخلوقات يمكن أن يستحق من الحب حبنا لله تعالى، لكنهم يتمادون في هذا لأنهم لم يروا العذاب بعد ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾[١٢].

لكن هل يكفي أن نؤمن بالله فقط، وأن نرفع الدعاء قبل المشرق أو المغرب؟ يقول تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ إذاً ما هو البر ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ واحداً أحداً حياً صمداً لا شريك له ﴿واليوم الآخر﴾ يوم الحساب، يوم لا ينفع مال ولا بنون، فعلى العبد أن يكون واثقاً أن يوم الحساب آتٍ لا ريب فيه ﴿والملائكة﴾ ملائكة الرحمة وملائكة النقمة، الملائكة الحاسبين الذي يحصون أعمال البشر، حسنها وسيئها، مؤمنهم وكافرهم، موحدهم ومشركهم، الملائكة الذين منهم جبريل الذي أنزل القرآن على قلب الرسول (ﷺ) من لدن عليم حكيم، وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ملك الموت الذي هو حق على العباد والملائكة المسبحين بحمده بكرة وأصيلاً، ﴿والكتاب﴾ القرآن الكريم بكامله لا ينقص حرفاً ولا يزيد حرفاً، رسالة هدى وإيمان ونظام حياة وقانون مجتمع ﴿والنبيين﴾ والرسالات السماوية التي سبقت الإسلام لأنها إنما من عند الله جاءت ولكن حرّفها الذين يشترون بكلمات الله ثمناً قليلاً.

وعلى الإنسان أيضاً واجبات عليه أن يقوم بها قربى إلى الله ودليلاً على محبة العبد لربه وطاعته له ﴿وآتى المال على حبه﴾ تصدق وتزكى لـ ﴿ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب﴾ وهذه واجبات الإنسان تجاه أخيه الإنسان وهناك واجبات على الإنسان تجاه ربه ﴿وأقام الصلاة﴾ الصلوات المفروضة فرضاً والنوافل والتطوع المطلوب تقرباً إليه تعالى: ﴿وآتى الزكاة﴾ وزكى ما يأتيه من مال ضريبة عليه تجاه المجتمع ككل، لا كالصدقة التي هي واجب تجاه إخوانه كأفراد ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ لأن من لا يفي بعهده فهو كاذب ومنافق، ومن يكذب وينافق على أخيه وهو أمامه صبحه

---

(١٢) سورة البقرة الآية ١٦٥.

ومساءه، يلتقيه ويجالسه فهو منافق وكاذب في دينه وإيمانه أكثر ﴿**والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس**﴾ الصابرين على جوع الصيام، والصابرين على محاولات الناس لتكفيرهم وإضلالهم والصابرين إذا نزلت بهم مصيبة أو مرض، والصابرين في الحرب والجهاد في سبيل الله لا يولون ادبارهم، بل يصمدون دفاعاً عن راية الحق ورسالة الإيمان فإذا اتصفوا بكل هذه الصفات ﴿**أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾(١٣).

إنها آية واحدة من آيات سورة البقرة ولكنها آية جامعة لما يرضي الله سبحانه وتعالى ولما يسخطه على عبده.

وإذا كان هذا ما يرضاه الله من المؤمنين، فماذا فعل المؤمنون ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾(١٤) وآيات التوحيد في القرآن الكريم كثيرة لا تحصى.

يقول تعالى: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾(١٥).؟

وقال: ﴿**آلم، الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾(١٦).

﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو**﴾(١٧).

﴿**الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، ومن أصدق من الله حديثاً**﴾(١٨).

الأنبياء والرسل

قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا**

---

(١٣) سورة البقرة الآية ١٧٧.
(١٤) سورة البقرة الآية ٢٨٥.
(١٥) سورة البقرة من الآية ٢٥٥.
(١٦) سورة آل عمران الآيتان ١ - ٢
(١٧) سورة آل عمران من الآية ١٨.
(١٨) سورة النساء الآية ٨٧.

الطاغوت، فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[19].؟

إن الله سبحانه وتعالى دعا جميع الناس إلى التوحيد وترك عبادة الطاغوت من الشياطين أو الأصنام، فمن الناس من آمن واتقى وسلك درب الهداية فهداه الله إلى النور وكتبه مع المؤمنين والصديقين والشهداء، كلٌ بحسب عمله.

ومنهم من أصر على الكفر والاستكبار وعبادة الأصنام فكتب مع المغضوب عليهم والضالين وساء سبيلاً، وكان مصيره جهنم وبئس المصير وكتب مع الكافرين والأشرار الذين لا منتهى لعذابهم ولا توبة لهم، إنما التوبة والإيمان في الحياة الدنيا، وفي الآخرة حساب لا ينفع فيه وساطة الوسطاء ولا مال الأغنياء ولا كثرة المتكاثرين.

ولقد أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم، أنه قد قص علينا في كتابه المبين قصص بعض الأنبياء فقط. **﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾**[20]. ومن الأنبياء الذين قص الله علينا وعلى رسوله الكريم قصصهم كان نبي الله نوح،عليه السلام.

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فقال يا قوم اعبدوا الله، ما لكم من إله غيره، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾[21]. لكن قومه استكبروا واشتروا الضلالة بالهدى واتهموا نبي الله بالضلال والبهتان.

لكنه، لم يتوان عن دعوتهم لمحبته لهم فهم قومه **﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسولٌ من رب العالمين* أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾**[22].

لكنهم أصروا على التكذيب واستصغروا شأنه أن يكون نبياً لأنه بشر مثلهم

---

(١٩) سورة النحل الآية ٣٦.

(٢٠) سورة النساء من الآية ١٦٤.

(٢١) سورة الأعراف الآية ٥٩.

(٢٢) سورة الأعراف الآيتان ٦١ - ٦٢.

ورجلٌ منهم فقال لهم: ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجلٍ منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون﴾[٢٣].

ولكنهم أصروا على الباطل وعلى تكذيبه ﴿فكذّبوه، فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين﴾[٢٤].

وتتابعت بعده الرسل إذ ما ان تمر فترة حتى يعود الناس إلى الشرك فهم بحاجة إلى التذكير من جديد وإلى رسالة جديدة تدعوهم للتوحيد وعبادة الله.

﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾[٢٥]. إنها نفس الدعوة وقد وردت بنفس الألفاظ في القرآن الكريم للكناية عن وحدة الدعوة إلى التوحيد﴿أعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ ونفس النصيحة لكل قوم، التبليغ والنصيحة. ﴿أبلغكم رسالات ربي وإني لكم ناصحٌ أمين﴾[٢٦] ونفس الرفض من المشركين والعجب أن النبي رجلٌ منهم. ونفس النهاية ألا وهي التدمير لمن كفر وإن اختلفت هذه النهاية من حيث الشكل، والنجاة للنبي ولمن آمن معه ﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾[٢٧].

وبنفس الصيغة ترد دعوة صالح عليه السلام لقومه في سورة الأعراف وسورة هود وسواها.

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾[٢٨].

---

(٢٣) سورة الأعراف الآية (٦٣).
(٢٤) سورة الأعراف الآية (٦٤).
(٢٥) سورة الأعراف الآية (٦٥).
(٢٦) سورة الأعراف الآية (٦٨).
(٢٧) سورة الأعراف الآية (٧٢).
(٢٨) سورة هود الآية (٦١).

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾(٢٩). لكن لم يؤمن أيضاً إلا القليل فأنجاهم الله. ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾(٣٠). وهكذا تم تدمير الكافرين، عادٌ قوم هود بريح صرصر عاتية، وثمود قوم صالح أخذتهم الصيحة.

لكن الله سبحانه وتعالى يحب عباده ويرجو لهم الخلاص والتوبة، فكلما عادوا إلى المعصية أرسل لهم من يهديهم سواء السبيل. ولم يدع قوماً لم يرسل لهم من يدعوهم إلى الخير والفلاح. ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾(٣١). وكيف كانت نهايتهم ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾(٣٢). أما الذين آمنوا واهتدوا فقد نصرهم الله.

أما قوم لوط فقد جاؤوا بالمنكرات التي لم يسبقهم إليها أحدٌ من العالمين.

﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين* إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قومٌ مسرفون﴾(٣٣).

والتصقت بهم اللعنة إلى يوم الدين فكل من أتى عملهم سمي لواطياً، أو لوطياً أي أنه من قوم لوط، ولقد دعاهم نبيهم إلى ترك هذا العادة المشنة فماذا كان ردهم؟ ﴿ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناسٌ يتطهرون ﴾(٣٤).

أنظروا نوع التهمة ونوع العمل الذي كرهوا لوط لأجله ﴿إنهم أناس

---

(٢٩) سورة الأعراف الآية (٧٣).
(٣٠) سورة هود الآية (٦٧).
(٣١) سورة الأعراف الآية (٨٥).
(٣٢) سورة الأعراف الآية (٩١).
(٣٣) سورة الأعراف الآيتان (٨٠ ـ ٨١).
(٣٤) سورة الأعراف الآية (٨٢).

يتطهرون﴾ أي أنهم هم أناس لا يتطهرون ويفضلون النجاسة على الطهر والطهارة فلا مكان بينهم لمتطهر.

وكانت عاقبتهم شر عاقبة نالها كافر أو جاحد، لقد جعل الله سبحانه وتعالى عاليها سافلها وأمطر عليهم مطراً من نار لم يبق منهم أحداً حتى امرأة لوط لأنها كانت تتابعهم على عملهم وخانت زوجها بأن أبلغتهم بضيوفه **﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين، وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾**(٣٥).

وما زالت بحيرة لوط (البحر الميت) أثراً باقياً على ما أصابهم لتكون عبرة للعالمين ولا يعبتر إلا المؤمنون، أما الذين كفروا فلقد عادوا إلى عمل قوم لوط، فرماهم الله بالأمراض التي لم تصب قوماً قبلهم في العالمين، فمن له عينان فلينظر ومن له عقل فليفهم وليتعظ، ألا ساء ما كانوا يفعلون.

إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء:

أما سيدنا إبراهيم عليه السلام، فلقد نشأ وسط قوم يعبدون الأصنام والأوثان، يصنعونها من الحجارة ويتعبدون لها، فلم يقتنع بما يفعلون. **﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾**(٣٦).

لقد عرف بحدسه أنهم على ضلال، لكنه لم يكن قد اهتدى بعد للإيمان الصحيح **﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال: لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي، هذا أكبر، فلما أفلت قال: يا قوم إني بريء مما تشركون﴾**(٣٧).

لكن الله، سبحانه وتعالى هداه وأرشده للإيمان الصحيح ولتوحيد خالقه عز

---

(٣٥) سورة الأعراف الآيتان (٨٣ ـ ٨٤).

(٣٦) سورة الأنعام الآية (٧٤).

(٣٧) سورة الأنعام الآيات (٧٦ ـ ٧٨).

وجل فقال عليه السلام: ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[٣٨].

فلما حاجه قومه في خروجه على دينهم وتركه لعبادة أصنامهم إلى عبادة الواحد الأحد الحي القيوم قال: ﴿ أتحاجُّوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علماً، أفلا تتذكرون﴾[٣٩].

لكنهم لم يكتفوا بالنقاش والحوار معه، فبعد أن حطم أصنامهم قالوا: ﴿حرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾[٤٠].

وجمعوا الحطب حتى ملأوا منه وادياً ورموا إبراهيم عليه السلام فيه ووقفوا ينتظرون احتراقه، لكن الله سبحانه وتعالى، نصر نبيه ورد كيدهم إلى نحرهم ونجَّاه ليكون ذلك عبرة لهم ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ [٤١].

وقصته مع النمرود معروفة، هذا النمرود الذي أدعى الألوهية فقال له سيدنا إبراهيم، إن الله يحيي ويميت، فقال النمرود. وأنا أحيي وأميت، وجاء برجلين، فقال هذا اقتلوه فقد أمته، وذاك دعوه فقد أحييته.

وهذا تهرب واضح، لأن الله يخلق الخلق ويحيي العظام وهي رميم، أما ما فعله النمرود إنما هو فعل الحكام بالمحكومين وليس فعل رب العالمين.

لكن إبراهيم عليه السلام كان صبوراً فتحمل منه هذا الأمر وجاءه بما هو أعظم منه.

﴿ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه، أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم

---

(٣٨) سورة الأنعام الآية (٧٩).

(٣٩) سورة الأنعام الآية (٨٠).

(٤٠) سورة الأنبياء الآية (٦٨).

(٤١) سورة الأنبياء الآيتان (٦٩ - ٧٠).

ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٤١].

ولإيمان إبراهيم وتقاه كرّمه ربه بأمور عديدة. فمنها ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾[٤٢].

ومدحه في كتبه فقال في القرآن الكريم ﴿إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب﴾[٤٣].

ورغم كبر سنه دون أولاد، فقد وهبه من هاجر إبناً هو اسماعيل، ومن زوجه سارة رغم كبرها وعقمها فقد فتح الله رحمها فحملت وولدت له أيضاً إسحاق وولد إسحاق يعقوب، فشكر ربه ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق، ان ربي لسميع الدعاء﴾[٤٤].

وإما إسماعيل عليه السلام فكتب له أن يبني مع أبيه بيت الله الحرام. ولذا فمنذ طفولته جعل الله مكة سكناه، حينما حمله أبوه مع أمه هاجر وأسكنهما فيها ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس، فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم، ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[٤٥].

ولم يكن له حينها إلا إسماعيل ولداً.

واختبره ربه مرة ثانية عندما أوحى إليه أن يقدم ابنه ذبيحة قربـانـاً.

﴿فلما بلغ معه السعي قال: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟﴾ لكن إسماعيل عليه السلام الذي تربى في طاعة الله لم يخف ولم

(٤١) سورة البقرة الآية (٢٥٨).
(٤٢) سورة النساء الآية (١٢٥).
(٤٣) سورة هود الآية (٧٥).
(٤٤) سورة إبراهيم الآية (٣٩).
(٤٥) سورة إبراهيم الآيات (٣٥ - ٣٧).

يرتجف ولم يعص أمر ربه بل ﴿قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾(٤٦).

لقد كانا معاً الوالد والولد على مستوى الاختبار الذي أراده الله فلم يعصيا أمره ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾(٤٧) ولذا كانت رحمة الله أكبر وأوسع من أن تفجع نبيه بابنه الوحيد. ﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين﴾(٤٨)، إن ما امتحنت به كان أمراً عظيما و﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾(٤٩)، ولذا فإن الله قد قبل منك تقدمتك كأنك قدمتها اما إسماعيل عليه السلام ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾(٥٠)، هذا الذبح، هذا الكبش، فقدمه بدلاً عنه.

إضافة إلى تكريمك بل جعلنا في الآخرين الآتين بعدك ذكراً دائماً لك و﴿سلام على إبراهيم﴾(٥١). ليس هذا فحسب بل أيضاً سنرزقك بولد آخر ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾(٥٢).

ولقد اصطفى الله آل إبراهيم وجعل من عقبه الأنبياء فقال تعالى: ﴿إن الله إصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾(٥٣)، وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة﴾(٥٤).

ولقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه قد أوحى لسيدنا محمد (ص) كما أوحى للنبيين من قبل ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من

---

(٤٦) سورة الصافات الآية (١٠٢).
(٤٧) سورة الصافات الآية (١٠٣).
(٤٨) سورة الصافات الآيتان (١٠٤ ـ ١٠٥).
(٤٩) سورة الصافات الآية (١٠٦).
(٥٠) سورة الصافات الآية (١٠٧).
(٥١) سورة الصافات الآية (١٠٩).
(٥٢) سورة الصافات الآية (١١٢).
(٥٣) سورة آل عمران الآيتان (٣٣ ـ ٣٤).
(٥٤) سورة الحديد الآية (٢٦).

بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليماً﴾(٥٥). وكان محمد بن عبد الله، النبي الطاهر الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين ومن ذرية إبراهيم وإسماعيل اللذين طهرا البيت للطائفين.

الرسول الكريم:

ومن الأحاديث النبوية في الإيمان والتوحيد.

ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله (ص) أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان».

كما روى أبو هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب عن النبي (ﷺ) قال: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر».

وروى البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي عن عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟

فقال رسول الله (ﷺ): الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

---

(٥٥) سورة النساء الآيتان (١٦٣ ـ ١٦٤).

قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه[٥٦].

قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟

قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: فأخبرني عن الساعة؟

قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

قال: فأخبرني عن أماراتها؟

قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان.

قال (أي عمر): ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

وروى البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من عمل».

وروى الترمذي ومسلم عن العباس بن عبد المطلب عن النبي (ص) قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً».

---

(٥٦) يثني على ما يقول ويؤكده.

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن أنس عن النبي (ص) قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من إيمان ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة[٥٧] من إيمان ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان».

---

(٥٧) حَبة قمح.

الفَصْـلُ الثَـالِث

نفي الشرك

قال تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، ءآللّه خير أمّا يشركون؟ أمّن خلق السمٰوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، أإله مع الله؟ بل هم قوم يعدلون* أمّن جعل الأرض قراراً، وجعل خلالها أنهاراً، وجعل لها رواسي، وجعل بين البحرين حاجزاً، أإله مع الله؟ بل أكثرهم لا يعلمون* أمّن يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السُّوء، ويجعلكم خلفاء الأرض، أإله مع الله؟ قليلاً ما تذكّرون* أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر، ومن يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته، أإله مع الله؟ تعالى الله عما يشركون أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده، ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[1].

والشرك بالله، قديم، وادعاء الناس للألوهية قديم، فمن الذين ادعوا الألوهة، النمرود الذي جابهه سيدنا إبراهيم عليه السلام.

---

(١) سورة النمل الآيات (٥٩ ـ ٦٤).

ومنهم أيضاً فرعون الذي تصدى له كليم الله موسى عليه السلام إذ دعاه إلى عبادة رب العالمين ﴿قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون؟ * قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾[٢].

لكن إذا تجاوزنا هذه المرحلة من الزمن لنصل إلى الفترة مما قبل الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، فنرى أن عبادة الأصنام والأوثان قد زالت إلا في بعض البلاد التي ما زالت تعيش ربقة التخلف الحضاري والاجتماعي وسنتحدث عنها أيضاً بعد الحديث عن عيسى عليه السلام ومعجزة ميلاده التي أدت عند بعض الناس، إلى الشرك بالله والعياذ بالله.

نظرة تاريخية:

ولدت الدعوة المسيحية في فلسطين وفلسطين يومذاك تحت الحكم الروماني الوثني، الذي يعبد عدداً كبيراً من الآلهة التي منها ما ورثها من الفينيقيين ومنها ما ورثها من اليونان، بالإضافة إلى ما لدى اللاتين. وكان القيصر الروماني، كفرعون المصري يعتبر نفسه إلهاً أو ابن إله يحكم على الأرض بحق آلهي لا ينازعه فيه أحد يملك في قومه وعلى قومه حق الموت والحياة.

وكان مقدار عظمة أي قيصر روماني بمقدار ما يشيد من معابد لهذه الأوثان والأصنام والآلهة المتعددة. إضافة ألى أن كل قيصر كان يتقرب من إله معين يعتبره نصيره وسنده، والمقرب منه، فيرفع كهنة هذا الإله إلى مرتبة تفوق مراتب كهنة الآلهة الأخرى.

وكانت الآلهة الأعظم لدى الرومان هي:

(١) الشمس: وقد صنعوا لها المعابد العظيمة والتي منها معبد هيليو بوليس، بعليك، الذي ما زال قائماً إلى يومنا هذا. وكانت الشمس (والشمس باللغة اللاتينية مذكر لا مؤنث) إله العطاء والحياة وإليها يخرج الرجل بمولوده فور ولادته ليريها ما أتاه من ولد لتباركه وتحميه وترزقه.

---

(٢) سورة الشعراء الآيات (٢٣ ـ ٢٦).

(٢) أفروديت: وهي آلهة الجنس والحب والصيد، تتقرب لها الفتيات بالقرابين لترسل إليهن العرسان والأزواج ولتمنحهن نعمة الحب.
وقد أقاموا بيوت العهر والفسوق في معابدها واعتبروا هذا العمل نوعاً من الرهبانية لها.

فالرهبانية موجودة لديهم منذ العصر اليوناني، والمترهب أو المترهبة يقتصر عملهما على خدمة الهيكل والوثن.

والمترهبات لأفروديت كن يبعن أجسادهن لكل طالب لجمع الأموال للهيكل. أما المترهبات لسواها فلا يقمن بهذا العمل ولكن يقاسين شظف العيش.

(٣) مارس: وهو كوكب المريخ، وكان يعتبرونه إله الحرب الذي يقودهم إلى الانتصارات على الشعوب الأخرى التي يحاربونها، ويعتبر المحاربون أنفسهم أبناءه وإليه يقدمون الأضحيات البشرية ليمنحهم النصر وباسمه يرتكبون المجازر في أبناء البلاد التي يحتلونها.

(٤) فولكان: والكلمة تعني البركان، ولكنهم قد جردوها من صفتها الشيئية كجبل وجعلوه إلهاًللسلاح والحديد وكل حداد صانع سلاح وسيوف، كان يعبتر نفسه إبناً لفولكان، أما عامة الناس فكانوا يعتبرون أن الحداد الجيد الخبير الذي يصنع الأسلحة الممتازة فقط إبناً له.

(٥) باخوس: وقد أعطوه العديد من الأسماء لكن هذا الإسم اليوناني الأصل كان أشهرها، وهو إله العنب والخمر ويوم عيده كان يوم فسوق ومجون وانحلال جماعي يخرجون فيه إلى الطرقات والأماكن العامة رجالاً ونساءً يشربون الخمور حتى يفقدوا الصواب وبعدها، والعياذ بالله.، يخلع الناس العذار ويختلط الحابل بالنابل إلى الصباح.

ولدى اليونان الأساطير الكثيرة التي أخذها الرومان واللاتين عنهم وخاصة قصة زفس وكرونوس والأرض.

كرونوس (زحل) هو الإله الأب الذي تزوج الأرض فأنجب منها زفس الإله الإبن الذي أخذ مكان أبيه وحكم مملكته بدلاً منه والأرض هي أم الإله الإبن.

والحديث في هذا الموضوع يطول ونكتفي منه بهذا القدر لنرى انعكاس هذه الأساطير في المسيحية الرومانية التي ابتعدت كثيراً عن مسيحية المسيح عليه السلام. وكان لدى الرومان واليونان لكل مدينة إلهاً حارساً يحميها وتتقرب إليه بالبخور والقرابين وتقيم له الاحتفالات.

وهذه العادة أيضاً انتقلت إلى المسيحية فلنر كيف تم هذا الأمر.

في البداية حاربت الدولة الرومانية الديانة الجديدة واضطهدت معتنقيها حتى أنها كانت تلقي بهم طعاماً للأسود الجائعة.

ونيرون قد أحرق روما ليلقي بالتبعة على المسيحيين لينكل بهم. وكان أكثر المؤمنين من الفقراء وعامة الناس، وقليلاً قليلاً بدأ الدين الجديد ينتشر بين صفوة المجتمع الروماني حتى صار ديناً للدولة.

فماذا حدث عند ذاك.

انعكست الآية، وصار من لا يؤمن بالديانة المسيحية يرمى للأسود تنوشه.

والبلاد الرومانية التي لا تقبل الديانة الجديدة تحرق وتدمر وهم ها هنا يتهمون الإسلام بأنه انتشر بالسيف فانظر أين سماحة الإسلام وقبوله ببقاء الناس على ديانتهم مقابل رميهم للأسود وحرقهم وتدميرهم. لكن الحقد أعمى ولله في خلقه شؤون.

ونقلوا ديانتهم الوثنية وبالتدريج إلى المسيحية، حتى أعياد الوثنية صارت أعياداً مسيحية.

أولاً، الثلاثي الروماني اليوناني تحول إلى أقانيم ثلاثة، الله الأب، حل محل كرونوس، والإله، الإبن المسيح حل محل زفس وأم الإله العذراء مريم حلّت محل الأرض أم الإله في العقائد الوثنية.

إله المدينة، حلّ محله قديس المدينة، فلكل مدينة أو قرية قديس تقيم على إسمه الكنائس وتقام له الإحتفالات ويشعل البخور.

والإله الحامي للأفراد، كما نرى مثلاً في الإلياذة بوضوح، نرى بدلاً منه القديس الشفيع الذي يحمل إسمه. والرهبانية الوثنية صارت رهبانية للعذراء.

وكرنفال الوثنية صار عيد البربارة. وعيد باخوس إله الخمر صار خميس السكارى. وعيد الإلهة سيريس صار عيد الغطاس.

وفبرك الرومان أسباباً لكل احتفال احتفلوه وغيروه لكي لا يتركوا عاداتهم الوثنية مع الديانة الجديدة، وكان آخرها وأخطرها هي الأوثان والأصنام، فبعد أن خلصتهم المسيحية من عبادة الأوثان، عادت هذه العبادة بشكل مقنع جديد وهو صناعة التماثيل لعيسى عليه السلام ومريم العذراء عليها السلام ووضعوها في كل كنيسة يؤدون أمامها الصلاة ويشعلون لها البخور وأقاموا التماثيل أيضاً للقديس والأنبياء ويتعبدون أمامها.

ومن الملفت للنظر، تمثال النبي داود عليه السلام الذي صرفت الكرسي البابوية آلاف الليرات الذهبية على نحته هو تمثال عارٍ، ليس فيه شيء من قداسة النبوة التي اختصها الله بداود.

ووضع التمثال نفسه ونسخ عنه في الساحات العامة. فهل هذا هو التقدير للأنبياء؟ /

وهل هذا هو التدين؟

وهل هذا هو ما دعا إليه عيسى عليه السلام؟ إن بين عيسى الناصري عليه السلام وعيسى النصارى الذي صنعته الوثنية الرومانية فرقاً عظيماً.

وكما قال المسيحي جبران خليل جبران، الكاتب الكبير والشاعر أن عيسى الناصري وعيسى النصارى يلتقيان مرة كل سنة ويتناقشان طيلة الليل وعند طلوع الصباح يفترقان وكل واحد يقول لصاحبه لن نتفق يا صاحبي أبداً.

ونكتفي هنا بهذا القدر، لأننا لسنا في صدد دراسة مقارنة بين المسيحية الرومانية والوثنية الرومانية وما ورثته الأولى عن الثانية وما شوهت الثانية بالأولى لأن ذلك يحتاج إلى دراسة متخصصة مستفيضة سنحاول إن شاء الله أن تصدرها في دراسة مستقلة.

ونعود لكتاب الله عز وجل وهو أعز قائل لنرى ماذا قال سبحانه وتعالى في ذلك.

المباهلة:

وهنا نحب أن نذكر حادثة المباهلة التي فرَّ منها نصارى نجران وكهنتهم خوفاً مما سيرميهم به الله ورغم ذلك أصروا على ما هم عليه من شرك.

﴿إن مثل عيسى عند الله، كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون* الحق من ربك فلا تكن من الممترين* فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين* إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم* فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين﴾[٣]. ولقد تولوا ورفضوا المباهلة بعد أن استعدوا لها، ولكن عندما رأوا الرسول ﷺ قد أقبل ومعه ابنته وأحفاده وابن عمه وهم أي أهل نجران قد أقبلوا بزينتهم وبطارقتهم علموا أن الوبال سيحيق بهم ورغم ذلك لم يتراجعوا عن شركهم وإن تراجعوا عن المباهلة نفسها.

الرد على التثليث:

﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه، بل له ما في السموات والأرض، كلٌ له قانتون* بديع السموات والأرض، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[٤].

لقد قال بعضهم إن الله قد اتخذ من عيسى المسيح ولداً، وقالت اليهود بأن العزير إبن الله، وقالوا إن الله يتجلى في أقانيم ثلاثة، الأب والإبن والروح القدس.

أي أن هناك الله نفسه هو الخالق وهو الله، وهناك المسيح وهو الله أيضاً، استغفر الله العظيم، وهو في نفس الوقت ابن لله وبه يكون الخلاص. وهناك الروح القدس، الذي هو جبريل عليه السلام، هو أيضاً الله استغفر الله العظيم،

---

(٣) سورة آل عمران الآيات (٥٩ ـ ٦٣).

(٤) سورة البقرة الآيتان (١١٦ ـ ١١٧).

كيف يكون المسيح هو الله، وهو مخلوق من لحم ودم، ويأكل ويشرب، يستيقظ وينام، ويقضي حاجته وكيف تكون حال الكون عندما ينام؟..

وكيف لا يختلف الإبن مع أبيه والأب مع ابنه. لقد صعب عليهم أن يخلق الله رجلاً من رحم امرأة بغير رجل فكيف يوقنون بأن آدم عليه السلام قد خلق من تراب، بلا رجل ولا امرأة، وحواء خلقت من ضلع آدم بلا حمل في رحم، كيف يوقنون بهذا ويؤمنون به ويصعب عليهم أن يؤمنوا بأن الله قد خلق إنساناً فيه كل ضعف الإنسان وكل مزاياه وإن فضله الله بالنبوة على سواه؟

وإذا كان عيسى عليه السلام قد نفخ الله فيه من روحه، فآدم أيضاً فيلزم عن اعتقادهم بأن نفخ الله في عيسى قد جعله ابناً لله استغفر الله، إن آدم أيضاً ابن لله لقد عدنا إلى الوثنية بهذا والعياذ بالله.

إن الله، إذا أراد أن يخلق شيئاً، فهو قادر على خلقه من العدم، من اللاشيء، يقول له كن فيكون.

ورداً على الذين ادعوا أن المسيح عليه السلام قد قال لهم انه ابن الله (استغفر الله) وأنه إله يعبد، قال تعالى: **﴿ما كان لبشرٍ أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة، ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين، بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون؟﴾**[٥]، وختاماً لهذا الحوار مع هؤلاء المصرين على ما هم عليه من الضلالة والكفر والشرك، قال تعالى: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[٦].؟

ولكن هل كان كل أهل الكتاب على هذا الشرك، كلا فقد ذكر الله تعالى: **﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين**

---

(٥) سورة آل عمران الآيتان (٧٩ - ٨٠).

(٦) سورة آل عمران الآية (٨٥).

لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً. أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب﴾[7].

ولقد حاول الرسول (ص) بما أنزل عليه من كتاب الله أن يثني هؤلاء المشركين عن شركهم وصبر عليهم ودعاهم مرات ومرات كما أمره ربه عز وجل فآمن بعضهم واستكبر آخرون، وهم لا يضيرون الله بشيء إنما الضرر والضرار عليهم.

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم، إنما الله إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد، له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً، لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾[8].

لكن من تربى على الشرك حتى خالط منه اللحم والعظم والدم وبلغ به الإستكبار مداه، وكتب الله عليه العذاب، فإن الإيمان لم يجد إليه سبيلاً لأن الشيطان قد استحوذ على روحه كلها ولذا حكم الله على هؤلاء المستكبرين بالكفر كما جاء في العديد من الآيات.

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾[9].

وفي نفس السورة، سورة المائدة نرى الحديث عنهم وإليهم من الله سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾، ان التكرار هنا للوعظ والإنذار والتحذير وقد جاء هذا التحذير من قبل على لسان المسيح عليه السلام نفسه ﴿وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي

---

(٧) سورة آل عمران الآية (١٩٩).

(٨) سورة النساء الآيتان (١٧١ - ١٧٢).

(٩) سورة المائدة الآية (١٧).

وربكم﴾ وهذا توكيد على عبوديته لله وأنه لا يستكبر أن يكون عبداً لله ومن يقدر أصلاً على الاستكبار عن هذا؟ وبين لهم جزاء من يفعل ذلك ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إلهٌ واحدٌ﴾ أي سواء في الشرك من يقول ان الله ثلاثة في واحد، أي ذو أقانيم ثلاثة، ومن يقول ثلاثة آلهة فالإثنان سواء في الشرك والكفر﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون لَيَمَسَّنَّ الذين كفروا عذاب أليم﴾.

وبعد هذا الانذار والتحذير جاءت الدعوة إلى التوبة والإيمان ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ ثم يبين سبحانه وتعالى صفات عيسى بن مريم عليه السلام ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل، وأمه صدِّيقة كانا يأكلان الطعام﴾ أي إنهما بشر كباقي البشر وإن كان الله قد اختص عيسى بالرسالة وكرَّم السيدة مريم، إن الله سبحانه وتعالى يحاول أن يقرب الأمر إلى أفهامهم، لأن الله لا تأخذه حاجة إلى الطعام والشراب وعيسى عليه السلام كان يأكل ويشرب، سبحانك ربنا، لم يأت القرآن هنا بوصف وكلمات صعبة على الأفهام لكي لا يترك لهم حجة في أنهم لم يفقهوا ما قيل ولذا أصروا على ما هم عليه ﴿أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون؟﴾[10]، وبعدها عاد مرة أخرى إلى النصح والإرشاد ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم، قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾[11]، إنه يعلِّم رسوله ﷺ كيف يناقشهم وكيف يقرب الأمر إلى أفهامهم.

ثم نقل سبحانه الحوار إلى عيسى عليه السلام. ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقٍ، إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علَّام الغيوب* ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ان أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنتَ أنتَ

(١٠) سورة المائدة الآيات (٧٢ ـ ٧٥).

(١١) سورة المائدة الآيتان (٧٦ ـ ٧٧).

الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد* إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[١٢].

ولما لم يتعظوا ولم يؤمنوا جاءه (ص) الأمر من ربه أن يدعهم في طغيانهم يعمهون ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل﴾[١٣].

ولقد بين لنا سبحانه وتعالى، أن كل ذنب يمكن لله أن يغفره لعبده إلا الشرك بالله فلا غفران له وجزاؤه جهنم خالداً فيها أبداً لا خلاص ولا مناص له منها. لأن الموحِّد إذا أخطأ واستحق العقاب فإن لعقابه آخراً وبعد أن ينتهي عقابه يعود إلى جنة ربه أما المشرك فعذابه مستمر لا يتوقف ولا ينتهي.

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾[١٤].

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾[١٥].

﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾[١٦].

﴿ ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾[١٧]. والمدحور هو المطرود من رحمة الله.

﴿ ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر، إني لكم منه نذيرٌ مبين ﴾[١٨] وقال

---

(١٢) سورة المائدة الآيات (١١٦ ـ ١١٨).
(١٣) سورة الأنعام الآيتان (١٠٦ ـ ١٠٧).
(١٤) سورة النساء (٤٨).
(١٥) سورة النساء (١١٦).
(١٦) سورة الإسراء (٢٢ ـ ٢٣).
(١٧) سورة الإسراء (٣٩).
(١٨) سورة الذاريات (٥١).

تعالى: ﴿أم لهم إله غير الله؟ سبحان الله عمـا يشركون﴾[19] تعالى الله عما يشركون علواً كبيراً.

وأخيراً نريد أن نقول كلمة قبل ختام هذا الفصل، وهي إن جعل الله سبحانه وتعالى، جلّ عما يشركون، في أقانيم ثلاثة، يعني أنه قابلٌ للتجزئة وما هو قابل للتجزئة قابل للزيادة والنقصان وتعالى الله عن أن يكون قابلاً للزيادة والنقصان.

وما هو قابل للزيادة والنقصان ينطبق عليه قانون التحول والموت والفناء، سبحان الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الواحد الأحد الصمد الذي لا يموت و نورد ها هنا قول الله تعالى:

﴿إن في السمٰوات والأرض لآياتٍ للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابةٍ آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق، فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح، آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق، فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟﴾[20].

---

(١٩) سورة الطور الآية (٤٣).

(٢٠) سورة الجاثية الآيات (٣-٦).

الفصل الرابع

إيجاب الدعاء
بأسماء الله الحسنى

جاء في كتاب الله الكريم وفي العديد من الآيات دعوة لنا كي ندعو الله بأسمائه الحسنى ونسبحه بها.

جاء في سورة الإسراء:
﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾[1].

كما جاء في سورة طه:
﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾[2].

وكذلك في سورة الحشر
﴿ هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾[3].

---

(١) الآية (١١٠).
(٢) الآية (٨).
(٣) الآية (٢٤).

وجاء في سورة الأعراف:

﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[4].

وجاء في كتاب الله، في الكثير من الآيات دعوة لنا لذكر الله وتسبيحه ومنها قوله تعالى في سورة الإنسان:

﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾[5].

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر»[6].

وأسماء الله الحسنى حسب السنة النبوية المطهرة هي الآتية:

الله : وقد ورد هذا الاسم في البسملة وفي أكثر آيات القرآن الكريم وعدد مرات وروده تسعمائة وثمانون مرة (٩٨٠) (عدا البسملة).

الرحمن : ورد هذا الاسم في البسملة وفي الكثير من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده سبع وخمسون مرة (عدا البسملة).

الرحيم : ورد هذا الاسم في البسملة وفي الكثير من سور القرآن الكريم أيضاً وعدد مرات وروده خمس وتسعون مرة (عدا البسملة).

الملك : ورد هذا الاسم في السور التالية: طه، المؤمنون، الحشر، الجمعة، الناس.

القدوس : ورد هذاالاسم في سورتي الحشر والجمعة.

السلام : ورد هذا الاسم في سورة الحشر.

المؤمن : ورد هذا الاسم في سورة الحشر أيضاً.

---

(٤) الآية (١٨٠).
(٥) الآيتان (٢٥ ـ ٢٦).
(٦) الفرد.

المهيمن : ورد هذا الاسم في سورة الحشر فقط.

العزيز : ورد هذا الاسم في الكثير من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده ثلاث وتسعون مرة (٩٣).

الجبار : ورد هذا الاسم في سورة الحشر.

المتكبر : ورد هذا الاسم في سورة الحشر أيضاً.

الخالق : ورد هذا الاسم في السور التالية: الأنعام، الرعد، الحجر، فاطر، ص، الزمر، غافر، الحشر..

البارىء : ورد هذا الاسم في سورتي البقرة والحشر.

المصور : ورد هذا الاسم في سورة الحشر وفي غيرها بصيغة الفعل المنسوب إلى الله تعالى.

الغفار : ورد هذا الاسم في سور طه، ص، الزمر، غافر وفي سورة نوح بدون تعريف (غفاراً).

القهار : ورد هذا الاسم في سور يوسف، الرعد، إبراهيم، ص، الزمر، غافر.

الوهّاب : ورد هذا الاسم في سورتي آل عمران، ص.

الرزّاق : ورد هذا الاسم في سورة الذاريات أما في سواها فورد بصيغة الفعل (يرزق) المنسوب لله تعالى.

الفتّاح : ورد هذا الاسم في سورة سبأ.

العليم : ورد هذا الاسم في أكثر سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده مائة وسبع وخمسون مرة (١٥٧).

القابض : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل «يقبض» في سورتي البقرة والفرقان.

الباسط : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل «يبسط» المنسوب لله تعالى في السور

التالية: البقرة، الرعد، الإسراء، القصص، العنكبوت، الروم، سبأ، الزمر، الشورى.

الخافض . ورد هذا الاسم كصفة للواقعة في قوله تعالى: ﴿ ليس لوقعتها كاذبة، خافضة رافعة ﴾[7] كما جاء في سورة الشعراء بصيغة الأمر من الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾[8].
كما ورد بنفس الصيغة في سورتي الحجر والإسراء

الرافع ورد أيضاً بصيغة الفعل كما مر معنا في سورة الواقعة وفي صيغة الفعل كما في سورتي البقرة والأنعام وسواهما كما في سورة الشرح في قوله تعالى: ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾[9] وفي سورة الرحمن ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان﴾[10] الخ

المعز : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ وتعزُّ من تشاء وتذل من تشاء ﴾[11] وبصيغة المصدر في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ فإن العزة لله جميعاً ﴾[12]. وكذا في سور يونس، وفاطر، وص، والمنافقين.

المُذل ورد هذا الاسم بصيغة الفعل في سورة آل عمران في الآية المذكورة أعلاه ﴿ تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾[11].

السميع : ورد هذا الاسم في الكثير من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده ستة وأربعون مرة.

---

(7) سورة الواقعة الآية (2).
(8) سورة الشعراء الآية (215).
(9) سورة الشرح الآية (4).
(10) سورة الرحمن الآية (7).
(11) سورة آل عمران الآية (26).
(12) الآية (139).

البصير : ورد هذا الاسم في الكثير من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده اربع واربعون مرة.

الحكم : ورد هذا الاسم في سورة الأنعام ﴿ **أفغير الله أبتغي حكماًوهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً** ﴾[١٣] أما في سواها من السور فقد جاء بصيغة الفعل كما في سورة الزمر ﴿ **إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون**﴾[١٤].

العدل : ورد هذا الاسم بصيغة الأمر من الله لعباده في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ **أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله** ﴾[١٥] أو بصيغة المصدر كما في قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ **ونمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً** ﴾[١٦].

اللطيف : ورد هذا الاسم في السور التالية: الأنعام، يوسف، الحج، لقمان، الشورى، الملك، الأحزاب.

الخبير : ورد هذا الاسم في الكثير من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده خمس وأربعون مرة.

الحليم : ورد هذا الاسم في الكثير من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده خمس عشرة مرة.

العظيم : ورد هذا الاسم في كثير من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده خمس عشرة مرة.

الغفور : ورد هذا الاسم في كثير من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده واحد وتسعون مرة.

---

(١٣) الآية (١١٤).
(١٤) سورة الزمر الآية (٣).
(١٥) الآية (٨).
(١٦) الآية (١١٥).

الشكور : ورد هذا الاسم في سورتي فاطر والشورى.

العلي : ورد هذا الاسم في السور التالية: البقرة، الحج، لقمان، سبأ، غافر، الشورى، الزخرف، النساء.

الكبير : ورد هذا الاسم في السور التالية: الرعد، الحج، لقمان، سبأ، غافر، النساء.

الحفيظ : ورد هذا الاسم في السور التالية: هود، يوسف، سبأ، الشورى.

المقيت : ورد هذا الاسم في سورة النساء.

الحسيب: ورد هذا الاسم في سورتي النساء والأحزاب وفي غيرها على وزن «فاعل» حاسب أو بصيغة الفعل المنسوب إلى الله تعالى.

الجليل : ورد هذا الاسم بصيغة ﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ في سورة الرحمن وفي سواها.

الكريم : ورد هذا الاسم في السور التالية: المؤمنون، النمل، الدخان، الانفطار.

الرقيب : ورد هذا الاسم في السور التالية: النساء ، الأحزاب، المائدة.

المجيب: ورد هذا الاسم في سورة هود أما في سواها فقد ورد بصيغة الفعل.

الواسع : ورد هذا الاسم في السور التالية: البقرة، آل عمران، المائدة، النور، النساء.

الحكيم : ورد هذا الاسم في الكثير من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده أربع وتسعون مرة.

الودود : ورد هذا الاسم في سورتي هود والبروج.

المجيد : ورد هذا الاسم في سورتي هود والبروج أيضاً.

الباعث : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل المنسوب إليه تعالى في الكثير من سور القرآن الكريم.

الشهيد : ورد هذا الاسم في العديد من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده عشرون مرة.

الحق : ورد لفظ الحق في القرآن الكريم في مائتين وسبع وعشرين موضعاً.

الوكيل : ورد هذا الاسم في العديد من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده أربع عشرة مرة.

القوي : ورد هذا الاسم في السور التالية: الأنفال، هود، الحج، غافر، الشورى، الحديد، المجادلة، الأحزاب.

المتين : ورد هذا الاسم في سورة الذاريات.

الولي : ورد هذا الاسم في العديد من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده عشرون مرة.

الحميد : ورد هذا الاسم في العديد من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده ست عشرة مرة.

المحصي: ورد هذا الاسم بصيغة الفعل المنسوب إلى الله تعالى كما في سورة النبأ في قوله تعالى: ﴿ **وكل شيء أحصيناه كتاباً** ﴾ وسواها.

المبدىء : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل كما في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿ **والله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون** ﴾ وسواها.

المعيد : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل كما في سورة نوح مثلاً في قوله تعالى: ﴿ **ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً** ﴾ وسواها.

المحيي : ورد هذا الاسم في سورتي الروم وفصلت وفي سواها بصيغة الفعل المنسوب إلى الله تعالى.

المميت : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل كما في سورة البقرة مثلاً في قوله تعالى: ﴿ **إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت** ﴾ وسواها.

الحي : ورد هذا الاسم في السور التالية: آل عمران، طه، الفرقان، غافر.

القيوم : ورد هذا الاسم في سور البقرة وآل عمران، وطه.

الواجد : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل كما في سورة الضحى مثلاً في قوله تعالى: ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾ أو قوله تعالى: ﴿ **ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ صدق الله العظيم.

الماجد : ورد كمصدر «المجيد» مضافاً للقرآن «القرآن المجيد» وإنه لقرآن مجيد فهو اي القرآن يستمد مجده من الخالق عز وجل فالقرآن مجيد والله هو الماجد سبحانه وتعالى.

الواحد : ورد هذا الاسم في العديد من سور القرآن الكريم. وعدد مرات وروده اثنان وعشرون مرة.

الأحد : ورد هذا الاسم في سورة الإخلاص.

الصمد : ورد هذا الاسم في سورة الإخلاص.

القادر : ورد هذا الاسم في السور التالية: الأنعام، الإسراء، يس، الأحقاف، الق[illegible] [illegible]الطارق.

المقتدر : ورد [illegible] [illegible]الاسم في سورتي القمر والكهف.

المقدم : ورد [illegible] الاسم بصيغة الفعل كما في قوله تعالى في سورة «ق» ﴿ **قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد** ﴾ صدق الله العظيم

المؤخر : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم مثلاً: ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ صدق الله العظيم.

الأول : ورد هذا الاسم في سورة الحديد.

الآخر : ورد هذا الاسم في سورة الحديد.

الظاهر : ورد هذا الاسم في سورة الحديد.

الباطن : ورد هذا الاسم في سورة الحديد.

الوالي : ورد هذا الاسم في العديد من سور القرآن الكريم وعدد مرات وروده ست وثلاثون مرة.

المتعال : ورد هذا الاسم في العديد من سور القرآن الكريم بصيغة الفعل «تعالى» كما في قوله تعالى في سورة النحل مثلاً: ﴿ خلق السمٰوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ صدق الله العظيم.

البرُّ : ورد هذا الاسم في سورة الطور.

التواب : ورد هذا الاسم في السور التالية: البقرة، التوبة، النور، الحجرات، النساء، النصر.

المنتقم : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل وبصيغة المصدر كما في قوله تعالى: ﴿ ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ﴾ سورة المائدة.

العفوُّ : ورد هذا الاسم في السور التالية: الحج المجادلة، النساء.

الرؤوف : ورد هذا الاسم في السور التالية: البقرة، آل عمران، التوبة، النحل، الحج، النور، الحديد، الحشر.

المقسط : ورد هذا الاسم بصيغة أفعل التفضيل كقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ كما ورد بصيغ أخرى في آيات أخرى.

الجامع : ورد هذا الاسم في سورتي آل عمران والنساء.

الغني : ورد هذا الاسم في العديد من سور القرآن الكريم وعدد المرات التي ورد بها ثماني عشرة مرة.

المغني : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل كما في قوله تعالى في سورة الضحى ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ وفي سورة النساء ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته﴾ وسواها.

المعطي : ورد هذا الاسم بصيغة الفعل كما في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ وفي سورة الكوثر: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ﴾.

المانع : لأن من بيده العطاء بيده المنع أيضاً فالله هو المعطي وهو المانع.

الضار : جاء في سورة المجادلة قوله تعالى: ﴿ وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ﴾ صدق الله العظيم أي لا يمكن الإضرار إلا بإذنه تعالى ومنها كان اشتقاق هذا الاسم.

النافع : جاء في سورة سبأ قوله تعالى: ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ وفي سورة طه قوله تعالى: ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ﴾ صدق الله العظيم، ومن معنى هاتين الآيتين وما شابههما اشتق هذا الاسم.

النور : ورد في السور التالية: الأعراف، التوبة، النور، الصف.

الهادي : ورد هذا الاسم في سورة الفرقان.

البديع : ورد في سورتي البقرة والأنعام.

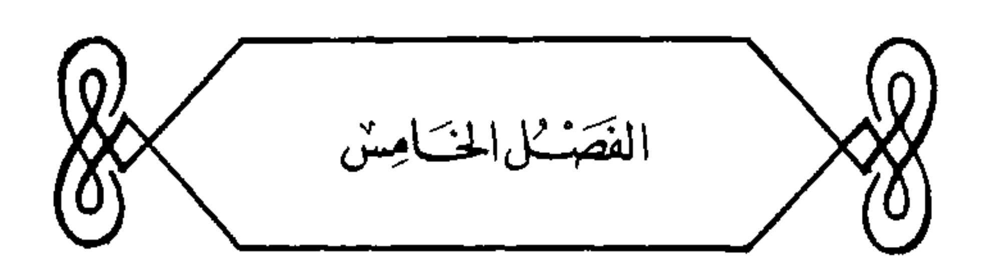
الباقي : جاء هذا الاسم بصيغة أفعل التفضيل كما في قوله تعالى في سورة طه: ﴿ والله خيرٌ وأبقى ﴾ أو بصيغة الفعل كما في سورة الرحمن ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾.

الوارث : ورد في سور الحجر، الأنبياء، القصص.

الرشيد : ورد هذا الاسم في سورة هود.

الصبور : اشتق هذا الاسم من معنى الآيتين التاليتين: الأول في سورة البقرة ﴿ ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا ﴾ والثانية في سورة الأعراف ﴿ ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾ صدق الله العظيم، فالله سبحانه هو مصدر الصبر فهو الصبور.

وقد أضاف إلى هذه الأسماء بعض الرواة «مالك الملك» و«مالك يوم الدين» و«رب العالمين» و«ذو الفضل» و«المحيط» من قوله تعالى: ﴿وهو بكل شيء محيط﴾ صدق الله العظيم.



إيجاب الدعوة ونفي الإكراه

الرد على تهمة الإكراه

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[1].

إن هذه الآية خير ما نبدأ به هذا الفصل رداً على الذين يقولون إن الناس قد دخلت في دين الإسلام بالقوة وبحد السيف وخوف القتل.

سنرد أولاً على هذه المزاعم الباطلة بما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى من أوامر للرسول ﷺ والمؤمنين الذين معه، ثم ننتقل بعدها إلى التاريخ نستشهده على ما فعل المسلمون خلال ما سمي بالفتح الإسلامي. كما شهد التاريخ على معاملة المسلمين للشعوب التي دخلوا بلادها.

إن الله سبحانه وتعالى قد حدد مهمة الرسول ﷺ في آيات بينات لا مجال لسوء الفهم فيها أبداً:

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[2].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٦)

(٢) سورة الأحزاب الآيتان (٤٥ - ٤٦)

وفي آيات عديدة أخرى منها: ﴿ فذكر، إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر ﴾[3].

إذاً لم يكن القصد الفتح والاستعمار والاستعباد، إنما التبشير برسالة السماء والإنذار من عذاب الآخرة والدعوة إلى عبادة الله الواحد.

ورغم تحريف أهل الكتاب لما لديهم من السماء، وما ابتدعوه من إشراك بالله بأن جعلوا له زوجة وولداً، وجعلوه ثالث ثلاثة، ومنهم من جعل الله ثلاثة، وتحريف اليهود بإنكارهم للنبوات التي جاءت إلى كل الناس، كدعوة عيسى عليه السلام وقولهم فيه وفي أمه إثماً وطغياناً عظيماً وكذلك إنكارهم لدعوة الرسول الكريم ﷺ، رغم ذلك نزلت الآية الكريمة:

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾[4].

وهنا تلفت النظر عبارة ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ ولنا إليها عودة بإذن الله.

لقد تضايق الرسول ﷺ كثيراً عندما ابتعد عنه وحاربه الكثير من أهله وعشيرته الأقربين، وحاول الكثير معهم فمنهم من لم يقاتله بل حماه ولكن لم يؤمن، ومنهم من كفر بما جاء به الرسول ﷺ وقاتل من آمن معه وكذا من أهل الكتاب من رفض الإيمان واعتزل قتال الرسول ﷺ ومنهم أيضاً من قاتل الرسول ﷺ ودبر المؤامرات ضده وضد المؤمنين.

فأما الذين لم يقاتلوا ولم يؤمنوا أيضاً فقد نزلت فيهم الكثير من الآيات منها:

﴿إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء﴾[5] وقيل إن هذه الآية نزلت في عمه أبي لهب وكثير سواها.

---

(٣) سورة الغاشية الآيتان (٢١ ـ ٢٢).

(٤) العنكبوت الآية (٤٦).

(٥) سورة القصص الآية (٥٦).

﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾[٦]. لأن الثواب إنما تناله نفسه إذا آمنت والعقاب يقع عليها إذا كفرت ولم تؤمن.

﴿ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ﴾[٧]، وهل هناك حق أكثر من دعوة الخير وكلمة التوحيد. وكلما أحس الرسول ﷺ بالضيق من تولي الناس عنه وإصرارهم على كفرهم وإشراكهم كانت دعوة الله له أن يذكرهم ويدعوهم ويتلو عليهم آيات الله: ﴿ وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ﴾[٨] أيها الرسول اقرأ عليهم من كتاب الله وما فيه من آياتٍ بيناتٍ، من دعوة إلى جنة عرضها السماوات والأرض وإنذار من جهنم والخلود في عذابها.

ثم كان الخطاب إلى هؤلاء العصاة بشكل مباشر إذ تقول الآيات ﴿ وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾[٩]. ﴿ وإن توليتم فاعلموا ﴾ أي ما على المتولين عن الحق من عقاب وعذاب عند رب العالمين ﴿ إنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾[١٠] ورسولنا قد بلغكم ما جاءه من أمر ربه، فإن أسلمتم وآمنتم فإنما قد نلتم الخير العميم من ربكم بما كنتم به سباقين من الإيمان، وإن توليتم ورفضتم الإيمان فإن الرسول ﷺ قد قام بواجبه بتبليغكم.

﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾[١١] أي عليك أن تتحمل وتحاول المرة تلو المرة تلو المرة حتى يفيء إلى الحق من كان في قلبه ذرة من إيمان وفي عقله ذرة من فهم. لكن الكفار والمشركين ﴿ يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾[١٢] وما داموا كذلك يرفضون دعوة الحق،

---

(٦) سورة الإسراء الآية (١٥).
(٧) سورة الزمر الآية (٤١).
(٨) سورة النمل الآية (٩٢).
(٩) سورة النور الآية (٥٤).
(١٠) سورة المائدة الآية (٩٢).
(١١) سورة آل عمران الآية (٢٠).
(١٢) سورة المائدة الآية (١٠٣).

وكلمات ربهم، وبشارة الرسول ﷺ وإنذاره ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾[١٣] ﴿فإن أعرضوا ﴾ وهذا ما فعله المشركون ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾[١٤] ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾[١٥] ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[١٦].

أما لماذا قوتل بعض أهل الكتاب وخاصة اليهود فذلك لمؤامراتهم ضد المسلمين وضد مقر دعوة المسلمين والإسلام في المدينة المنورة ومساعدتهم لمشركي مكة أعداء الرسول ﷺ ومن تبع الرسول ﷺ.

فمن مؤامراتهم أنهم حاولوا تشكيك الناس بالدعوة الإسلامية ودفع الناس للارتداد بعد أن عايشوا الدعوة في المدينة واطلعوا على أوضاع المسلمين فيها ونقاط ضعفها ومن أين يمكن اختراقها (أي المدينة) لذا نزل الأمر بقتل من يرتد عن دينه أما هؤلاء المتآمرين فقد كشف الله مؤامراتهم في ما أنزل على الرسول ﷺ ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾[١٧] ولم يكتفوا بذلك بل مولوا الحرب ضد المدينة وحرضوا القبائل ضد المدينة أيضاً ولذا نزل الأمر بقتالهم حتى تكون الغلبة للحق وحتى يكون الدين لله وحده لا شريك له ولإبعاد الفتنة عن الناس ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾[١٨] أما هؤلاء الذي تقولوا على الرسول ﷺ بما لا يصح أن يقال عن النبي ﷺ واكتفوا بالكلام دون الفعل فقد أمره الله بالصبر والتحمل لما يفعلون ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ﴾[١٩].

---

(١٣) سورة النور الآية (٥٤).
(١٤) سورة الشورى الآية (٤٨).
(١٥) سورة الإسراء الآية (٥٤).
(١٦) سورة الأنبياء الآية (١٠٧).
(١٧) سورة آل عمران الآية (٧٢).
(١٨) سورة البقرة الآية (١٩٣).
(١٩) سورة المزمل الآية (١٠).

لأن الناس يجب أن تؤمن بناء على قناعتها وإدراكها ووعيها للحق الذي جاء من عند الله، لأن الله -سبحانه وتعالى ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾[٢٠].

وعندما جاء وفد نصارى نجران دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فأبوا، ودعوا هم الرسول ﷺ إلى النصرانية فأبى أن يبدل ما جاءه من الهدى، فدعوه إلى المباهلة وجاؤوا في جمع من كبرائهم ومعهم السيد والعاقب «فخرج الرسول ﷺ ومعه فاطمة عليها السلام وعلي والحسن والحسين عليهم السلام فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها! ولم يباهلوا، وصالحوا على ألفي حُلَّة، ثمن كلّ حلة أربعون درهماً، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ، وجعل لهم عليه السلام ذمة الله وعهده على ألا يفتنوا عن دينهم[٢١] ولا يعشروا[٢٢] ولا يحشروا[٢٣] ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به»[٢٤].

وكذلك حصل نفس الشيء عندما فتحت القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إن المسلمين لم يلزموا، كما فعل سواهم، أحداً على تغيير دينه طالما كان من أهل الكتاب، على ألا يعادي المسلمين ولا يقاتلهم ولا يساعد أعداءهم.

اما إخراج اليهود من الجزيرة العربية فكان لمنع مؤامراتهم التي لم تتوقف والتي وصلت إلى حد محاولة اغتيال الرسول ﷺ نفسه حتى وصل بهم الأمر الى السم.

---

(٢٠) سورة يونس الآية (٩٩).
(٢١) لا يُلزموا بتغيير دينهم.
(٢٢) لا يؤخذ منهم العشر على تجارتهم.
(٢٣) لا يشركوا بالحروب والغزوات.
(٢٤) امتاع الإسماع ص ٥٠٢ للمقريزي.

أسباب الفتح

وقبل أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى أرسل رسائل إلى كل من قيصر الروم وكسرى الفرس وكبيرالقبط يدعوهم إلى الإسلام والإيمان، أو الخضوع لسلطة الإسلام، وفي هذه النقطة الثانية تبرز إدعاءات المدعين، فيقولون إن الإسلام نشر بقوة السيف ونحن نرد هنا فنقول:

١ ـ إن كلا من مصر وفيها كبير القبط وحكم الروم وبلاد الشام ويحكمها القياصرة، وبلاد الرافدين هي أرض عربية تسكنها أقوام عربية لذا وجب طرد المحتل منها لتحرير أهلها.

٢ ـ إن الحرب والجهاد لم يكن ضد شعوب الروم والفرس والقبط وسواهم فيما بعد، لأن معاملة المسلمين لشعوب هذه البلاد كانت أفضل بما لا قياس من الحكم الذي كان سائداً فيها.

٣ ـ إن هذه الحرب قد قامت لأن حكام هذه الأقاليم مانعوا في نشر الدعوة بين الناس، فلما سقطت سلطتهم صار بالإمكان دعوة الناس إلى الحق، فمن لبى الدعوة وآمن وأسلم كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومن رفض الدعوة ورفض الإسلام وأصر على البقاءعلى دينه، لم يمنعه أحد واعتبر في ذمة المسلمين، مسؤولون عن حمايته وحفظ ماله وحياته وحياة أسرته على أن يدفع في مقابل ذلك نوعاً من الضريبة هو الجزية، وفي أي بلد لا يدفع المواطنون الضرائب من مباشرة وغير مباشرة!.

أما ما كان مطلوباً دفعه من المسلمين فكان أكبر بكثير من هذه الجزية.

أ ـ الزكاة.
ب ـ الصدقة.
جـ ـ الجهاد، أي الانخراط في الجيش لحماية الحدود والثغور وقتال أعداء الله.

بينما الذمي آمن في داره لا يقاتل ولا يحارب ولا يدفع زكاة أمواله.

والدليل الأكبر بقاء بِيَع النصارى وكنائسهم كما هي في البلاد التي فتحها

المسلمون، وبقاء هذه الطوائف قائمة في أرض المسلمين، وإلا فلو حاربها المسلمون، ومنعوا التدين بها لانقرضت من بلاد المسلمين. .

٤ ـ لقد انتشر الإسلام واعتنقه عدد من الشعوب لم يصل إليها حكم المسلمين، وكان تعداد هذه الشعوب يفوق بكثير تعداد الناس في البلاد التي يحكمها المسلمون.

فقد آمنت الملايين في الصين، وأندونيسيا والملايو وبورنيو وحتى في الفيليبين والهند وأفريقيا الوسطى وإذا انتقلنا من عصر الدعوة الأول إلى عصرنا الحاضر فنرى في فرنسا مثلاً إيمان الآلاف من الفرنسيين بالإسلام ديناً وحياة ومنهجاً وفكراً وفلسفة وعلى رأسهم فيلسوف الماركسية الفرنسية سابقاً روجيه غارودي، فهل آمن هؤلاء بالسيف أيضاً؟.

لقد آمنوا لأنهم اقتنعوا ولأن الله أضاء بصائرهم للحق والنور والهدى.

إذا كانت سيوف المسلمين قد أسقطت حكام الجهل والعبودية والوثنية فإن الدعوة إلى الأيمان كانت كما أمر الله.

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾(٢٥) صدق الله العظيم.

وفي التاريخ القديم أيضاً آمن الأتراك في القرن الحادي عشر والمغول في القرن الثالث عشر وهم الغالبون والمسلمون مغلوبون، فهل آمن هؤلاء بالسيف أيضاً.

إن مقارنة بسيطة تظهر الحقيقة والواقع بين المسلمين ومن يتهمون الإسلام ظلماً وزوراً وبهتاناً وعداوة وكرهاً لكلمة الحق ولدين التوحيد، وطمعاً بالأرض وما فيها من خيرات، وتعصباً شوفينياً أعمى ضد العرب والإسلام.

عندما استرد المسلمون القدس من يد الروم في عهد عمر بن الخطاب، لم

---

(٢٥) سورة النحل الآية (١٢٥).

يجرحوا فيها طفلاً ولا رجلاً ولا امرأة ولم يقطعوا شجرة ولم يحرقوا زرعاً لأن هذه وصية الرسول ﷺ من قبل ولأن هذه هي سماحة الإسلام، وأهل القدس حينذاك نصارى ومن أنصار الروم.

وعندما فتحها الصليبيون وفيها المسلمون والنصارى ذبحوا وقتلوا ونهبوا وأحرقوا وسبوا واعتدوا على الأعراض وعلى رأسهم ملوكهم وقادتهم وقساوستهم وبطاركتهم لأن ما جاء بهم لم يكن الدين، إنما الطمع وحب السلب والنهب الذي ما زالوا يمارسونه حتى في أيامنا هذه وإن اختلفت السبل والوسائل والأشكال.

ورغم ذلك فعندما استعادها منهم صلاح الدين لم يقتل منهم رجلاً استسلم أو امرأة أو طفلاً بل قدّم الجيش لحراستهم حتى مغادرتهم الثغور إلى بلادهم.

... ورغم ذلك عندما احتلوها مرة أخرى كرروا فعلتهم الأولى وعندما استعادها المسلمون كرروا سماحتهم الأولى.

ولذا نرى الآن كبار مثقفيهم الذين درسوا الإسلام وتاريخ الإسلام والمسلمين وتاريخهم هم فقد أقروا بالحقيقة وها هم يعتنقون الإسلام في فرنسا وانكلترا وأوستراليا وأمريكا الشمالية وحتى في اليابان.

لقد استقبلت شعوب العالم القديم المسلمين كمخلصين من نير العبودية والظلم والذل والوثنية سواء دخلوها سلماً أم حرباً. وصفحات التاريخ شاهدة لمن لا يعلم. ومثل واحد آخر كاف.

عندما حكم المسلمون اسبانيا بقي فيها اليهودي والمسيحي وعندما حكمها الأوروبيون لم يبقوا فيها جامعاً إلا هدموه أو حولوه لكنيسة، ولم يتركوا فيها مسلماً حياً فإما نصّروه مرغماً وإما رحّلوه بعد أن نهبوا كل ما لديه وإما قتلوه.

إن نظرة واحدة بعين الوعي والحقيقة والتجرد تظهر لكل عاقل من هو الغازي المحتل القاتل السّفاح ومن هو المرشد الداعي إلى الحق والعامل به.

الفَصْـلُ السَّـادِسُ

إيجاب الحرية ونفي الاستعباد

قال تعالى: ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾[1].

وقال رسول ﷺ: «المسلمون[2] سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير ﴾[3].

وقال تعالى: لتعارفوا، لا لتسودوا بعضكم بعضاً ولا يدعي بعضكم أنه من جنس أرقى ولا أنه مميز ولا مفضل بنسبه او عرقه او دمه أو لونه إنما التكريم بالتقى والإيمان وكلما زاد إيمان الإنسان وتقاه ازداد تواضعاً.

وقال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[4].

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٩٢).

(٢) في رواية أخرى المؤمنون.

(٣) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٤) سورة الحجرات الآية (١٠).

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكن خيراً منهن ﴾[*].

والرسول ﷺ أمّر زيد بن حارثة على جيش فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأمّر بعده ابنه أسامة بن زيد على جيش فيه كبار الصحابة وكبار قريش. وعندما جاء الأعرابي يشكو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الملك جبلة بن الأيهم، وكان ملك الغساسنة في الشام وأسلم، قد لطمه لأنه داس على ثوبه وهو يطوف، أرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستدعياً جبلة بن الأيهم فحضر وسأله إن كان قد لطم الأعرابي؟.

فأجاب بالإيجاب.

عندما سأل عمر رضي الله عنه الإعرابي إن كان يقبل أن يرضيه جبلة بمال أو أنه يريد أن يلطمه كما لطمه.

أصر الإعرابي على أن يأخذ حقه عيناً فاستمهل جبلة ثم فر رافضاً تأدية الحق.

وعندما جاء المصري يشكو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ابن عمرو بن العاص لأنه ضربه إذ سبقه في سباق الجريد وقال له: أتسبق ابن الأكرمين؟ فكتب عمر رضي الله عنه إلى ابن العاص يقول له:

«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» وطلب منه إرسال ابنه ليقتص منه.

وعندما جاء ابن عمرو كشف ظهره وقال للمصري: «اضرب ابن الأكرمين».

أي عدالة وأي مساواة وأي قانون وأي تشريع أشرف وأكمل من هذا؟.

وأي تطبيق لهذا التشريع أعدل من هذا؟.

والإمام علي رضي الله عنه رأى ابنته في عرس ترتدي قلادةً لم يعرفها لها فسألها عنها من أين جاءت بها، فقالت له انها قد استعارتها من بيت مال المسلمين على عارية مردودة أي بصك ضمانٍ لإعادتها بعد استعمالها.

(*) سورة الحجرات الآية (١١).

فقال لها إنها لو لم تستعرها بعارية مردودة لكانت أول هاشمية تقطع يدها لسرقة في الإسلام، أي عدل هذا؟ وأي تعظيم لأمر الله أكثر من هذا؟.

هذا بينما كانت الأقوام الأخرى إذا خالف الفقير أو أتى ذنباً حاكموه وعزروه وعاقبوه وإذا أتى الشريف الكبير المقام أمراً وجدوا له طريقة لإعفائه وعدم محاسبته.

إن هذا هو الفرق بين الذين اتبعوا هدي الإسلام وبين سواهم.

والحوادث والشواهد على ذلك لا تحصى ولا تعد.

قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾[٦].

إلغاء العبودية

لقد عمل الإسلام بما جاء من عند الله ومن سنة نبيه الكريم على إلغاء عبودية الإنسان للإنسان فساوى الكل أمام الله.

ثم عمل على تحرير المستعبدين من خلقه فجعل تحرير العبد؛ ويكنى عنه لغة تحرير رقبة أو عتق نسمة والنسمة هي الروح، غفارة وكفارة للكثير من الأخطاء التي قد يقترفها الإنسان، وجعله أيضاً من أحسن وأفضل الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى ربه.

قال تعالى: ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ﴾[٧] ﴿ فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴾[٧] ﴿ وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ﴾[٧].

---

(٦) سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٧) سورة النساء الآية (٩٢).

﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة﴾[8].

أي من يقول لامرأته أنت عليّ كظهر أمي، أي يحرمها على نفسه دون طلاق فكفارة يمينه تحرير رقبة.

وقال تعالى: ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾[9] أي الأيمان المغلظة فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة.

وجاء في أحاديث الرسول الكريم ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ايما رجل أعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضوٍ منه عضواً منه من النار» قال سعيد بن مرجانة: فانطلقت به إلى علي بن الحسين فعمد علي بن الحسين إلى عبدٍ له قد أعطاه عبدالله بن جعفر فيه عشرة آلاف درهم أو ألف دينار فاعتقه»[10].

وفي رواية عن البخاري ومسلم أيضاً وللترمذي قال النبي ﷺ: «من اعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار حتى فرجه بفرجه».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه وغيره من أصحاب النبي ﷺ قال: «أيما امرىء مسلم أعتق امرأ مسلماً كان فكاكه من النار، يجزي كل عضو منه عضواً منه وأيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضوين منهما عضواً منه».

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه ابن ماجه من حديث كعب ابن مرة أو مرة بن كعب ورواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بمعناه من حديث كعب بن مرة السلمي وزاد فيه: «وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار، يجزي كل عضوٍ من أعضائها عضواً من أعضائها».

---

(٨) سورة المجادلة الآية (٣).

(٩) سورة المائدة الآية (٨٩).

(١٠) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار». رواه أحمد بإسناد صحيح واللفظ له. وأبو داود والنسائي في حديث مر في الرمي، وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد ولفظه [قال: «من اعتق رقبة فك الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار».].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فإذا نفر من بني سليم، فقالوا: إن صاحبنا قد أوجب[11].

فقال ﷺ: «اعتقوا عنه رقبة يعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار». (رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما).

وعن شعبة الكوفي قال: كنا عند أبي بردة بن أبي موسى فقال: أي بني ألا أحدثكم حديثاً؟ حدثني أبي عن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار» (رواه أحمد ورواته ثقات).

وعن مالك بن الحارث رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من ضم يتيماً من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني[12] وجبت له الجنة البتة[13]، ومن اعتق امرأً مسلماً كان فكاكه من النار يجزي بكل عضو منه عضواً منه من النار». (رواه أحمد من طريق علي بن زيد عن زرارة بن أبي أوفى عن مالك بن الحارث).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الليل أسمع قال: «جوف الليل الآخر، ثم الصلاة مقبولة حتى تطلع الشمس ثم لا صلاة حتى تكون الشمس قيد رمح أو رمحين ثم الصلاة مقبولة حتى يقوم الظل قيام الرمح ثم لا صلاة حتى تزول الشمس قيد رمح أو رمحين ثم الصلاة مقبولة ثم لا صلاة حتى تغيب الشمس». ثم قال: «أيما امرىء مسلم اعتق امرأ

---

(١١) أي عملاً يوجب له النار.

(١٢) حتى لا يعود بحاجة إلى المساعدة.

(١٣) لزاماً.

مسلماً فهو فكاكه من النار، يجزي بكل عظم منه عظماً منه، وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة فهي فكاكها من النار يجزي بكل عظم منها عظماً منها وأيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين فهما فكاكه من النار، يجزي بكل عظمين من عظامهما عظماً منه (رواه الطبراني، ولا بأس برواته إلا أن أبا سلمة إبن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه).

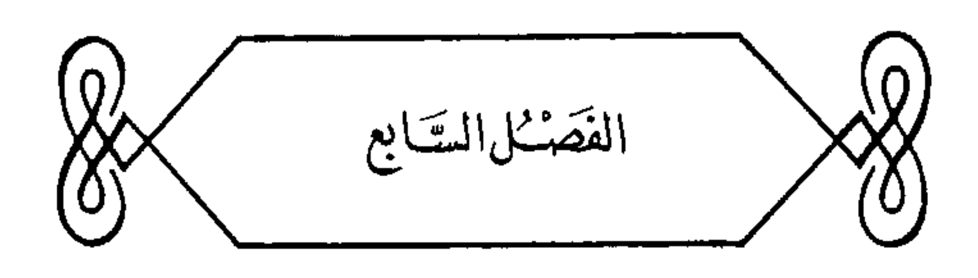
وعن أبي نجيح السلمي رضي الله عنه قال: حاصرنا مع رسول الله ﷺ الطائف وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما رجل مسلم أعتق رجلاً مسلماً، فإن الله عز وجل جاعل وقاء كل عظم من إعظامه عظماً من عظام محرره، وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة فإن الله عز وجل جاعل وقاء كل عظم من عظامها عظماً من عظام محررتها من النار» (رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا تقبل منهم صلاة: من تقدم قوماً وهم له كارهون، ورجل أتى الصلاة دباراً، والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته، ورجل اعتبد لمحرره»[14].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً وأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى ولم يوفه أجره» (رواه البخاري وابن ماجه وغيرهما).

---

(١٤) اعتبد محرره: الزمه بخدمته دون أجر بعد أن حرره فصار في منزلة العبد وهو حر.



إيجاب الزواج
ونفي العزوبة والرهبانية

قد يسأل سائل لماذا جعلنا هذا الفصل قبل سواه وخصوصاً الطاعات، ونرد فنقول: إن الزواج نصف الدين أو شطر الدين والمعنى واحد.

وفي رواية البيهقي قال رسول الله ﷺ إذا تزوج العبد فقد استكمل بنصف الدين فليتق الله في النصف الباقي».

والزواج إحصان للرجل والمرأة عن الاشتهاء وعن الزنا وعن كثير من الكبائر والصغائر.

قال تعالى: ﴿ **سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ﴾[1].

لقد خلق الله سبحانه كل الكائنات من نبات الأرض إلى حيوان البر والبحر والطير وحتى الإنسان أزواجاً، ذكراً وأنثى يكمل أحدهما الآخر، ولا بقاء لجنس أو نوع إلا باكتمالهما معاً.

---

(١) سورة يس الآية (٣٦).

في عالم الطير، ترى كل زوجين معاً يبنيان عشهما معاً ويتوليان رعاية صغارهما معاً.

وفي حيوان البر في فترة الزواج ترى كل ذكر منها وكل أنثى قد اختار زوجاً له، وبعد الإنجاب يتوليان معاً تغذية وتربية ورعاية الصغار.

وحتى في عالم النبات، لا اكتمال ولا ثمر يؤكل دون لقاح.

وفي عالم الإنسان قال تعالى: ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها** ﴾[٢] أي أن الزوجة من ضلع زوجها كما كانت حواء من ضلع آدم عليهما السلام فهو يركن إليها وتطمئن هي إليه ويكملان أحدهما الآخر، كما جعل الله جزاء الصالحين في جناته أزواجاً من الحور العين، نساء الجنة.

قال تعالى: ﴿ **وزوجناهم بحور عين** ﴾[٣].

وقال: ﴿ **متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين** ﴾[٤] وقد فصَّل الله تعالى الحقوق والواجبات بينهما في كتابه الكريم وسوف نتعرض لها في باب إيجاب الواجبات.

أحاديث الرسول ﷺ في الزواج:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». (رواه البخاري ومسلم واللفظ لهما، وأبو داود والترمذي والنسائي) أي من بلغ مبلغ الرجال منكم ولديه القدرة المادية والجسدية على الزواج فإن عليه أن يتزوج، فالزواج يحصن الرجل ويصونه من اشتهاء نساء الناس وهذا حرام أو الزنا بهن وهو كبيرة وموبقة من الموبقات، فمن

---

(٢) سورة الأعراف الآية (١٨٩).
(٣) سورة الدخان الآية (٥٤).
(٤) سورة الطور الآية (٢٠).

لم يستطع الزواج لعائق ما، فعليه بالصوم لأن الصوم يحصن الروح ويكفيها الحرام فلا تنشغل بالتفكير الجسدي الذي يقود إلى دروب السوء.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر» (رواه ابن ماجة).

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: الحناء والتعطر والسواك والنكاح»[٥]. (وقال بعض الرواة الحياء بدل الحناء، رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» (رواه مسلم والنسائي، وابن ماجه ولفظه قال: إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع ومن خير متاعها امرأة تعين زوجها على الآخرة، مسكين مسكين رجل لا امرأة له، مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها (ذكره رزين، ولم أره في شيء من أصوله وشطره الأخير منكر).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» (رواه ابن ماجه عن علي بن يزيد عن القاسم عنه).

وعن اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه عن جدّه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة: من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة[٦] والمسكن الصالح والمركب

---

(٥) الزواج.
(٦) التي تحفظه في عرضه وماله وتسعده في حياته.

الصالح[7] ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء[8] والمركب السوء والمسكن الضيق».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رهط[9] إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها[10]، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم القوم الذين قلتم كذا كذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». (رواه البخاري واللفظ له ومسلم وغيرهما).

وعن محمد بن سعيد يعني ابن أبي وقاص عن أبيه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة من السعادة: المرأة الصالحة تعجبك وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك والدار تكون واسعة المرافق، وثلاثة من الشقاء، المرأة تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق». (رواه الحاكم وقال تفرد به محمد يعني ابن بكير الحضرمي فإن كان حفظه بإسناده على شرطهما وقال المنذري: محمد هذا صدوق وثقه غير واحد).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي». (رواه الطبراني في الأوسط وقال الحاكم صحيح الإسناد).

---

(٧) الدابة الذلول.

(٨) الصخابة الشتامة قليلة الحياء والدين.

(٩) جماعة.

(١٠) وجدوها قليلة.

وعن أبي نجيح رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني».

(رواه الطبراني بأسناد حسن).

وقال تعالى: ﴿ وأنكِحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾[11].

فوائد الزواج

قال الإمام الغزالي: هي كثيرة (أي الفوائد) فمنها الولد الصالح وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة وثواب المجاهدة في القيام بنفقتهم فإن كان الولد صالحاً لحقه بركة دعائه وإن توفي كان له شفيعاً.

المحرمات من النساء

قال تعالى: ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف، إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾[12].

هذه النسوة هن المحارم في الإسلام لأنهن محرَّمات على المسلم حرمة أبدية كما أن الرجل بالنسبة إليهن محرَّم أيضاً.

---

(11) سورة النور الآية (32).

(12) سورة النساء الآية (23).

وقد اختص الله المسلمين بتحريم بعض النساء اللواتي لم يكن حراماً في الديانة اليهودية من قبل.

جاء في سفر اللاويين وهو من أسفار التشريع عند اليهود في الأصحاح الثامن عشر من العدد السادس (٦) إلى العدد الثامن عشر(١٨).

٦ ـ لا يقترب إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة، أنا الرب.
٧ ـ عورة أبيك عورة أمك لا تكشف، إنها أمك لا تكشف عورتها.
٨ ـ عورة امرأة أبيك لا تكشف إنها عورة أبيك.
٩ ـ عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها.
١٠ ـ عـورة ابنة ابنك أو ابنة ابنتك لا تكشف عورتها، إنها عورتك.
١١ ـ عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك.
١٢ ـ عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك.
١٣ ـ عورة أخت أمك لا تكشف إنها قريبة أمك.
١٤ ـ عورة أخي أبيك لا تكشف، إلى امرأته لا تقترب، إنها عمتك.
١٥ ـ عورة كنتك لا تكشف إنها امرأة ابنك لا تكشف عورتها.
١٦ ـ عورة امرأة أخيك لا تكشف إنها عورة أخيك.
١٧ ـ عورة امرأة وبنتها لا تكشف ولا تأخذ ابنة ابنها أو ابنة ابنتهـا لتكشف عورتها، إنهما قريبتاها، إنه رذيلة.
١٨ ـ ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها في حياتها.

قرابة الرضاع:

ومن هذا نفهم أن الله تعالى قـد اختصنا بكشف قـرابة الـرضاع لنـا، وتحريمها ليطهرنا كي نكون مستحقين لجنته ورضاه.

ولذا يحرم على المسلم أن يتزوج المرأة التي أرضعته في صغره فقد صارت بإرضاعها إياه في منزلة أمه وصارت بناتها في منزلة أخواته ونشأ بينه وبينها عاطفة أمومة وبنوة.

والرضاعة التي توجب التحريم كما اتفقت كل الأحاديث والرواة والصحابة الأولين هي رضاعة الصغر ما كانت قبل الفطام أما مدة وزمن هذا الرضاع ففيه أقوال عديدة سنفصلها إن شاء الله.

قول أبي حنيفة:

إن مدة الرضاع مقدرة بثلاثين شهراً، وقد استدل أبو حنيفة لمذهبه هذا بأمرين:

الأول: قوله تعالى: ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾[13]. ولم يرد بالحمل حمل الأحشاء وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الولد لا يبقى في بطن أمه أكثر من سنتين» ولهذا تبقى مدة الفصال على ظاهرها.

الثاني: لا بد للطفل من طور انتقال من الرضاعة والاغتذاء بلبن أمه فقط إلى تناول الطعام وهذه المرحلة الانتقالية تقدر بستة أشهر تضاف إلى مدة الفصال الواردة في القرآن الكريم ﴿ وفصاله في عامين ﴾[14] فيكون المجموع في ذلك ثلاثون شهراً.

قول الحنابلة:

١ ـ رد الحنابلة على الأمر الأول بأن أبا حنيفة يزيد من معنى الحمل المذكور فيما الحمل الذي يكون الفصال فيه وليس هو بحمل البطن وهذا باطل لأمرين.

أ ـ قوله تعالى: ﴿ وفصاله في عامين ﴾[14] ففي هذه الآية دليل على أن الفصال لا يتجاوز العامين.

ب ـ مخالفة تفسير الصحابة لمعنى الحمل وأن المقصود هو حمل الأحشاء كما جاء في أحاديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه وابن عباس رضي الله عنه.

---

(١٣) سورة الأحقاف الآية (١٥).

(١٤) سورة لقمان الآية (١٤).

٢ - أما دعوى احتياج الطفل لفترة انتقالية بين الاكتفاء باللبن والاغتذاء بالطعام فلا دليل لها إذ ليس إلزاماً أن يبدأ التعويد على الطعام بعد سنتين، إذ يجوز أن يبدأ ذلك قبلها حتى إذا اكتملت السنتان كان الانتقال حاصلاً وهذا ما يفعله أكثر الناس.

قول المالكية:

يرى المالكية أن مدة الرضاع مقدرة بسنتين وشهر أو شهرين على أقصى حد للانتقال إلى التغذية بالطعام. وفي هذا ما يفيد أن المدة لا تزيد عن سنتين.

وقال رسول الله ﷺ: «حرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[١٥] أي أن ما يحرمه النسب من العمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخ يحرمه الرضاع فأخت من أرضعته هي خالته وأخت زوجها هي عمته، والطفل الذي شاركه الرضاعة صار أخاه أو أخته فبناته أو بناتها حرام عليه.

أنواع أخرى من التحريم:

١ - يحرم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها لأنهما في منزلة أمها.

أما أمها فتحل له إذا لم يكن قد دخل بالابنة والعكس بالعكس أما إذا دخل فلا تحل له بعد أبداً.

أما عمتها وخالتها فإنها تحل له إذا حصل بينهما فراق بطلاق أو وفاة كما في حال الأختين، لا تحل له واحدة منهما حتى يطلق الأخرى أو تموت عنه.

٢ - كما تحرم المرأة التي ما زالت متزوجة تحرم المرأة التي ما زالت في عدتها، لم تستوفها بعد، لأنها ما زالت ضمن حقوق الزوجية السابقة وإن مات عنها زوجها أو طلقها.

---

(١٥) متفق عليه.

٣ - تحرم زوجة الأب لقوله تعالى: ﴿ ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلا ما قد سلف، إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ﴾[١٦].

٤ - ويحرم الزواج من المشركة والمشرك لأنهما يعبدان الأوثان ويدعوان إلى غير الله لقوله تعالى: ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن، ولأمة مؤمنة خيرٌ من مشركة ولو أعجبتكم، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم، أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ﴾[١٧].

ولأن الزوج قوام على امرأته فلا يصح أن يكون المشرك قواماً على المسلمة، وثانياً لأن أبناء هذه المسلمة سيكونون مشركين على ملة أبيهم ولن تستطيع منعه من إتباعهم طريقه.

أما الزوجة المشركة فقد تغوي زوجها وتضله عن طريق الهدى ودين الحق ويمكن أيضاً أن تدخل الشكوك إلى عقول أطفالها فتجعلهم في شك من دينهم وهم صغار لا يعون فتقودهم إلى سوء السبيل وعذاب الله والله لا يريد هذا بعباده المؤمنين.

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار، لا هن حلٌ لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾[١٨]. أي أن حرمة الزواج وعصمته بين المؤمنة والكافر غير قائمة فعيشتها معه حرام، كما نرى في عصرنا هذا بعض المسلمات اللواتي ضللن وأهلهن عن دين الله وتزوجن من المشركين فحكمهن هنا حكم المرتدات عن الإسلام والزانيات. وقد أفتى الأئمة عدا أبي حنيفة بأن الحكم على هذين النوعين بالموت وأباح دمهما رجماً للزانية وقتلاً للمرتد والمرتدة، أما أبو حنيفة فقد أفتى بحبس المرتد أو المرتدة حتى

---

(١٦) سورة النساء الآية (٢٢).
(١٧) سورة البقرة الآية (٢٢١).
(١٨) سورة الممتحنة الآية (١٠).

يتوب أو تتوب لأنهما أخطآ وأذنبا إلى الله تعالى وأصرا باستمرارهما على ما هما فيه وما ارتكباه من إثم عظيم.

زواج الكتابيات:

قال تعالى: ﴿ **اليوم أحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان، ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[19].

فإذا نظرنا إلى أهل الكتاب فإننا نرى أنهم النصارى واليهود.

١ ـ فأما النصارى الذين يؤمنون بأن المسيح عيسى بن مريم نبي ورسول من الله وروح منه وكلمته ألقاها إلى مريم فإنهم قلة نادرة قلما يعثر على واحدٍ منهم أما نصارى هذه الأيام فإنهم يقولون إن المسيح هو ابن الله (أستغفر الله) وأنه الله (أستغفر الله). وفي هذا قد وضعوا أنفسهم مع الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**﴾[20] وتكررت هذه العبارة مرتين في نفس السورة.

فعلى هؤلاء ينطبق قوله تعالى: ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** ﴾[21].

إذن لا يحل الزواج منهن حتى يؤمن ويشهرن إسلامهن وهذا ما جرت عليه الأمور في بلاد المسلمين، لأنها إن لم تشهر إسلامها وتقبل الإسلام ديناً وتتعلم الحلال والحرام والطهارة والنجاسة، فإن البيت بأجمعه سيكون نجساً وطعامها حرام في حرام وتربيتها لأبنائها تربية على الشرك وحب المشركين فكيف إذا جاءت بالبنات

---

(١٩) سورة المائدة الآية (٥).

(٢٠) سورة المائدة من الآية (١٧) ومن الآية (٧٢).

(٢١) سورة البقرة الآية (٢٢١).

ذرية وخصوصاً في هذه الأيام التي نرى فيها الرجال قد تركوا قوامتهم على النساء بل وسلموا مقاليد أمور الأسرة وحياتها وأنفسهم إلى نسائهم، إنها الردة بعينها لأسرة كان يمكن أن تنشأ على الإسلام ومبادئه السمحة الطاهرة الطيبة.

إن في الأمثلة التي نراها بين ظهرانينا ما يكفي مثلاً لنا وعبرة لمن يعتبر بقوله تعالى: ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾.

أما طعام النصارى أيضاً فهو بالنتيجة لما تقدم طعام كفار لا يحل أكله، إضافة لكونه طعام أهل به لغير الله ولم يراع لا في ذبحه إن كان لحماً ولا في إعداده إن كان سوى ذلك أمور الطهارة التي أوجبها الإسلام ولأن من أعده يجوز أنه قد أدخل فيه ما حرِّم على المسلم أكله وشربه. أما ما لم يكن فيه شيء مما حرِّم على المسلمين فلا بأس به.

والمسيح عليه السلام قال: ما جئت لأنقض بل لأكمل وهم قد أحلوا لأنفسهم ما لم يحله لهم وما كان محرماً عند يهود ولم يحفظوا من اليهود غير عيد الفصح وبدلوا تاريخه فجعلوه مطابقاً لعيد رأس السنة الوثنية الرومانية.

٢ ـ أما اليهود، فطعامهم حل لنا، لأنهم موحدون، يذكرون اسم الله على ذبائحهم ويراعون شروط الطهارة عموماً.

أما الزواج من اليهودية ففيه شروط، أن لا تكون من الذين يعادون الله ورسوله، ويحاربون المسلمين، كما هم في هذه الأيام، لأن الإباحة نزلت في الذين كانوا تحت حكم المسلمين، يخضعون لسلطانهم ويدفعون الجزية ولا يساعدون عليهم عدوهم، فإذا انتفى أحد هذه الشروط أصبح المتقرب منهم من الذين قال فيهم تعالى عز وجل: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ﴾[٢٢].

وهم يحتلون الآن أرضنا ويحاولون تدنيس الجامع الأقصى بمحاولاتهم الدنيئة ويريدون هدمه فهم أعداء ولا يحل الزواج من نساء العدو.

---

(٢٢) سورة المجادلة الآية (٢٢).

من المأثور عن الرسول والصحابة:

روي أن كعب بن مالك أراد أن يتزوج يهودية فقال له الرسول ﷺ «لا تتزوجها فإنها لا تحصنك».

والأحاديث في هذا كثيرة.

كما أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكره الزواج بالكتابيات ففي تفسير الطبري أن حذيفة تزوج يهودية فأرسل إليه عمر رضي الله عنه كتاباً يقول له فيه «خلِّ سبيلها». أي طلقها ولا تبقها لديك.

فرد حذيفة سائلاً: «أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها؟» فأجاب عمرُ رضي الله عنه: «لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تتعاطوا المومسات منهن».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا كانت المرأة الكتابية عدواً للمسلمين أو كانت موالية لأعداءالمسلمين فإنه يحرم على المسلم التزوج منها».

آداب الزواج: أركانه وواجباته وشروطه:

تعريف

الزواج عقد يحل فيه لكل من الزوجين الاستمتاع بصاحبه يمنع المرأة من التزوج بآخر ما دامت في عصمته ولا يمنع الرجل لقوله تعالى: ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** ﴾[٢٣].

وهو واجب على من قدر على مؤونته فإن لم يقدر فعليه بالصوم فإنه وجاء.

وقد قال الرسول ﷺ: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» (رواه أحمد وابن حبان وصححه).

---

(٢٣) سورة النساء الآية (٣).

حكمة الزواج:

١ ـ حفظ النسل واستمرار الجنس البشري.
٢ ـ قضاء حاجة الجسد على الوجه الشرعي الصحيح.
٣ ـ تنظيم العلاقة الإنسانية بين الزوجين على أساس من الحقوق والواجبات المتبادلة ضمن دائرة المودة والتعاطف.
٤ ـ تعاون الرجل والمرأة معاً على تنشئة الجيل الجديد، كل ضمن حدوده ومجاله.

أركان الزواج:

أركان الزواج أربع هي الولي والشاهدان والعقد والمهر.

١ ـ الولي:

وهو أبو الزوجة أو جدها أو أقرب عصباتها فإن لم يوجد أحد هؤلاء كان القاضي ولي من لا ولي لها قائماً عنها بأمر العقد بشهادة الشهود ولمجري العقد أن يتأكد من كون الولي من أصحاب الحق بالولاية ومن قبولها إن كانت ثيباً لأن الثيب تستأمر في نفسها.

قال ﷺ: «لا نكاح إلا بولي» (رواه أصحاب السنن وصححه الحاكم وابن حبان).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها أو ذي عصبة من أهلها أو السلطان».
(رواه مالك في الموطأ بسند صحيح).

والمقصود بالسلطان القائم على أمور المسلمين في بلدها إن كانت لا ولي لها ولا قريب من عصبتها يقوم بأمرها.

ولكي تقبل ولاية الولي يجب أن يتمم أحكام الولاية وهي:

أ ـ أن يكون ذكراً بالغاً عاقلاً رشيداً حراً.

ب ـ أن يستأذن وليته في إنكاحها ممن أراد تزويجها له، إن كان أباها وكانت بكراً ويستأمرها أي يطلب أمرها إن كانت ثيباً (مطلقة أو أرملة).

فإن كان غير أب كان عليه أن يطلب أمرها سواء كانت بكراً أم ثيباً.

قال ﷺ: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن وإذنها صماتها» (أي السكوت علامة الرضى) (رواه مالك في الموطأ بسند صحيح).

جـ ـ لا تصح ولاية القريب مع وجود الأقرب فلا تصح ولاية العم مع وجود الأب ولا الخال ولا ابن العم مع وجود العم ولا الأخ لأب مع وجود الشقيق ولا الأخ لأم مع وجود الأخ لأب.

د ـ إذا ولت المرأة اثنين من أقربائها في تزويجها فزوجاها لرجلين مختلفين فهي للأول منهما فإن كان العقدان في وقت واحد بطل العقدان معاً.

٢ ـ الشاهدان:

المراد بالشهود الإعلام لكي يعرف الناس أن فلانة من الناس صارت زوجاً لفلان، وأن يحضر العقد اثنان أو أكثر من الرجال العدول المسلمين لقوله تعالى: ﴿ واشهدوا ذوي عدلٍ منكم ﴾[٢٤] والآية وإن كانت في الطلاق فهي توجب شهادة الشهود اطلاقاً.

وقول الرسول ﷺ: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل».

إذاً فشرط الشهادة أن يكونا شاهدين اثنين أو أكثر.

أن يكونا عدلين أي من الذين يجتنبون الكبائر ويترفعون عن الصغائر.

فالفاسق لا تقوم شهادته وشارب الخمر لا تقوم شهادته والزاني لا تقوم شهادته وآكل الربا لا تقوم شهادته.

لأن من كان كذلك لا يوثق بشهادته عند حصول خلاف بين الزوجين واقتضى الأمر الطلاق واعطاء الحقوق.

---

(٢٤) سورة الطلاق الآية (٢).

٣ ـ العقد:

صيغته: قول الزوج زوجني أو انكحني ابنتك أو وصيتك أو وليتك فلانة، (ويصح هنا ذكر المهر مؤجله ومعجله فيقال: على مهر معجل وقدره كذا ومؤجل وقدره كذا).

أو قول الوكيل: زوجني أو أنكحني ابنتك أو وصيتك أو وليتك فلانة لموكلي فلان (ويصح ذكر المهر كما سبق).

وقول الولي أو الوصي: «لقد زوجتك أو أنكحتك ابنتي أو وصيتي أو وليتي فلانة.

وقول الزوج أو وكيله: قبلت زواجها من نفسي أو من موكلي.

أحكامه: كفاءة الزوج للزوجة: أن يكون حراً ذا خلق ودين وأمانة.

قال ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» (رواه الترمذي وقال حسن غريب).

وجود ولي للمرأة إلزامي إلا عند الحنفية وللرجل اختياري إذ يصح أن يجري العقد بنفسه دون وكيل عنه أو ولي له إذا كان بالغاً راشداً حراً.

٤ ـ المهر: (الصداق)

وهو ما يعطى من حقوق للمرأة لحليّة الاستمتاع بها وهو واجبٌ لقوله تعالى: ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾[٢٥].

وقول الرسول ﷺ: «التمس ولو خاتماً من حديد»[٢٦].

---

(٢٥) سورة النساء الآية (٤).

(٢٦) متفق عليه.

١ ـ يمكن تقسيمه بين مؤجل ومعجل.
٢ ـ يمكن تعجيله كله.
٣ ـ يمكن تعجيل قسم منه وجعل الباقي إلى أجل مسمى أو إلى أحد الأجلين، الوفاة أو الطلاق.
٤ ـ يمكن تسميته بالعقد وذكر الكيفية.
٥ ـ يحق بكل مال مباح قيمته معقولة.
٦ ـ يستحب تخفيفه لقول الرسول ﷺ: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة» كان صداق بنات الرسول ﷺ وأزواجه أربعمائة أو خمسمائة درهم.
٧ ـ يتعلق الصداق بالذمة ساعة العقد ويصبح فريضة على الزوج فإن كان قد دخل بالزوجة أو اختلى بها خلوة شرعية ولو لم يحصل دخول فقد استحق كله.

أما إذا لم يختل بها ولم يحصل دخول سقط نصفه ووجب نصفه، لقوله تعالى: **﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم، إن الله بما تعملون بصير﴾**[٢٧].

٨ ـ إن مات الزوج بعد عقد العقد وقبل الدخول بها ثبت لها الميراث والصداق كاملاً إن كان سمى لها صداقاً أو كتبه (حسب ما يجري في هذه الأيام، فالعقد مكتوب والصداق مكتوب ومحفوظ لدى المحاكم الشرعية) وعليها عدة الوفاة.

وقد حكم الرسول ﷺ بذلك (روى ذلك أصحاب السنن أبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه الترمذي وهو أن النبي ﷺ قضى لبربوع بنت واشق لما مات عنها زوجها ولم يسم لها صداقاً بمهر مثلها).

٩ ـ المهر حق للزوجة وليس له أن يلزمها بتجهيز البيت من هذا المهر.

---

(٢٧) سورة البقرة الآية (٢٣٧).

سنن الزواج:

١ ـ الخطوبة: : تعريف: وهي أن يطلب الرجل أو وليه من ولي المرأة ابنته، أو وليته زوجة له ويوافق الأب أو الولي وينظره إلى أجل يجهز فيه نفسه وداره ويحضر المهر فيه.

أ ـ يحرم على غير الخاطب أن يخطبها على خطبته فإن فعل فالخطبة الثانية باطلة وقد قال رسول الله ﷺ: «المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على أخيه أو يخطب على خطبته حتى يذره أي يترّك.

ب ـ قد يضطر الرجل إلى فسخ الخطوبة لأمر ما، كعسر ذات يده، أو معرفته لأمر كان لا يعرفه عنها فلما عرفه أنكره.

جـ ـ قد يلجأ أهل المرأة لفسخ الخطوبة أيضاً لأمر أنكروه منه من خلق أو دين.

أما أن يفسخوا الخطوبة لأن خاطباً آخر أغنى أو أعز جاهاً ومركزاً قد ظهر فهذا لا يجوز وينزل بالمرأة إلى مستوى السلعة التي تعرض للبيع لمن يدفع أكثر وخيانة للعهد الذي أعطي للخاطب وقد قال تعالى: **﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾**[٢٨].

د ـ الخطوبة لا تعني أن المخطوبة صارت حلالاً للخاطب لأنها لا تحل له إلا باستيفاء الشروط الشرعية، من ولي وشاهدان وعقد ومهر.

أما ما يحصل هذه الأيام من خروج الخطيبان معاً والانفراد معاً وما يأتياه من أعمال لا يعلمها إلا الله فهو إثم عظيم عند رب العالمين ولا يتنافى فقط مع

---

(٢٨) سورة الإسراء الآية (٣٤).

خلق الإسلام بل مع كل خلق كريم وكرامة. وما أكثر المصائب التي تحدث عن هذه الخلوات وزيارة للمحاكم ترينا نتائج هذا العبث وهذا الترك لما أمر به الله وما أمر بصونه من حلال وما أمر به من الابتعاد عن الحرام والكبائر.

٢ - **عقد النكاح**: وقد بينا فيما سبق شروطه وأركانه ومن سننه الخطبة قبل العقد.

٣ - **الوليمة**: قال ﷺ لعبد الرحمن بن عوف عندما تزوج: أولم ولو بشاة»[٢٩].

٤ - **إعلان الزواج**: ويستحب فيه الدف والغناء المباح قال ﷺ: «فصل ما بين الحلال والحرام، الدف والصوت». (رواه ابن ماجه والنسائي) والمقصود كما ذكرنا هو الإعلان.

الشروط في الزواج:

١ -كل شرط يحلل حراماً أو يحرم حلالاً فهو باطل والعقد قائم.

٢ - كل شرط داخل في أصل العقد، كالنفقة لأنها من حقها بالزواج، أو الوطء، أو القسم لها إن كان الخاطب متزوجاً من سواها أيضاً، فلا ضرورة له لأنه قائم في أصل العقد.

٣ - كل شرط معارض أو مناقض للعرف والعادة فهو باطل، كأن تشترط ألا تصلح له طعامه وشرابه، أو تنظف وتهيىء ملابسه، أو ترتب منزله وما شابه ذلك مما جرت به العادة من أعمال على الزوجة فهو مخالف للغرض من الزواج والشرط هنا باطل والعقد قائم.

---

(٢٩) متفق عليه.

٤ـ إذا كان الشرط خارجاً عن دائرة هذا كله، كأن تشترط أن تزور أقاربها، أمها وابيها، أو أن لا يخرجها من بلدها فإنه يجب الوفاء به وإلا كان من حقها فسخ العقد إنْ شاءت.

٥ ـ يحرم على المرأة أن تشترط لزواجها بالرجل أن يطلق زوجته أو زوجة من زوجاته، إذا كن أقل من أربع لقوله ﷺ: «لا يحل أن تنكح امرأة بطلاق أخرى».

الخيار في الزواج:

إن لكلٍ من الزوجين الخيار في الإبقاء على عصمة الزوجية أو فسخها إذا كان هناك سبب من الأسباب التالية:

١ ـ العيب: كالجنون أو الجذام أو البرص أو كون الرجل عنيناً لا يقوى على غشيان المرأة أو كانت المرأة مصابة بمرض في الفرج يمنع الاستمتاع بها.

وفي هذه الحال فإذا كان فسخ النكاح قبل الدخول فإن للزوج أن يرجع على المرأة فيما أعطاها من صداق وإن كان بعد الدخول ثبت لها صداقها بما نال منها. فإن كان في الأمر تغرير أي غرر به وليها أو وصيها أو وكيلها رجع بالصداق على من غره.

٢ ـ الضرر: كأن يتزوج مسلمة فتظهر كتابية أو حرة فتظهر أمة أو صحيحة فتظهر مريضة بعرج أو عور.

والحكم هنا نفسه كما قال عمر رضي الله عنه: «أيما امرأة غر بها رجل فلها مهرها بما نال منها، وصداق الرجل على من غره»[٣٠].

٣ ـ الإعسار بدفع الصداق المعجل: للمرأة الحق بطلب الفسخ إذا كان هذا الطلب قبل الدخول، فإن كان بعده سقط حقها في الفسخ وثبت لها حقها في ذمته وليس لها منع نفسها منه أبداً.

---

(٣٠) موطأ الإمام مالك.

٤ ـ **الإعسار في النفقة**: من أعسر بنفقة زوجته وتركها دون نفقة، كان عليها أن تنتظره ما تستطيع من الوقت فإن لم يرجع إلى النفقة عليها كان لها الحق بطلب الفسخ من القضاء الشرعي فإن ثبت هذا الإعسار وأصر الزوج عليه كان للقاضي أن يحكم بالفسخ، قال بهذا الصحابة كأبي هريرة وعمر وعلي رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم.

٥ ـ إذا غاب الزوج ولم يعرف له عنوان أو مكان ولم يترك لزوجته ما تنفق منه أو من ينفق عليها ولم يكن لديها ما تنفقه على نفسها ثم ترجع به على زوجها فإن لها الحق في فسخ نكاحها بواسطة القاضي الشرعي وعلى القاضي أن يعظها ويوصيها بالصبر والانتظار فإن رفضت وأصرت كان عليها أن تأتي بالشهود الذين يعرفونها ويعرفون زوجها ويشهدون على غيبته وإعسارها، يجري الفسخ ويعتبر طلقة رجعية إذا عاد الزوج في مدة العدة عادت إليه.

الحقوق الزوجية:

إن للزوجة حقوقاً على زوجها كما أن للزوج حقوقاً على زوجته وعلى كلٍ منهما مراعاة هذه الحقوق. قال تعالى: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾[٣١] وقال رسول ﷺ: «إن لكم من نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً». (رواه الترمذي وصححه).

أ ـ حقوق الزوجة:

١ ـ النفقة في الطعام والشراب والكسوة والسكن قال ﷺ لمن سأله عن حق الزوجة على الزوج: «تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت». (رواه أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه الحاكم).

وفي أحاديث الرسول ﷺ التي تحث على النفقة على الزوجة والعيال، ما

---

(٣١) سورة البقرة من الآية (٢٢٨).

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» (رواه مسلم).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق على نفسه يستعف بها فهي صدقة، ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهي صدقة» (رواه الطبراني باسنادين أحدهما حسن).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في (فم) امرأتك» (رواه البخاري ومسلم من حديث طويل).

وروي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله». (رواه الطبراني في الأوسط).

٢ - **الاستمتاع**: يجب على الرجل أن يطأ زوجته ولو مرة كل أربعة أشهر إن عجز عن قدر كفايتها منه لقوله تعالى: ﴿ **للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم** ﴾[٣٢]. وقيل مرة على الأقل عند كل طهر.

٣ - المبيت عندها ليلة كل أربع ليال إذا كان لديه ثلاث زوجات سواها أي يبيت ليلة عند كل واحدة من زوجاته يكون عند الأخرى في اليوم التالي وهكذا حسب عدد الزوجات. وبهذا قضي في عهد عمر رضي الله عنه.

٤ - القسم بالعدل إن كان له زوجات سواها وقد قال ﷺ: «من كانت له امرأتان يميل لإحداهما عن الأخرى جاء يوم القيامة وشقه ساقط». (رواه الترمذي عن أبي هريرة ورواه سواه بنفس المعنى مع خلاف بسيط في الألفاظ «بدل شقه: «أحد شقيه »).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك». يعني القلب. (رواه أبو داود والترمذي والنسائي وسواهم).

---

(٣٢) سورة البقرة الآية (٢٢٦).

٥ ـ أن يقيم عندها يوم تزوجه بها سبعاً إن كانت بكراً وثلاثاً إن كانت ثيباً وقد قال الرسول ﷺ: «للبكر سبعة أيام وللثيب ثلاث، ثم يعود إلى نسائه».

٦ ـ استحباب أذنه لها في تمريض أحد محارمها وشهود جنازته إذا مات وزيارة أقاربها زيارة لا تضر بمصالح الزوج فإن كانت تضر حقٌ له أن يمنعها.

٧ ـ المعاملة بالحسنى وبأفضل ما يمكن وقد رويت الأحاديث الكثيرة عن الرسول ﷺ التي تحض على ذلك ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم». (رواه الترمذي وابن حبان) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». (رواه ابن حبان) وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها». (رواه ابن حبان في صحيحه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه (أي الرأس) فإن ذهبت تقيمه (تقومه) كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء». (رواه البخاري ومسلم وغيره).

وفي رواية لمسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر».

حقوق الزوج على الزوجة:

١ ـ الطاعة في المعروف فلا تطيعه فيما لا تقدر عليه أو يشق عليها لقوله تعالى: ﴿ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾[٣٣].

(٣٣) سورة النساء الآية (٣٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها. قلت فأي الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال أمه».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ قال: فقال (رسول الله ﷺ): «أبلغي من لقيت من النساء إن طاعة الزوج، واعترافاً بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله». (رواه البزار هكذا مختصراً والطبراني في حديث طويل).

٢ ـ حفظ ماله وصون عرضه وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه ولا تأذن لأحد بدخول داره إلا بإذنه وذلك لقوله تعالى: ﴿حافظات للغيب بما حفظ الله﴾[٣٤] وقول الرسول ﷺ: «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك». (رواه أبو داود ورواه أحمد بمعناه والنسائي والحاكم وصححه).

٣ ـ السفر والانتقال معه إلى حيث يتيسر له الرزق إذا أراد ذلك ولم تكن اشترطت عليه في عقدها عدم السفر بها، وسفرها معه من الطاعة الواجبة له عليها.

٤ ـ طاعتها واستسلامها له متى طلبها للاستمتاع بها إذ الاستمتاع بها حق من حقوقه عليها.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرأة لا تؤدي حق الله عليها حتى تؤدي حق زوجها كله، ولو سألها وهي على ظهر قتب لم تمنعه نفسها. وعن طلق بن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور». (رواه الترمذي وقال حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه).

---

(٣٤) سورة النساء من الآية (٣٤).

وفي رواية للبخاري ومسلم قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» (أي حتى يرضى زوجها) وفي رواية لهما والنسائي: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما عبد آبق من مواليه حتى يرجع وامرأة عصت زوجها حتى ترجع». (رواه الطبراني بإسناد جيد والحاكم).

٥ - استئذانه في صيام التطوع إذا كان حاضراً وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه».

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي من أي أبواب الجنة شئت». (رواه أحمد والطبراني).

الزواج الباطل:

وهناك أنواع من الزواج نهى عنها رسول الله ﷺ:

١ - زواج الشغار:

جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: لا شغار في الإسلام، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ عن الشغار.

والشغار أن يقول الرجل للآخر، زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي أو زوجني أختك وأزوجك أختي.

وقول ابن عمر رضي الله عنهما: «إن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار، والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه ابنته وليس بينهما صداق».

وحكم هذا الزواج أن يفسخ قبل الدخول وإن وقع الدخول فسخ منه ما كان بدون صداق وما أعطي لكلٍ صداقٌ فلا يفسخ. لأن الصداق حق للزوجة وليس لوليها ليبادل به.

٢ ـ زواج المحلل:

وهو أن تطلق المرأة من زوجها ثلاثاً فلا تحل له بعد حتى تنكح زوجاً غيره فيتزوجها آخر قصد أن يحلها لزوجها الأول فهذا النكاح باطلٌ لقول ابن مسعود: «لعن الرسول ﷺ المحلل والمحلل له».

وأكثر هذا الزواج يقع بدون دخول ثم تعود إلى زوجها وهذه العودة باطلة وزنا.

وحكم هذا الزواج أن يفسخ ولا تحل به الزوجة لمن طلقها ثلاثاً ويثبت المهر للمرأة إن وطئت.

٣ ـ زواج المُحْرِم:

وحكم هذه الزواج البطلان لأن الرجل فيه قد تزوج وهو محرم بعمرة أو حج قبل التحلل منهما، ثم إذا أراد التزوج بها جدد عقد الزواج بعد انقضاء الإحرام. وقد قال ﷺ «لا ينكَح المحرم ولا ينكِح» أي لا يزوِج ولا يتزوج.

٤ ـ الزواج في العدة:

وهو أن يتزوج الرجل من المرأة ولما تنقضي عدتها من زواج سابق بطلاق أو وفاة لأنها ما زالت ضمن عصمة زوجية سابقة.

وقد قال تعالىٰ: ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾[٣٥].

وحكم هذا الزواج البطلان والتفريق ويثبت للمرأة الصداق إن كان قد دخل بها.

٥ ـ الزواج ناقص الأركان:

ـ أي بلا مهر: فلها مهر المثل.

ـ أو بلا ولي فهو باطل لقول الرسول ﷺ: «لا نكاح إلا بولي» وحكمه التفريق بينهما وثبات المهر إن مسّها وبعد الاستبراء له أن يتزوجها بعقد ومهر جديدين. (وعند الحنفية يجوز الزواج بغير ولي).

---

(٣٥) سورة البقرة الآية (٢٣٥).

ـ زواج المتعة: وهو الزواج إلى أجل مسمى على مهر مسمى ولا طلاق فيه إنما طلاقه نهاية الأجل المتفق عليه ولا يحتاج إلى شهود وعدة المرأة فيه حيضتان. وهو باطل لما جاء، وروي عن علي رضي الله عنه «إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر» وهو حديث متفق عليه. وحكمه البطلان ومتى وقع وجب الفسخ فإن حصل دخول وجب المهر وإلا لم يجب ككل زواج ناقص الأركان.

الطلاق:

أركان الطلاق:

١ ـ الزوج المكلف: لا يحق لغير الزوج أن يوقع الطلاق وقد قال الرسول ﷺ: «إنما الطلاق لمن أخذ بالساق»[٣٦] ولكي يقع الطلاق من الزوج يجب أن يكون بالغاً عاقلاً مختاراً فإذا كان مريضاً أو مجنوناً أو به علة تذهب الوعي فلا عبرة بطلاقه.

وإذا استكره وأجبر على طلاق زوجته فالطلاق غير قائم وقد قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم من ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل». ولقوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٣٧].

٢ ـ الزوجة، أي أن يكون المطلق ذا زوجة فإذا لم يكن متزوجاً بعد فلا يقع منه على المرأة طلاق، فعليه كي يوقع عليها الطلاق أن تكون في عصمته، لم تخرج منه بفسخ أو طلاق لم تنته عدته بعد أو حكماً كالمعتدة من طلاق رجعي أو بائن بينونة صغرى. فلا يقع الطلاق على امرأة ليست للمطلق وعلى امرأة بانت منه بالطلاق أو بالفسخ أو بطلاقها قبل الدخول. فالطلاق إذا لم

---

(٣٦) رواه ابن ماجه والدارقطني وهو معلول إلا أنه يعمل به لكثرة طرقه ولما سانده من آيات القرآن الكريم.

(٣٧) رواه الطبراني وهو صحيح.

يصادف محله فهو لاغ ولا عبرة به. وقد قال الرسول ﷺ: «ولا نذر لابن آدم فيما لا يملك، ولا عتق فيما لا يملك ولا طلاق له فيما لا يملك»[٣٨].

٣ ـ لفظ الطلاق: إذا توفر العنصران السابق ذكرهما يتم الطلاق باللفظ الدال على الطلاق صريحاً أو كناية يتضمن المعنى نفسه والنية نفسها، لأن النية وحدها لا تكفي ولا تعتبر الزوجة بها طالقاً.

وقد قال الرسول ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا به أو يعملوا به»[٣٩].

أقسام الطلاق:

١ ـ الطلاق السني: وهو أن يطلق المرأة طلقة واحدة في طهرٍ لم يمسها فيه فإذا أراد المسلم طلاق زوجته لعدم امكانية استمرار الحياة الزوجية لسبب من الأسباب أو
للخلاص منه إلا بالطلاق.

فعليه في هذه الحال إذا كانت في طهر قد مسها فيه أن ينتظرها حتى تحيض ثم تطهر فلا يمسها ثم يطلقها وقد يكون هذا الطلاق صريحاً أو كناية. (أما إن كانت في طهر لم يمسها فيه جاز له طلاقها دون انتظار محيضها).

أ ـ الطلاق الصريح: أن يقول لها «أنت طالق، أو طلقتك، أو أنت مطلقة أو أنت طلاق ونحوه.

ب ـ الطلاق الكناية: وهو ما يحتاج فيه إلى نية الطلاق، إذ اللفظ غير صريح في الدلالة عليه كأن يقول لها «إذهبي إلى أهلك» .أو «اخرجي من داري» أو «أنت ظلام» وما شابه ذلك.

٢ ـ الطلاق البدعي: وفيه يطلق الرجل المرأة وهي حائض أو نفساء أو في طهر قد مسّها فيه ويطلقها طلقة واحدة أو ثلاث.

---

(٣٨) رواه الترمذي وحسنه.

(٣٩) متفق عليه.

٣ ـ **الطلاق الرجعي**: هو ما يملك الرجل فيه حق استعادة زوجته إلى عصمته بدون عقد جديد ولا مهر جديد ما دامت في عدتها.

وقد قال تعالى: ﴿ **وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً** ﴾[٤٠].

والمطلقة طلاقاً رجعياً حقها كحق الزوجة في النفقة والسكن والإعالة فإذا انقضت عدتها بانت.

وإذا أراد الزوج إعادتها إلى عصمته ضمن عدتها يكفيه أن يقول راجعتك، ويستحب شهادة شاهدي عدل ولا عبرة برأيها من الموافقة أو الرفض في هذه المراجعة.

٤ ـ **الطلاق البائن**: وهو الطلاق الذي لا حق فيه للزوج بمراجعة زوجته دون موافقتها ووقوعه يجعل الزوج الذي يريد مراجعة زوجته خاطباً من الخطاب لها أن تقبله ولها أن ترفضه فإذا قبلت وجب لها عقدٌ جديد ومهر جديد.

أ ـ ويمكن أن يكون الطلاق بائناً إذا كان رجعياً وانقضت مدة العدة.

ب ـ إذا كان [illegible] تدفعه للاختلاع فهو بائن.

جـ ـ إذا طلقها [illegible] بعدما وجدا ألا مجال للاصلاح وأن الطلاق خير من استمرار الزواج بينهما فالطلاق بائن.

د ـ إذا طلقها قبل الدخول بها فهي بائن لأنه لا عدة لها.

هـ ـ إذا طلقها ثلاثاً في جلسة واحدة أو ثلاثاً متفرقات.

٥ ـ **الطلاق المعلق**: في الأحوال السابقة التي ذكرنا يكون الطلاق ناجزاً لأنه وقع فعلاً ومباشرة.

أما الطلاق المعلق فهو مرتبط بشرط لا يقع إلا بحصول الشرط، كأن يقول لها إذا خرجت من الدار فأنت طالق، أو إذا فعلت الأمر الفلاني فأنت طالق، فالطلاق لا يقع إلا بوقوع الأمر المنهي عنه.

---

(٤٠) سورة البقرة الآية (٢٢٨).

٦ - **الطلاق بالخيرة والتمليك**: أن يخير الزوج زوجته بين البقاء معه أو مفارقته فإذا اختارت الفراق فهي طالق ويعتبر هذا الطلاق، طلقة رجعية واحدة له حق مراجعتها ما دامت في عدتها.

والتمليك أن يملكها عصمة نفسها فإذا اختارت الفراق فهي طالق أيضاً طلقة رجعية واحدة له حق مراجعتها فيها ما دامت عدتها لم تنقض بعد.

٧ - **الطلاق بالوكالة أو الكتابة**: أن يوكل الرجل كتابة شخصاً آخر مكانه يقوم بأمر الطلاق فإذا طلق فالزوجة طالق. وإذا كتب الرجل لزوجته كتاب طلاق فهي طالق أيضاً، إذ قد يكونان في بلدين مختلفين، أو يكون غير قادر على الكلام لعلة.

٨ - **الطلاق بالتحريم**: وهو أن يحرم الرجل المرأة على نفسه، كأن يقول لها مثلاً «تحرمين علي» «أنت علي حرام». أو أنت بالحرام، فإذا كانت نيته الطلاق فهي طالق، وإذا كانت نيته مقاطعتها فهو ظهار وعليه كفارة الظهار.

وإن لم ينو ظهاراً ولا طلاقاً بل يميناً فعليه كفارة اليمين.

وإن ربط التحريم بشرط «إن فعلت كذا فأنت حرام علي» فهي كفارة يمين.

الخلع:

وهو أن تفتدي المرأة من زوجها الكارهة له بمالٍ تدفعه إليه ليتخلى عنها.

والخلع جائز إن استوفى شروطه وهي:

١ - أن يكون البغض من الزوجة فإن كان الزوج هو الكاره لها فليس له أن يأخذ منها فدية وإنما عليه بالصبر أو الطلاق.

٢ - أن لا تطالب الزوجة بالخلع إلا إذا كانت تخاف أن يبلغ الضرر الحاصل بها درجة تخاف منها ألا تقيم حدود الله في نفسها أو في زوجها.

٣ - أن لا يتعمد الزوج أذية زوجته حتى تخالع منه فإن فعل فإنه لا يحق له أن يأخذ منها شيئاً والخلع طلاق بائن لا تعود فيه إليه إلا بعقد جديد.

أحكام الخلع:

١ ـ من المستحب ألا يأخذ منها أكثر مما مهرها كي يخلعها.
٢ ـ لا يملك المخالع مراجعتها في عدتها إذ إن الخلع يجعلها بائنة منه.
٣ ـ يحق للأب أن يخالع عن ابنته الصغيرة إذا حصل الضرر من الزواج وذلك نيابة عنها لصغرها وعدم رشدها.

الإيلاء:

هو أن يحلف الرجل ألا يقارب امرأته مدة تزيد عن أربعة أشهر:

ـ والإيلاء جائز لتأديب الزوجة إذا كان أقل من أربعة أشهر لقوله تعالى: ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم ﴾[41].

ـ إذا زادت مدة الإيلاء عن أربعة أشهر جاز للحاكم أن يطلق دفعاً للضرر.
تعتد المطلقة بالإيلاء عدة طلاق ولا يكفيها الاستبراء بحيضة واحدة.
ـ إذا ترك الزوج جماع زوجة مدة الإيلاء حق للزوجة أن تطالبه إما بالجماع او الطلاق.
ـ إذا فاء الزوج قبل نهاية مدة الإيلاء فعليه كفارة اليمين.

الظهار:

وهو أن يقول الرجل للمرأة «أنت علي كظهر أمي».

وهو قد حرم لأن الله تعالى أسماه بالزور والمنكر لأن الزوجة لا يمكن أن تكون في مقام الأم أو أي محرم أخرى وقد قال تعالى في المظاهرين لنسائهم: ﴿ وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً ﴾[42] وأحكامه:

---

(٤١) سورة البقرة الآية (٢٢٦).
(٤٢) سورة المجادلة الآية (٢).

١ - الظهار لا يختص بلفظ الأم بل كل محرم. فتشبيه الزوجة بالأخت أو العمة أو الخالة أو البنت أو الجدة فكله سواء لأن الكل في الحرمة سواء.

٢ - على المظاهر تأدية كفارة الظهار قبل العودة إلى زوجته التي ظاهرها. قال تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم﴾[٤٣].

٣ - يجب إخراج الكفارة قبل أن يمس الزوج زوجته المظاهر منها.

٤ - إذا مسَّها قبل إخراج الكفارة أثم.

٥ - الصيام المذكور في الكفارة يجب أن يكون متوالياً مستمراً غير متقطع فإذا أوقف الصيام لغير عذر المرض، وجبت الإعادة من البداية.

العدة:

لقد فرض سبحانه وتعالى على المطلقة أن تعتد بنفسها ثلاث حيضات إذ قال تعالى: ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾[٤٤].

وقد أثبت العلم الحديث والتجارب أن المرأة يمكن أن تكون حاملاً ورغم ذلك تحيض وفي هذا حكمة الله تعالى في انتظار ثلاث حيضات لأنها حتى ولو استمرت في الحيض فإن الحمل سيظهر خلال هذه المدة ورغم هذا كله فإن لم يكن الحمل ظاهراً فانظر ما أوصى الله به النساء من ألا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن، لأنها تعرف وتحس بالحمل ولو كانت ممن يستمر حيضها مع الحمل.

أما عدة المتوفى عنها زوجها فهي أربعة أشهر وعشرة أيام.

---

(٤٣) سورة المجادلة الآيتان (٣ - ٤).

(٤٤) سورة البقرة الآية (٢٢٨).

وعلى المعتدة أن تعتد في المنزل الذي كانت تسكنه عند وقوع الطلاق أو الوفاة والنص هنا يشمل الطلاق الرجعي والبائن.

إذ قال تعالى: ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ (أول سورة الطلاق).

الحضانة:

قال تعالى: ﴿ لا تضارُّ والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾[٤٥].

لقد أوجبت حكمة رب العالمين ورحمته تعالى أن لا يترك أمر الصغير لمزاج الناس ورغباتهم بل رتب له شؤونه لأنه ما زال قاصراً عن رعاية نفسه وحفظ مصالحه من دفع الضرر عنه وجلب الفائدة له فأوكل أمر حفظه لوالديه أو من يقوم مقامهما من الأهل.

أما الشروط التي يجب توافرها في الحاضن فهي الآتية:

١ ـ أن يكون الحاضن بالغاً فلا حضانة لصغير أو صغيرة.
٢ ـ أن يكون عاقلاً فلا يمكن اسناد الحضانة لناقص العقل أو المجنون أو المعتوه.
٣ ـ على الحاضن أن يكون قادراً على القيام بأعباء الحضانة إذ لا تسند الحضانة لعاجز أو عاجزة، أو أعمى أو أصم أو أخرس.
٤ ـ ألا يكون الحاضن فاسقاً فيكون أدب الطفل وأخلاقه ودينه في خطر.
٥ ـ ألا يكون الحاضن مهملاً مما يسبب الأذى للطفل ويجعل حياته في خطر.
٦ ـ ألا يكون مقيماً في مكان غير مأمون مما يعرض حياة الطفل للخطر.
٧ ـ ألا يكون سفيهاً وخصوصاً إذا كان الطفل ذا مال يخشى ضياعه.
٨ ـ أن يكون الحاضن من دين المحضون لئلا يفتنه عن دينه.

---

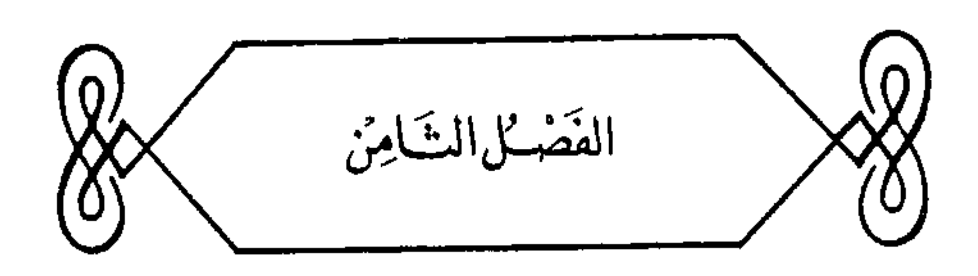
(٤٥) سورة البقرة الآية (٢٣٣).

حقوق الحضانة:

إن الأب هو الذي يتوجب عليه القيام بمسؤولية الطفل إذا استغنى عن خدمة النساء، أما إذا كان دون هذا السن، أي من الاستغناء عن خدمة النساء له فإن في ذلك قولين.

١ - إن الحضانة حق الحاضنة أي أنه لا يمكن إلزام الأم أو من يقوم مقامها، أمها أو أختها إذا امتنعت عن المطالبة بهذا الحق. إذ لا يلزم صاحب الحق باستيفائه إلزاماً فله أن يطلبه وله أن يتركه ويسقط حقها بالزواج أو نقص شرط من الشروط السابق ذكرها.

٢ - الحضانة حق المحضون أي الطفل ومن ثم تلزم الأم أو من يقوم مقامها أمها أو أختها بحضانة الطفل إذا لم يكن له ذو رحم محرم من جهة أبيه يقوم بأمره جدته لأبيه أو عمته.



الفَصْـلُ الثَـامِنْ

نفي الزنا

نفي الزنا في الكتاب والسنة

لقد خلق رب العالمين الإنسان وجعله خليفته في الأرض يعمرها ويسكنها ويتكاثر فيها لتكون منهم شعوباً وقبائل وأمماً تتعارف وتتلاقى وتؤسس الحضارات وأرسل لهم الأنبياء ترشدهم وتدعوهم إلى عبادة الواحد القهار.

ولقد نظم سبحانه الحياة الإنسانية على هذه الأرض بأن جعل لكل نفس زوجها.

فقال تعالى: ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً** ﴾[1].

فأول علاقة بين ذكر وأنثى كانت بين سيدنا آدم عليه السلام وسيدتنا حواء عليها السلام.

هذه العلاقة قد وصفها تعالى بالزواج ﴿ **أنت وزوجك** ﴾ لم يقل سبحانه صاحبتك ولا صديقتك ولا الخ... بل أوضح نوع العلاقة الوحيدة المقبولة ألا وهي الزواج، فكل علاقة خارج حدود ما أحلّ الله من الزواج أو مُلك اليمين إنما هي علاقة ملعونة قد حكم على طرفيها بالخروج على أمر الله والعصيان.

---

(١) سورة البقرة الآية (٣٥).

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾[٢].

وقال: ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾[٣].

وقال: ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾[٤].

إذاً فالزوج والزوجة نفس واحدة فإذا حدث خلل لهذه النفس الواحدة من احد طرفيها، الرجل أو المرأة كان مسيئاً لوحدة هذه النفس، مسيئاً لمن خلق هذه النفس سبحانه رب العالمين.
مسيئاً للنظام الذي وضعه رب هذا الكون وخالقه.

ولذلك أسمى هذه العلاقة خارج حدود الزوجية بالزنا وجعلها مليئة بالأضرار الصحية والاجتماعية لأنها تمزيق للنفس الواحدة التي خلقها الله.
ولقد قرنه سبحانه وتعالى بالقتل، قتل النفس التي حرم الله قتلها والشرك بالله.
لقد قرنه بالقتل لأنه قتل فعلاً، هو قتل لوحدة النفس البشرية بين الزوج وزوجته.

وقتل للعلاقة الإنسانية بينهما وتحويل هذه العلاقة إلى علاقة بهيمية حيوانية ساقطة قذرة لا خلاق لها ولا تحكمها إلا الغريزة التي تحكم الحيوان نفسه، بل حتى الحيوان من الدرجات المنحطة، لأن الحيوانات القوية الكبيرة تحافظ على نوع من العلاقة الزوجية فلا تسمح الأنثى لذكر غير ذكرها بالاقتراب منها بل تقتله إذا حاول وكذا الذكر لا يسمح لذكر آخر بالاقتراب من انثاه وإلا قتله.

فإذا كان الحيوان يفعل هذا فما هو الأحرى بالإنسان. أليس من الحري به أن يحافظ على هذه الرابطة ضمن أخلاقياتها وضمن ما أمر الله به من الحفاظ عليها.

---

(٢) سورة النساء الآية (١).
(٣) سورة الأعراف الآية (١٨٩).
(٤) سورة الزمر الآية (٦).

قال الله تعالى: ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾[٧].

والثابت أن هذا عقاب الزاني والزانية إذا كانا عازبين غير متزوجين ولم يسبق لهما الزواج أما إذا كانا متزوجين أو أحدهما متزوج أو سبق لهما أو لأحدهما الزواج فالعقاب هو الرجم حتى الموت.

قال الرسول ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وقال الرسول ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[٨]. وقال ﷺ: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان كالظلة على رأسه، ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان»[٩].

وقال ﷺ: «من زنى أو شرب الخمر، نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»[١٠]. وفي الحديث النبوي قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة

---

(٥) سورة الإسراء الآية (٣٢).
(٦) سورة الفرقان الآيات (٦٨ - ٧٠).
(٧) سورة النور الآية (٢).
(٨) رواه أبو هريرة عن الرسول (ص).
(٩) جاء في الترهيب والترغيب للمنذري، ورواه أبو داود والترمذي والبيهقي على شرط مسلم والبخاري.
(١٠) رواه الحاكم وجاء عند المنذري.

لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر»[١١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» فقلت: إن ذلك لعظيم ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك». يعني زوجة جارك، فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك: **﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب ﴾**[١٢].

وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب وفيه أنه ﷺ جاءه آتيان (ملاكان) قال: «فانطلقنا، فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، فيه لغط وأصوات، قال: فأطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا[١٣]، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني - يعني من الرجال والنساء - فهذا عذابهم إلى يوم القيامة»[١٤].

وعن عطاء في تفسير قوله تعالى عن جهنم: **﴿ لها سبعة أبواب ﴾**[١٥] قال: أشد تلك الأبواب غماً وحراً وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ركبوا الزنى بعد العلم. وعن مكحول(*) الدمشقي قال: يجد أهل النار رائحة منتنة، فيقولون: ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة! فيقال لهم: هذه ريح فروج الزناة. وقال ابن زيد: إنه ليؤذي أهل النار ريحُ فروج الزناة.

---

(١١) رواه مسلم والنسائي.

(١٢) سورة الفرقان الآيات (٦٨ - ٧٠).

(١٣) ضجُّوا وارتفع صياحهم.

(١٤) رواه البخاري من حدث طويل كما أخرجه المنذري بروايات عديدة.

(١٥) سورة الحجر الآية (٤٤).

وجاء عن الرسول ﷺ أن إبليس يبث جنوده في الأرض ويقول لهم: أيكم اضل مسلماً ألبسه التاج على رأسه، فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة، فيجيء إليه أحدهم فيقول له: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، فيقول: ما صنعت شيئاً سوف يتزوج غيرها. ثم يجيء الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة. فيقول: ما صنعت شيئاً سوف يصالحه. ثم يجيء الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتى زنى. فيقول إبليس: نعم ما فعلت. فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه(١٦).

كما قال النبي ﷺ: «ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له»(١٧). وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «في جهنم وادٍ فيه حيات، كل حية ثخن رقبة البعير، تلسع تارك الصلاة، فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة، ثم يتهرى لحمه، وإن في جهنم وادياً اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب، كل عقرب بقدر البغل، لها سبعون شوكة، في كل شوكة راوية سم، ثم تضرب الزاني وتفرغ سمها في جسمه، يجد مرارة وجعها ألف سنة، ثم يتهرى لحمه، ويسيل من فرجه القيح والصديد».

وورد أيضاً: «أن من زنى بامرأة كانت متزوجة، كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة، فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناته، هذا إن كان بغير علمه، فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة، لأن الله تعالى كتب على باب الجنة: أنت حرام على الديوث».

كما روي عن الإمام علي رضي الله عنه أنه جاءه أحدهم فأخبره أن زوجته تزني.

فقال رضي الله عنه: أشهد عليها وأقم عليها الحد.

قال الرجل: أحبها ولا أريد ذلك.

قال الإمام رضي الله عنه: طلقها.

قال الرجل: أحبها.

---

(١٦) في روايات أخرى أنه لا يضع التاج إلا لمن جعل مسلماً يشرك.

(١٧) رواه أحمد والطبراني وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب.

(١٨) من تزني زوجته ويرضى ويسكت.

وكرر له الإمام القول ثلاث مرات وهو يجيب أحبها.

عندها استل الإمام سيفه وقطع راسه.

وطارت نقطة من دمه فأصابت رداءه فجاء بمقص وقطعها. فقال له الناس: كان بإمكانك أن تغسل الموضع فيطهر.

قال الإمام رضي الله عنه: إن دم الديوث لا يطهر أبداً.

وجاء عن الرسول ﷺ «أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة، جاء يوم القيام مغلولة يده إلى عنقه، فإن قبلها فرضت شفتاه في النار، فإن زنى بها نطقت فخذه، وشهدت عليه يوم القيامة، وقالت: أنا للحرام ركبت، فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه،فيكابر ويقول: ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول: أنا بما لا يحل نطقت، وتقول يداه: أنا للحرام تناولت، وتقول عيناه: أنا للحرام نظرت. وتقول رجلاه: أنالما لا يحل مشيت. ويقول فرجه: أنا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة: وأنا سمعت ويقول الآخر: وأنا كتبت. ويقول الله تعالى: وأنا اطلعت وسترت. ثم يقول الله: يا ملائكتي خذوه، ومن عذابي أذيقوه، فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مني. وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل:

﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾[19].

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم، وقد صحح الحاكم: «من وقع على ذات محرم فاقتلوه». وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ، إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله.

الشذوذ الجنسي:

ومن أنواع الزنا أن يأتي الرجل الرجل وهو اللواط وأن تأتي المرأة المرأة وهو السحاق، وحكمها واحد الموت في الدنيا وعذاب الآخرة.

ولقد جمع الرسول ﷺ في العقاب دنيا وآخرة بين «الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة».

---

(١٩) سورة النور الآية (٢٤).

كما صنف المتشبه من الرجال بالنساء والمتشبهة من النساء بالرجال» بأنهم من الذين لا غفارة لهم وعقوبتهم واجبة بنار جهنم وبئس المصير.

اللواط والسحاق:

ولقد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ﴾ أي طين طبخ حتى صار كالآجر ﴿ منضود ﴾ يتلو بعضه بعضاً. ﴿ مُسوَّمة ﴾ أي معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ﴿عند ربك﴾ أي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه ﴿وما هي من الظالمين ببعيد ﴾[٢٠] ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب.

وقد قال النبي ﷺ: «أخوف من أخاف عليكم عمل قوم لوط» ولعن من فعل فعلهم وكررها ثلاث مرات.

كما قال الرسول ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يُنظر أعلى بناء في القرية، فيلقى منه، ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

وقد أجمع علماء المسلمين على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى: ﴿ أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴾[٢١].

وقال تعالى في آية أخرى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام: ﴿ ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴾[٢٢]. وكان اسم

---

(٢٠) سورة هود الآيتان (٨٢ - ٨٣).
(٢١) سورة الشعراء الآيتان (١٦٥ - ١٦٦).
(٢٢) سورة الأنبياء الآية (٧٤).

قريتهم سدوم، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه وكانوا يأتون الذكران من العالمين في أدبارهم.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: عشر خصال من أعمال قوم لوط: تصفيف الشعر وحل الإزار، ورمي البندق[٢٣] والحذف بالحصى[٢٤]، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع، وفرقعة الأكعب، وإسبال الإزار، وحل أزر الأقبية[٢٥]، وإدمان شرب الخمر، وإتيان الذكور، وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء للنساء.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «سحاق النساء بينهن زنا»[٢٦] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الذكر (يعني اللواط)». وروي أنه: «إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفاً من غضب الله تعالى، وتكاد السماوات أن تقع على الأرض، فتمسك الملائكة [illegible] فتقرأ قل هو الله أحد إلى آخرها، حتى يسكن غضب الله عز وجل»

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ويقول: أدخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول به، يعني اللواط، وناكح البهيمة، وناكح الأم وبنتها، وناكح يده، إلا أن يتوبوا».

وروي: أن قوماً يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى من الزنا، كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم. وروي: أن من أعمال قوم لوط اللعب بالنرد،

---

(٢٣) ما يسمى اليوم «الكلل» وهي الكرات المعدنية أو الزجاجية
(٢٤) نوع من الميسر يتراهنون فيه على أي الحصيات تقع أبعد.
(٢٥) التعري أمام بعضهم البعض كما في الحمامات
(٢٦) رواه الطبراني كما ورد ما يشبهه عند المنذري.

والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، والمناطحة بين الكباش، والمناقرة بالديوك، ودخول الحمام بلا مئزر، ونقص الكيل والميزان.

إتيان المرأة في الدبر ومما شبه باللواط:

إتيان المرأة في دبرها وجاء في الأحاديث نهي كثير عنه وتحذير من عقابه تعالى لمن يفعل ذلك.

وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكراً أو امرأة في دبرها».

وعدم نظر الله سبحانه وتعالى يعني لا رحمة ولا غفران لهما. فهذا العمل مثله مثل الزنا واللواط والسحاق قد حرمه الله ورسوله، قال الله عز وجل: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾[٢٧] أي كيف شئتم مقبلين ومدبرين في صمام واحد، أي موضع واحد. وسبب نزول هذه الآية أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول. فسأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي ﷺ عن ذلك؛ فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ مجبية أو غير مجبية، غير أن ذلك في صمام واحد أخرجه مسلم.

وفي رواية: «اتقوا الدبر والحيضة» وقوله في صمام واحد أي في موضع واحد وهو الفرج، لأنه موضع الحرث، أي موضع مزرع الولد، وأما الدبر فإنه محل النجو، وذلك خبيث مستقذر. وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها»[٢٨].

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد»[٢٩] فمن جامع

---

(٢٧) سورة البقرة الآية (٢٢٣).
(٢٨) رواه أحمد وأبو داود.
(٢٩) رواه أحمد وسواه.

امرأته وهي حائض أو جامعها في دبرها، فهو ملعون وداخل في هذا الوعيد الشديد.

أنواع أخرى من الزنا:

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «زنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا اليد البطش، وزنا الرجل الخطا، وزنا الأذن الاستماع، والنفس تمني وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه» ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان، وعن النظر إليهم، وعن مخالطتهم ومجالستهم، قال الحسن بن ذكوان: لا تجالسوا أولاد الأغنياء، فإن لهم صوراً كصور العذارى، فهم أشد فتنة من النساء. وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على الشباب الناسك مع سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه، وكان يقال: لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد. وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة، لأن النبي ﷺ قال: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[٣٠]. وفي المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم، وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء، ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر، ما لا يتسهل في حق المرأة، فهو بالتحريم أولى، وأقوال السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر، وسموهم الانتان لأنهم مستقذرون شرعاً، وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح والغيرة. ودخل سفيان الثوري الحمام، فدخل عليه صبي حسن الوجه، فقال: أخرجوه عني أخرجوه، فإني أرى مع كل امرأة شيطاناً، وأرى مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطاناً.

عواقب الزنا:

إن للزنا وكل أنواع الشذوذ عواقب وخيمة إن على الشخص الزاني نفسه أو على المجتمع ككل. وسنفصلها بإذن الله واحدة واحدة.

---

(٣٠) ذكره الترمذي.

١ - عواقب الزنا والشذوذ لدى المرأة:

أ- الزنا:

١ - من الناحية النفسية: إن المرأة عندما تمارس الجنس مع رجل غير زوجها فإنها تتحطم نفسياً من الداخل.

أولاً: يسقط حاجز الحياء بينها وبين الجنس الآخر ويتحول بالنسبة لها إلى متاع للذتها وقضاء شهوتها فتفقد علاقتها الإنسانية به وتتحول كل أحاسيسها إلى أحاسيس بهيمية بحتة لا علاقة لها بالجنس البشري الذي رفعه الله وأحسن خلقه.

ومع تحطم حاجز الحياء هذا فإنها تصبح مستعدة لممارسة هذه العلاقة الآثمة مع ثان وثالث ورابع الخ.. كلما تركها واحد بحثت عن آخر، لأن الوحش البهيمي قد سكن في داخلها واستقر والشيطان لعنه الله قد جعلها وسيلة وأداة لاغواء وإضلال الرجال بها.

ويزول احترامها لنفسها وتمنعها الأنثوي لأنها تمارس هذه العلاقة بأعماق جسدها وليس بعضو خارجي منها فحسب.

إنها تقبل أن تذل وتمتهن وتتحول إلى أداة فقط بيد نفسها أولاً وبيد الشخص الآخر لاحقاً.

وهكذا تسقط عن نفسها الصفة الإنسانية الراقية التي اختص الله بها بني البشر.

ثانياً: ينعكس هذا على علاقتها مع زوجها وأسرتها إن كانت متزوجة فتتدمر حياتها الزوجية تماماً، فزوجها لم يعد أكثر من شخص آخر تمارس معه الجنس بلا حياء ولهذا يجب التشديد على أن فحص وتطبيب النساء يجب أن يكون على أيدي طبيبات نساء لأنها عندما تخلع كل ملابسها أمام رجل ولو كان طبيباً ثم طبيب آخر وآخر تعتاد على التعري وإبراز عورتها أمام الرجال فلا يعود الأمر صعباً عليها أن تبرز هذه العورة أمام رجل لممارسة علاقة آثمة. وإن كانت عازبة فإن دمارها النفسي سيحول بينها وبين إنشاء علاقة تؤدي إلى الزواج مع رجل تحترمه

ويحترمها لأنها لو وجدت رجلاً يتزوجها وتخدعه بأي شكل، أو يعلم عنها كل شيء كما في بعض المجتمعات، فإن علاقتها ليست أكثر من علاقة بهيمية هو لا يأبه أين تذهب وهي لا تأبه أين يذهب.

٢ ـ من الناحية الصحية: إن ممارسة العلاقات الجنسية مع أكثر من رجل سيقود المرأة إلى الإصابة بالعديد من الأمراض المدمرة وسنعددها مع بعض الشرح لا أكثر ففي الكتب الطبية شرح وافٍ وتفصيل أوفى.

أ ـ الأمراض الزهرية:

١ ـ السيلان: وهو مرض مؤلم موجع وتكرار الإصابة به أو عدم علاجه يؤدي إلى السرطان، سرطان الرحم الذي يحرمها كل علاقة مع رجل .

٢ ـ التعقيبة: وهي مرض مؤذٍ ومؤلم ومصدر للروائح المنفرة المؤذية إضافة إلى أنه سبب رئيسي لدى النساء للإصابة بالعقم الذي لا دواء له جزاء وفاقاً لما جنته يداها فيحرمها الله من نعمة الأمومة حتى نهاية عمرها.

٣ ـ القرحة الرخوة: وهو نوع من الدرن الصديدي الذي يصيب العورة والمحاشم يؤلم ويؤذي وينفر ويشوه الجسد.

٤ ـ السفلس: وهو أخطر الأمراض الزهرية ينتهي بالشلل والجنون والتشوهات الجسدية لها ولذريتها فتحمل ولا يكتمل الحمل فتسقط وإن أتمت الحمل جاء الطفل مشوهاً ومريضاً ومتخلفاً والعياذ بالله.

٥ ـ الهربس: وهو مرض سببه الشذوذ الجنسي والعلاقات مع نفس الجنس، فهو إضافة إلى ما يسببه هذا الشذوذ من أمراض نفسية وشذوذ نفسي وعصبي يجعل الجلد مشوهاً في كل أنحائه ولا شفاء له إلا الموت مع الآلام الشديدة التي لا تطاق.

٦ ـ الإيدز: وقد أطنبت الصحف والمجلات ووسائل الإعلام في ذكره وأخطاره فهو يدمر جهاز المناعة في الجسد الإنساني.

٣ ـ من الناحية الاجتماعية:

أ ـ الحمل وتبعاته:

إن كل علاقة جنسية نتيجتها المحتومة هي الإنجاب وهنا نرى أربع نتائج:

١ ـ إذا استعملت وسائل منع الحمل المختلفة جاءتها بالأمراض والمحاذير التي تتحدث عنها كتب الطب ومراجعه وكثيراً ما تسبب العقم والانهيارات العصبية.

٢ ـ إذا لم تستعملها وكانت عازبة فإنها إما أن تأتي باللقطاء غير المعروفي الأب فيختلط الحابل بالنابل وتضيع الأنساب.

٣ ـ إذا حاولت الإجهاض فهو قتل للنفس التي حرم الله قتلها أو تموت وهي تجهض أو تصاب بالنزيف والأمراض وتكرار الإجهاض يسبب العقم أيضاً.

٤ ـ إذا كانت متزوجة وحملت. من يضمن أن المولود لن يتزوج أخته أو تتزوج أخاها، إنها سدوم وعمورة من جديد كما في الغرب.

ب ـ الشذوذ:

بالإضافة إلى أن الشذوذ الجنسي لدى المرأة يكرّهها بالرجال فتمتنع عن الزواج وبالتالي تحرم من نعمة الأمومة وهذا جزاؤها في الدنيا وفي الآخرة عذاب أليم.

عواقب الزنا والشذوذ لدى الرجال

أ ـ الزنا:

١ ـ من الناحية النفسية:

أ ـ إن الرجل عندما يمارس الزنا فإنما يرتكب أمراً في السر يستحي من اعلانه فيضعف نفسياً، وينصرف عن عمله إلى ملاحقة النساء وتصير كل النساء بالنسبة إليه أهدافاً جنسية وتتحول علاقته بالمرأة من علاقة مودة إلى علاقة حيوانية تنتهي بانتهاء العمل نفسه وإن استمرت.

ب ـ عندما يمارس هذا العمل فسوف يكرره مع ثانية وثالثة والخ وفي هذا اعتداء على كرامة الناس وهو منهم، فهو بالتالي قد انعدمت لديه الموانع الخلقية والنفسية لهذا العمل وهو مستعد أن يغدر بجاره فيزني بحليلته، وقريبه وقد يصل به الأمر حتى إلى أقاربه وأصدقائه وهو معرض للنبذ أو للموت إذا انكشف أمره بالإضافة إلى العقاب إذا كان المجتمع يطبق الشريعة

الإسلامية بالرجم فإذا لم يكن مجتمعاً إسلامياً فمن يضمن له أن الزوج أو الأخ أو القريب لهذه المرأة لن يناله بأذى.

جـ ـ إن الزاني يجعل بذرته في رحم لا يحل له، فأولاده من الزنا يراهم ولا يجرؤ أن يذكر لهم أبوته لهم وفي هذا عذاب نفسي عظيم.

د ـ حتى لو لم تنجب هذه العلاقة فهل يأمل الزاني وهو يسعى إلى هذا الأمر أن لا توقعه زانية بحبائلها فيتزوجها ثم تزني وهي معه. وهو يعيش معها في شك وعذاب دائم، لأن لا ثقة له بها ولا بالنساء وعموماً، فالعذاب خبز يومه وليله.

هـ ـ إن سعيه إلى الزنا سيقوده إلى الأماكن التي يجد فيها بغيته من الزانيات والمومسات، فأي نوع من العلاقات الاجتماعية سيكون مع هذا النوع من الناس.

و ـ إن سعيه إلى الزنا سيقوده إلى الأماكن التي يجد فيها هذه النسوة من أماكن السكر والميسر والمنكر بكل أنواعه فيسقط في حبائل الضلال أكثر فأكثر ويدمِّر نفسه دون أن يشعر، قليلاً قليلاً.

٢ ـ من الناحية الاجتماعية:

١ ـ إساءة علاقته بكل مجتمعه لضياع الارتباطات والعلاقات العائلية والاجتماعية مع إخوانه بالإنسانية والدين.

٢ ـ سيأتي بأبناء السفاح ثم ربما يتزوج ويأتي بالأبناء فهل يعلم إن كان ابنه أو ابنته سيتزوج من أخته أو تتزوج من أخيها وهو لا يعلم. كما حصل في السويد مثلاً، فبعد زواج الشاب والفتاة وحصولهما على أبناء اكتشفا إنهما أخوان، فالعياذ بالله.

كما أعرف شخصاً اضطر أن يزوج ابنته إلى الأخ الأصغر لعشيقته بعد أن هددت بفضحه إذا لم يتم هذا الزواج فأي حياة هذه.

٣ ـ سيتحول عن التفكير بالأمور الاجتماعية السامية لتحسين حياته وتطويرها نحو الأفضل أو العمل لمستقبله، وسيصبح همه الأوحد ملاحقة النساء.

٤ ـ إذا عرفت زوجته بأمره فستتدمر حياة أسرته.

٥ ـ إذا كانت زوجته ممن لا يخشين الله وعرفت بأمر فقد تقلده فيما يفعل وتضيع حياة أسرة بكاملها بما فيها من أطفال سيعيشون في هكذا أجواء فالابن سيقلد أبيه والبنت أمها.

٣ ـ من الناحية الصحية:

الأمراض التي سبق ذكرها بالنسبة للنساء هي نفسها التي تصيب الرجال إضافة لأمراض عديدة أخرى تصيب الجنسين نتيجة هذه العلاقات المحرمة. الأمراض المعدية التي تنتقل بالعدوى من اللقاء مع الساقطات ومنها السل والأمراض الصدرية المختلفة إضافة إلى الأمراض العديدة الأخرى من أمراض الفم إلى الأمراض الجلدية وكل هذا ينقله الزاني إن كان رجلاً أو امرأة إلى أسرته بالعدوى.

ب ـ الشذوذ:

وهنا الداهية الدهياء والطامة الكبرى وهو مرض الأيدز الذي لا يصيب إلا الشاذين جنسياً ولا علاج له إلا الموت.

بالإضافة إلى الآلام التي لا تحتمل حتى تحين منيته.



نفي الكبائر

١ - نفي القتل

قتل الغير:

قتل النفس التي حرَّم الله قتلها إلا بالحق من أعظم الكبائر وهي من السبع الموبقات بعد الشرك بالله والتي لاجزاء لها إلا جهنم خالدين فيها أبداً.

وقد قال تعالى: ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وإذا

---

(١) سورة النساء الآية (٩٣).

(٢) سورة الفرقان الآيات (٦٨ - ٧٠).

(٣) سورة المائدة الآية (٣٢).

الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾[4]. وقال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، فذكر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. وقال رجل للنبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» فأنزل الله تعالى: تصديقها: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾[5] الآية. وقال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه».

وقال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[6] وقال رسول الله ﷺ: «لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً» وقال ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[7]. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»[8] وقال ﷺ: «الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس واليمين الغموس» وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار، وقال ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل» مخرج في الصحيحين. وقال ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً»[9].

وإذا كان هذا الوعيد لمن قتل معاهداً أو ذمياً من اليهود أو النصارى المقيمين في دولة الإسلام وتحت رعايته فكيف يكون العقاب وغضب الله لقتل المسلم وقد قال رسول الله ﷺ: «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي

---

(٤) سورة التكوير الآية (٨ ـ ٩).
(٥) سورة الفرقان الآية (٦٨).
(٦) من خطبة الوداع.
(٧) متفق عليه في الصحاح.
(٨) جاء في السنن.
(٩) رواه البخاري.

الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى»[10] وعن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»[11]. على أنه لا يعتبر قتلاً من قتل دفاعاً عن نفسه أو عرضه أو ماله ضد غاصب أو معتد أو مفسد في الأرض أو قاطع طريق والأحاديث والآيات الواردة لا تشمل هذه الحال بالنفي لأن القتل هنا إن لم يكن متعمداً وأمكن تركه بعد فرار المهاجم وجب الكف لأن القتل يكون من حق المجتمع وليس من حق الفرد أما إذا فرَّ المهاجم لكن المدافع تبعه ولحق به بعد أن انهزم دون أن يكون قد أصابه منه أذى أصبح الأمر قتلاً.

قتل الذات أي الانتحار:

إن الانتحار جريمة قتل أيضاً قد حرمها الله وجعل عقابها كعقاب قتل الغير لأن نفس الإنسان إنما هي ملك لخالقه وليس ملكاً شخصياً له يتصرف المرء به كما يشاء.

وحتى بعض القوانين الوضعية قد شرعت محاكمة ومعاقبة المنتحر إذا نجا من الموت وبعضها فرض حجزه لمعالجته من المرض أو السبب النفسي الذي دفعه إلى هذا العمل.

وقال قال الله تعالى: ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً** ﴾[12].

قال الواحدي في تفسير هذه الآية: ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة. هذا قول ابن عباس والأكثرين. وذهب قوم إلى أن هذا نهي عن قتل الإنسان نفسه، ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو منصور محمد بن المنصوري بإسناده عن عمرو بن العاص

---

(١٠) رواه الإمام أحمد ابن ماجه.

(١١) أخرجه النسائي والحاكم.

(١٢) سورة النساء الآيتان (٢٩ ـ ٣٠).

قال: احتلمت في ليلة باردة وأنا في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، فصليت بأصحابي الصبح، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته الذي منعني من الاغتسال فقلت: إني سمعت قول الله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾. فضحك رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئاً، يدل هذا الحديث على أن عمراً تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره، ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ.

قوله: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ وكان ابن عباس يقول: الإشارة تعود إلى كل ما نهى عنه من أول السورة إلى هذا الموضع.

وقال قوم: الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة وقوله: ﴿عدواناً وظلماً﴾ مع العدوان أي يعدو ما أمر الله به.

﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي إنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار.

وعن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جروح، فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: «بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة». «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم مخلداً فيها أبداً» مخرج في الصحيحين. وفي حديث ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن المؤمن كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة». وفي الحديث الصحيح عن الرجل الذي آلمته الجراح فاستعجل الموت فقتل نفسه بذباب سيفه، فقال رسول الله ﷺ: «هو من أهل النار».

٢- نفي السحر

وكذلك السحر فهو من السبع الموبقات وهي أكبر الكبائر التي نفاها رسول الله ﷺ ودعا إلى اجتنابها وحذر المؤمنين مغبة الوقوع بها لأن الساحر لا بد وأن يكفر، قال الله تعالى: ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾[١]

وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به. قال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق[٢] ﴾[٣].

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم السيمياء وعملها، وهي محض السحر، وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له، وأشياء كذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٠٢).

(٢) أي ليس له فيه نصيب الفوز بالجنة.

(٣) تتمة الآية (١٠٢) من سورة البقرة.

وحد الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر، قال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها السحر والموبقات المهلكات فليتق العبد ربه، ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «حد الساحر ضربه بالسيف»[1] والصحيح أنه من قول جندب.

وعن بجالة بن عبدة أنه قال: أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: الكاهن والساحر كافر.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر»[3]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً قال: «الرقي والتمائم والتوله شرك»[4] التمائم جمع تميمة وهي خرزات أو حروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين، وهذا من فعل الجاهلية ومن اعتقد ذلك فقد أشركُ، والتوله بكسر التاء وفتح الواو نوع من السحر، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى، قال الخطابي رحمه الله: وأما إذا كانت الرقية بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة لأن النبي ﷺ كان يرقي الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة من كل عين لامة».

وقد قال الذهبي في رسالته الصغرى في الكبائر عن السحر:

«واعلم أن كثيراً من هذه الكبائر بل عامتها إلا الأقل يجهل الخلق من الأمة تحريمها وما بلغه الزجر فيه والوعيد».

ونحن نقول ان المصيبة الأكبر هي أن كثيراً من مدعي السحر والكهانة إنما يدعون أنهم مشايخ ورجال دين كي يثق الناس بهم والدين منهم براء.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد في المسند وابن حبان وأبو يعلى والحاكم.

(٤) رواه أحمد وأبو داود وسواهما.

وقانا الله وإياكم شر الكبائر ووفقنا إلى ما فيه عفوه ورضاه، لأن العقاب السماوي ليس مخصصاً فقط للساحر، أو الكاهن المرتكب لهذه المعصية، بل يشمل أيضاً من يذهب إلى هذا الساحر طلباً لخدماته لأنه يصدق بقدراته فهو شريكه في الإثم وشريكه في العقاب.

تصديق السحرة والمنجمين والكهنة والبصارين:

قال الله تعالى: ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾[٥]. قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ قال الكلبي: لا تقل ما ليس لك به علم. وقال قتادة: لا تقل سمعت ولم تسمع، ورأيت ولم تر، وعلمت ولم تعلم. والمعنى لا تقولن في شيء بما لا تعلم: ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾ قال الوالي عن ابن عباس: يسأل الله العباد فيم استعملوها، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول** ﴾[٦] قال ابن الجوزي: عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه، فلا يظهر: أي فلا يطلع على غيبه الذي لا يعلمه أحد من الناس إلا من ارتضى من رسول، لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب. والمعنى أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب، ففي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر. والله أعلم.

وقال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[٧]. وروي في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم،

---

(٥) سورة الإسراء الآية (٣٦).

(٦) سورة الجن من الآيتين (٢٦ - ٢٧).

(٧) رواه أبو داود.

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

وقال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة اربعين يوماً»[٨] رواه مسلم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله ﷺ أناسٌ عن الكهان، فقال: «ليسوا بشيء». قالوا: يا رسول الله أليس قد قال كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه ـ أي يلقيها ـ فيخلط معها مائة كذبة» مخرج في الصحيحين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان؛ وهو السحاب، فتذكر الأمر قضي في السماء، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[٩].

وعن قبيصة بن أبي المخارق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت». رواه أبو داود وقال: الطرق من الزجر، أي زجر الطير، وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه، فإن طار إلى جهة اليمين تيمن. وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم، قال أبو داود: العيافة الخط. قال الجوهري: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[١٠].

---

(٨) رواه مسلم.

(٩) رواه البخاري.

(١٠) رواه أبو داود.

٣ـ نفي أكل مال اليتيم

ورابعة السبع الموبقات هي أكل مال اليتيم بغير حق وظلمه وهي كبيرة قد توعد الله سبحانه وتعالى فاعلها بأنه سيأكل ناراً ويصلى سعيراً لا حد لعذابه ولا نهاية لعقابه إلا برحمة من الله وحده سبحانه تبارك رب العزة تعالى عما يصنعون.

قال الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده** ﴾[٢].

وعن فضلة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الله عز وجل قوماً من قبورهم، تخرج النار من بطونهم، تأجج أفواههم ناراً» فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ألم تر أن الله تعالى يقول: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً** ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء الآية (١٠).

(٢) سورة الإسراء الآية (٣٤) وسورة الأنعام الآية (١٥٢).

(٣) رواه ابن حبان وسواه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث المعراج: «فإذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم، وآخرون يجيئون بالصخور من النار، فيقذفونها بأفواههم، وتخرج من أدبارهم، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً»[٤].

قال العلماء: فكل ولي ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله، فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فحسب حرام لقوله تعالى: ﴿ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾[٥].

وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال:

١ ـ إنه الأخذ على وجه القرض.
٢ ـ الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.
٣ ـ إنه بقدر الحاجة إذا عمل لليتيم عملاً.
٤ ـ إنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاه، وإن لم يوسر فهو في حل. وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي في تفسيره.

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما. وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى.

كفالة اليتيم هي القيام بأموره، والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إذا كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى، وقوله في الحديث: له أو لغيره: أي سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبياً منه، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه، والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة.

---

(٤) وقد جاء في حلم الرسول (ص) الذي رواه سمرة بن جندب.

(٥) سورة النساء الآية (٦).

وقال رسول الله ﷺ: «من ضم يتيماً من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى، أوجب الله له الجنة، إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر»[٦]. وقال ﷺ: «من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله، كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا في الجنة»[٧].

وقال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه: أوصني بوصية، قال: ارحم اليتيم، وأدنه منك وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ أتاه رجل يشتكي قسوة قلبه فقال رسول الله ﷺ: «إن أردت أن يلين قلبك، فأدن اليتيم منك، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، وتقدر على حاجتك»[٨].

وقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه: خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه، وأحب عباد الله تعالى من اصطنع صنعاً إلى يتيم أو أرملة.

وروي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام «يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج الشفيق، وأعلم أنك كما تزرع كذا تحصد». معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك. أي لا بد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم، أو امرأة أرملة. وقال داود عليه السلام في مناجاته: إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي. معناه ظل رحمتي يوم القيامة.

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الساعي[٩] على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله». قال الراوي أحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر».

---

(٦) رواه الترمذي عن ابن عباس.

(٧) رواه أحمد في المسند.

(٨) رواه الطبري.

(٩) الساعي عليهم: هو القائم بأمورهم طلباً لثواب الله فقط.

٤ - نفي الربا

وخامسة الموبقات، أكل الربا، وفي خطبة الوداع لرسول الله ﷺ يوم النحر بمنى شدد على نفي الربا ووضع كل ربا الجاهلية، وكان أول ربا وضعه ربا عمه العباس رضي الله عنه الذي كان له عند الناس منذ ما قبل الإسلام.

وقد قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قد مسه الشيطان وصرعه ﴿ **ذلك** ﴾ أي ذلك الذي أصابهم: ﴿ **بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا** ﴾[2] أي حلالاً، فاستحلوا ما حرم الله، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين، إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع، كلما قام صرع، لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا، أرباه الله في بطونهم، حتى أثقلهم يوم القيامة، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا، ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرون.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٣٠)

(٢) سورة البقرة الآية (٢٧٥).

وقال قتادة[٣]: إن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً، وذلك علم لأكلة الربا، يعرفهم به أهل الموقف، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما أسري بي، مررت بقوم بطونهم بين أيديهم، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم، قد مالت بهم بطونهم، منضدين على سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً، قال: فيقبلون مثل الإبل المنهزمة، لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا، فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين، فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة». قال ﷺ: «فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس».

وفي رواية قال: «لما عرج بي سمعت في السماء السابعة فوق رأسي رعداً وصواعق، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت، فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء أكلة الربا»[٤].

وروي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله بهلاكها»[٥] وعن عمر مرفوعاً: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة[٦]، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بلاء، فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم».

وقال ﷺ: «ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون، ولا ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر»[٧].

وجاء في حديث آخر: «إن آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم، ويلقم الحجارة وهو المال الحرام

(٣) قتادة السدوسي من علماء التابعين.

(٤) رواه أحمد وابن ماجه.

(٥) رواه أبو يعلى وصحح الحاكم اسناده.

(٦) طاقة الجمل على الحمل

(٧) القطر هو المطر والحديث قد رواه البيهقي والبزار وابن ماجه والحاكم على شرط مسلم.

الذي جمعه في الدنيا، يكلف المشقة فيه، ويلقم حجارة من نار، كما ابتلع الحرام في الدنيا، هذا العذاب له في البرزخ قبل القيامة مع لعنة الله له» كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا».

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلهم على أكل الربا، كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت ، فحفروا لها حياضاً تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير. وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل، فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين، قال أيوب السختياني[8]: يخادعون الله كما يخادعون صبياً ولو أتوا الأمر عياناً كان أهون عليهم. وقال ﷺ: «الربا سبعون باباً، أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم»[9].

وعن أنس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال: «الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الإسلام»[10] وعنه ﷺ قال: «الربا سبعون حوبا[11] أهونها كوقع الرجل على أمه» وفي رواية: «أهونها كالذي ينكح أمه».

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «الزائد والمستزيد في النار». يعني الآخذ والمعطي فيه سواء.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا كان على رجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربا. وقال الحسن[12] رحمة الله: إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت. وهذا من قوله ﷺ: «كل قرض جر نفعاً فهو رباً».

---

(٨) وهو أبو بكر البصري من كبار علماء التابعين.

(٩) رواه الطبراني في الأوسط وأورده المنذري في الترغيب والترهيب باب الترهيب من الربا.

(١٠) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي.

(١١) الحوب: الذنب.

(١٢) هو الحسن البصري من أئمة التابعين.

وقال ابن مسعود أيضاً: من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهي سحت. وتصديقه من قوله ﷺ: «من شفع لرجل شفاعة أهدى له عليها فقبلها، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا».

العشَّار أو المكاس:

ومما يتبع الربا، المكس ويسمى آخذه المكاس أو العشر وآخذه العشَّار أو العاشر وهو نوع من الضريبة يفرضه صاحب الأرض أو القوي في منطقة ما على التاجر أو الناس المارين في أرضه أو موقع قوته بنسبة عشرة بالمائة من قيمة المال أو البضاعة التي يحملها المار أو المسافر أو التاجر.

وقد قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾[١٣]. والمكاس من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم، فإنه يأخذ مالاً لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق، ولهذا قال النبي ﷺ: «المكاس لا يدخل الجنة» وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة صاحب مكس». رواه أبو داود، وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد، ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم؟.. إنما يأخذون من حسناته إن كان له حسنات، وهو داخل في قول النبي ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي بصلاة وزكاة وصيام وحج. ويأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[١٤].

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم: «لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه». والمكاس من فيه شبه قاطع الطريق، وهو من اللصوص وجابي المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر، آكلون للسحت والحرام، وصح أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١٣) سورة الشورى الآية (٤٢).

(١٤) رواه مسلم والترمذي.

«لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت، النار أولى به» والسحت كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار. ذكره الواحدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴾[١٥] وعن جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي وإني جمعت من بيعها مالاً، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة، وإن الله لا يقبل إلا الطيب» فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب[١٦] ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾.

أكل المال الحرام

وما يتبع الربا أيضاً ويشابهه ويمكن اعتباره من أبوابه استطالة المسلم على مال أخيه المسلم وأكله بالحرام.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾[١٧] أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل، والأكل الباطل على وجهين:

أحدهما: أن يكون على جهة الظلم والغب والخيانة والسرقة.

والثاني: على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك.

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة». وفي صحيح المسلم حين ذكر النبي ﷺ: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[١٨]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني

---

(١٥) سورة المائدة الآية (١٠٠).

(١٦) قال عطاء هو الحلال والحرام.

(١٧) سورة البقرة الآية)١٨٨).

(١٨) من حديث ابن عباس.

مستجاب الدعوة. فقال ﷺ: «يا أنس أطب كسبك تجب دعوتك فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوماً». وروى البيهقي بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق منه فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن»[١٩].
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة، من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورثه جنته، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان، ورب متخوض فيما اشتهت نفسه من الحرام له النار يوم القيامة»[٢٠]. وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من لم يبال من أين اكتسب المال، لم يبال الله من أي باب أدخله النار».
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لأن يجعل أحدكم في فيه تراباً خير من أن يجعل في فيه حراماً»[٢١]. وقد روي عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال: إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: أنظروا من أين مطعمه، فإن كان مطعم سوء قال دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه.
ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من حج بمال حرام فقال لبيك: قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك»[٢٢]. وروى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه». وقال وهب بن الورد: «لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تعلم ما يدخل بطنك أحلال أم حرام». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يقبل الله صلاة امرىء وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه». وقال

---

(١٩) ذكر المنذري في الترغيب والترهيب هذا الحديث نقلاً عن مسند أحمد.
(٢٠) رواه البيهقي أيضاً.
(٢١) رواه أحمد.
(٢٢) رواه الطبراني.

سفيان الثوري: «من أنفق الحرام في الطاعة، فهو كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال» وقال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام. وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام»[٢٣] وعن زيد بن أرقم قال: «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج أي قد كاتبه على مال، وكان يجيئه كل يوم بخراجه، فيسأله: من أين أتيت بها؟ فإن رضيه أكله، وإلا تركه. قال: فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائماً فأكل منه لقمة ونسي أن يسأله، ثم قال له: من أين جئت بهذا؟ فقال: كنت تكهنت لأناس في الجاهلية وما كنت أحسن الكهانة إلا أني خدعتهم. فقال أبو بكر: أف لك كدت تهلكني. ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج، فقيل له: إنها لا تخرج إلا بالماء فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شيء في بطنه. فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال رضي الله عنه: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، إني سمعت رسول الله يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به». فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة[٢٤]. وقد تقدم قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام»، وإسناده صحيح. قال العلماء رحمهم الله: ويدخل في هذا الباب المكاس والخائن والزغل والسارق والبطال وآكل الربا وموكله وآكل مال اليتيم وشاهد الزور ومن استعار شيئاً فجحده وآكل الرشوة ومنقص الكيل والوزن ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه والمقامر والساحر والمنجم والمصور والزانية والنائحة والعشرية والدلال إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ومخير المشتري بالزائد ومن باع حراً فأكل ثمنه.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثوراً ثم يقذف بهم في النار». فقيل: يا رسول الله كيف ذلك؟ قال: «كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم»[٢٥].

---

(٢٣) رواه الترمذي وابن حبان.

(٢٤) رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢٥) رواه الطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي.

٥ ـ نفي التولي يوم الزحف

وهو سادسة الموبقات التي جاء بها الوعيد من رب العالمين ومن رسوله الكريم ﷺ في حديثه أنهن: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[١].

قال الله تعالى: **﴿ ومن يولهم يومئذ دُبُره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾**[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت: **﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾**[٣] فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين. ثم نزلت **﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة**

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحها والنسائي وأبو داود في سننهما كما ذكره المنذري في الترغيب والترهيب في كل أبواب الكبائر.

(٢) سورة الأنفال الآية (١٦) والتحرف لقتال أي أن يكون تراجعه من نوع الخطط العسكرية.

(٣) سورة الأنفال الآية (٦٥).

يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾[٤].
فكتب: أن لا يفر مائة من مائتين، رواه البخاري.

---

(٤) سورة الأنفال الآية (٦٦).

٦ـ نفي ترك الحج

وهناك أيضاً بعض الناس الذين يتكاسلون عن القيام بفريضة الحج رغم قدرتهم المالية عليه وعدم وجود مانع مرضي أو صحي يحول دون إتمامهم لهذه الفريضة كأنهم يتكاسلون إما خوفاً من مصاريف الحج لبخلهم وإما لعدم حبهم لتحمل مشاق الحر والازدحام.

قال الله تعالى: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[1].

وقال النبي ﷺ) «من ملك زاداً وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى

---

(١) سورة آل عمران الآية (٩٧).

(٢) رواه الترمذي والبيهقي.

هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة[٣]، ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وما هم بمسلمين[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت. فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار! قال: وإن ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق﴾ أي أؤدي الزكاة ﴿ وأكن من الصالحين ﴾[٥]. أي أحج ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾[٦]. قيل: فيم تجب الزكاة؟ قال: بمائتي درهم وقيمتها من الذهب، قيل: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة، وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه، قال: مات جار لي موسر لم يحج فلم أصلِ عليه.

---

(٣) قدرة حسدية.
(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه.
(٥) سورة المنافقون الآية (١٠)
(٦) سورة المنافقون الآية (١١).

٧- نفي قذف المحصنات

وهي سابعة الموبقات السبع التي هي من حدود الله التي أنذر عباده بعدم اقترافها أو الاقتراب منها. والتي أوجب فيها العقاب في الدنيا بإقامة الحد على مقترفها وفي الآخرة عذاب عظيم.

ولقد قال الله تعالى: ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون** ﴾[2]. بين الله تعالى في الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة بالزنا والفاحشة أنه ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم، وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة، وتسقط شهادته، وإن كان عدلاً. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»[3] فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات. والقذف أن يقول لامرأة حرة عفيفة

---

(١) سورة النور الآيتان (٢٣ ـ ٢٤).

(٢) سورة النور الآية (٤).

(٣) سبق ذكره.

مسلمة: يا زانية أو يا باغية، أو يا قحبة، أو يقول لزوجها: يا زوج القحبة. أو يقول لولدها: يا ولد الزانية، أو أية كلمة تعطي نفس المعنى والمضمون مما يكثر الناس من استعماله في هذا المعنى. أو يقول لبنتها: يا بنت الزانية أما ما يعني ذلك بلفظ آخر فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل: يا زاني أو قال لصبي حر: يا علق، أو أية لفظة تفيد كونه لوطي أو يلاط به مهما تغير اللفظ المستعمل، لأن لكل بلد لهجة مختلفة وتؤدي جميعها نفس المعنى بالنتيجة وجب عليه الحد ثمانون جلدة إلا أن يقيم بينة بذلك. والبينة ما قال الله: أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذلك الرجل. فإن لم يقم بينة جلد إذا طالبته بذلك التي قذفها أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه: يا زاني أو لجاريته يا زانية أو يا باغية أو ما يعني ذلك لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال». وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة في الدنيا والآخرة. ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل[٤] بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» فقال له معاذ بن جبل: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال: «ثكلتك[٥] أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم». وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». وقال تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾[٦] قال عقبة بن عامر: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وأبك على خطيئتك وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي».

وقال ﷺ: «إن أبغض الناس إلى الله الفاحش البذيء، الذي يتكلم بالفحش، ورديء الكلام»[٧].

---

(٤) يهوي إلى قاعها.

(٥) عدمتك.

(٦) سورة ق الآية (١٨).

(٧) رواه النسائي وابن أبي الدنيا وأبو نعيم.

٨ ـ نفي الإفطار دون عذر

ومن الكبائر أيضاً الإفطار في رمضان دون عذر من الأعذار التي نزل بها كتاب الله وأباح بسببها الإفطار وهي الرخص التي أباحها لعباده.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾[1].

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان».

وقال ﷺ[2]: «من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصوم رمضان»، فمن ترك واحدة منهن فهو كافر».

---

(١) سورة البقرة الآيتان (١٨٣ ـ ١٨٤).

ومن شاء تفاصيل أكثر فليراجع كتاب جامع الخطب المنبرية لنفس المؤلف ونفس الناشر.

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

٩ ـ نفي ترك صلاة الجماعة

وكذلك فإن ترك صلاة الجماعة دون عذر من مرض أو سفر يمنع صلاة الجماعة ويجعلها مستحيلة يعتبر كبيرة من الكبائر التي نهى الرسول ﷺ عنها وجاءت بذلك أحاديث عديدة منها ما جاء:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن قوم يتخلفون عن الجماعة: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم». رواه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»[1].

وقال ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه» أخرجه أبو داود والنسائي؛ وقال: «من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقاً في ديوان لا يمحى ولا يبدل»[2].

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة وابن عمر.

(٢) وكذا رواه الترمذي وحسنه

وعن حفصة[3] رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رواح الجمعة واجب على كل محتلم» أي على كل بالغ.

(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها إحدى زوجات الرسول (ص) وأمهات المؤمنين وقد رواه النسائي.

١٠ـ نفي شرب الخمر

الخمر أم الرذائل كلها فشاربها متى شربها فقد وعيه واتزانه العقلي وإن لم يصل إلى درجة الخبال فإنه لا يتورع عن ارتكاب محرم أو إتيان إثم، فشاربها وإن لم يكن من أهل الزنـا، إذا دعاه داعي الزنا وهو شارب لم يتورع عن ذلك، وخصوصاً عندما يذهبون لاحتسائها في أوكار الرذيلة والفساد وتحيط بهم الزواني من كل حدب وصوب.

وانكى من هؤلاء من يدعون أنهم لا يشربون في هذه الأماكن بل يشربون في منازلهم. فهو متى شربها انحدر من مكانته واحترامه أمام زوجته وأطفاله، فزوجته تفقد احترامها له ويبدأ التمزق العائلي فكأنه يدفع بها إلى السقوط في حمأة الرذيلة بيديه وأطفاله يرونه يشرب فلا يمتنعون عن مشاركته فإن لم يشربوا في البداية بحضوره وبدعوة منه، فعلوا ذلك لاحقاً وحدهم وهو الراعي المسؤول عن رعايتهم وصيانتهم قد قادهم هكذا بيديه إلى الخمر والسكر وكل أنواع الموبقات.

وشارب الخمر يحب أن يرى حوله من يشاركه شربه فيدعو زوجته لمشاركته فإن لم يكن لها مناعة من دين وتقى سقطت معه في الحمأة.

وقد يدعو صديقاً أو أصدقاء له ليشربوا معه وحدهم أو مع زوجاتهم وصديقاتهم أيضاً وبعد السكر وضياع العقل لا يعرف أو لا يأبه من يواقع ومن يواقع زوجته فهو بهذا الخمر قد صار ليس فقط شارب خمر قد لعنه الله ورسوله بل زانٍ وديوثٌ أيضاً جاءته اللعنة إثر اللعنة من كل حدب وصوب لما يقترفه من الرذائل الكبيرة المهلكة.

وقد قال الله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾[1]. فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها وقال النبي ﷺ: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث»[2] فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله، واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله. قال الله تعالى: ﴿**ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين**﴾[3]. وعن ابن عباس[4] رضي الله عنهما قال: لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا: حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك.

وذهب[5] عبدالله بن عمرو إلى أن الخمر أكبر الكبائر، وهي بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها في أكثر من حديث. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة» رواه مسلم. عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال». قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار أو عصارة أهل النار»[6].

---

(١) سورة المائدة الآيتان (٩٠ - ٩١).
(٢) وقد ورى الحاكم من حديث ابن عباس قول الرسول (ص) «فإنها مفتاح كل شر».
(٣) سورة النساء الآية (١٤).
(٤) رواه الطبراني.
(٥) رواه الطبراني والحاكم.
(٦) رواه مسلم والنسائي.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة».

مدمن الخمر كعابد الوثن

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مدمن الخمر كعابد وثن».

مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة:

روى النسائي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر». وفي رواية: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث وهو الذي يقر السوء في أهله»[٧].

السكران لا يقبل الله منه حسنة.

روى جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها والسكران حتى يصحو»[٨].

والخمر ما خامر العقل أي غطاه، سواء كان رطباً أو يابساً أو مأكولاً أو مشروباً. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة ما دام في جسده شيء منها». وفي رواية: «من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً، ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب ثم عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من مهل جهنم»[٩] وقال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر ولم يسكر، أعرض الله عنه أربعين ليلة، فإن مات فيها مات كعابد

---

(٧) كما رواه أحمد في مسنده والبزار والحاكم.

(٨) رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي وابن حبان وابن خزية.

(٩) ذكره صاحب اللالي عن عبد بن حميد بسنده.

وثن، وكان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عصارة أهل النار القيح والدم»[10].

وقال عبدالله بن أبي أوفى: من مات مدمناً للخمر مات كعابد اللات والعزى. قيل: أرأيت مدمن الخمر هو الذي لا يستفيق من شربها؟ قال: لا ولكن هو الذي يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد» أخرجه مسلم والبخاري. وفي الحديث: «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»[11] وفيه: «من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً ومن شربها مصبحاً أمسى مشركاً» وفيه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن». وروى الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجري من فروج المومسات (أي الزانيات) يؤذي أهل النار ريح فروجهن».

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني رحمة وهدى للعالمين، بعثني لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية، وأقسم ربي تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم، ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها في حظائر القدس مع خير الندماء»[12].

الملعون في الخمر:

ذكر أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ قال: «لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل

---

(١٠) رواه الحاكم مختصراً وجب في صحيحه كما أورده المنذري في الترغيب والترهيب.

(١١) رواه الحاكم.

(١٢) رواه أحمد.

ثمنها». وروى الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها».

والأحاديث في لعن هؤلاء كثيرة، لأن الخمر هي من المجتنبات وما أمر باجتنابه كان أكبر من الكبائر لأنه داعية لها.

فقد تجالس الزاني وهو يأكل ولا تدري أنه زان، وتؤاكل العاصي ولا تعلم بعصيانه، وحتى لو كنت تعلم فلا يصيبك من إثمه شيء.

أما الخمر فالأمر باجتنابها يعني ليس فقط عدم تعاطيها إذ تشمل لعنتها كما رأينا كل من له علاقة بها. كما يحرم على المؤمن مجالسة الشرّاب وهم يشربون، ولو لم يشاركهم شرابهم وسكرهم، لأنه يشم ريحها ويسمع حديثها، وهو حديث الإثم والشيطان.

حتى لقد منع من زيارتهم إذا مرضوا وشهود جنازتهم إذا ماتوا.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا». قال البخاري، وقال ابن عمر: «لا تسلموا على شربة الخمر» وقال ﷺ: «لا تجالسوا شراب الخمر، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه مدلعاً لسانه على صدره، يسيل لعابه، يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر».

وقد قال بعض العلماء: إنما نهي عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون، قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله: «لعن الله الخمر وشاربها» الحديث فإن اشتراها وعصرها كان ملعوناً مرتين، وإن سقاها لغيره كان ملعوناً ثلاث مرات فلذلك نهي عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب، فمن تاب تاب الله عليه.

حتى أنه أيضاً قد نهى عن استعمالها كدواء، فقد روت أم سلمة رضي الله

عنها فقالت: «اشتكت ابنة لي، فنبذت لها[13] في كوز، فدخل عليّ رسول الله ﷺ وهو يغلي، فقال: ما هذا يا أم سلمة؟ فذكرت له أني أداوي به إبنتي، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها».

ولقد روي في الخمر وتحريمها وعذاب مدمنها أحاديث كثيرة.

من ذلك ما ذكره أبو نعيم في الحلية عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ بنبيذ في جرة له نشيش فقال: «أضربوا بهذا الحائط فإن هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر».

قال رسول الله ﷺ: «من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر، يجيء يوم القيامة كل حرفٍ من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدي الله تبارك وتعالى، فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصم، فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة». وجاء عن النبي ﷺ: «ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار، فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون. يقول أحدهم للآخر: يا فلان لا جزاك الله عني خيراً فأنت الذي أوردتني هذا المورد. ويقول له الآخر مثل ذلك». وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تساقط لحمه وجلده، يتأذى به أهل النار، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوماً ولا حجاً حتى يتوبوا: فإن ماتوا قبل التوبة كان حقاً على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر وخمر حرام».

وتحريم كل مسكر يشمل كل ما يذهب العقل ويضيع توازن الإنسان إذا أخذ منه قليل أو كثير، فيدخل في هذا تحريم المخدرات على أنواعها لأنها لا تذهب العقل فقط بل تذهب الصحة والحياة فهي مسكر وهي قتل للنفس التي حرم الله إلا بالحق.

---

(13) أي صنعت لها نبيذاً وهو ضرب من شراب الزبيب يسكر قليلاً.

كما أن تحريم الخمر لا يشمل فقط ما إسمه خمر فمهما اختلفت الأسماء والأنواع وطرق الصناعة فكلها مسكر وكلها خمر وكلها حرام فلا يقولن قائل هذه بيرة أو هذا ويسكي أو فودكا أو براندي أو أي إسم آخر فكله داخل في التحريم ولا عبرة بالإسم.

وقد سئل الرسول ﷺ في هذه الأمور أيضاً وأجاب بتحريمها مهما كان الإسم. فلقد سأله أبو موسى: يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن: «البتع» وهو من العسل ينبذ حتى يشتد «والمزر» وهو من الذرة والشعير وينبذ حتى يشتد. قال: رسول الله ﷺ قد أعطي جوامع الكلم بخواتمه، فقال ﷺ: «كل مسكر حرام» رواه مسلم. وقال ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروباً أو مشموماً، على أن الخمر قد يصطنع بها يعني الخبز، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب، أو تدخن تدخيناً، والخمر يشرب ويؤكل والحشيشة تشرب وتؤكل وبعض أنواع المخدرات تستنشق استنشاقاً أي شماً بالأنف. وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن موجودة في عهد السلف الصالح وإنما جاءتنا في العصور المتأخرة من بلاد أخرى وشعوب أخرى ومنها ما يصطنع في هذه الأيام من جديد المخدرات سفوفاً ونشوقاً وشماً وشرباً وابتلاعاً وكلها والعياذ بالله أشد فعلاً وضرراً من الخمر فهي بالتحريم والاجتناب أحرى.

والمشرع الوضعي الذي أباح الخمر قد حرّم هذه لما رأى من شدة ضررها على الإنسان وإتلافها لصحته وحياته وأسرته وشدد عقوباتها حتى أن بعض الدول تحكم بالإعدام حتى الموت على متعاطيها كي لا ينقل تعاطيها إلى سواه إضافة لإعدام بائعها وتاجرها وخازنها وكل من يسهل أمر تداولها.

ومتعاطيها إذا لم يتوفر له المال لشرائها يسرق ويقتل ويفعل كل شيء للحصول عليها.

والنساء المبتليات بها لا يتورعن عن المتاجرة بأجسادهن للحصول على المال لشرائها.

نجانا الله وإياكم من هذا البلاء العظيم وحمانا وحمى ذرياتنا منه إنه سميع مجيب.

١١ـ نفي اللطم والندب وإيجاب الصبر

والندب واللطم على الميت كبيرة من الكبائر لأنه عملٌ من أعمال الجاهلية وقد نهى عنه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين.

فقد ذكر الرسول ﷺ أن هناك كبيرتانْ من كبائر الجاهلية لن يتركهما الناس رغم النهي عنهما فسيظل بعضهم يأتيهما وهما: اللطم والندب على الميت والتفاخر بالأنساب.

ولا نزال نسمع كل يوم: هذا ابن فلان، وهذا ابن عائلة معروفة وهذه بنت فلان أو بنت عائلة معروفة، وهذا نكرة، وهذا لا أصل له وينسون أننا جميعاً من آدم وآدم من تراب.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» رواه البخاري في الصحيح.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة، و الصالقة التي ترفع صوتها بالنياحة، والحالقة التي

تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة، والشاقة التي تشق ثيابها عند المصيبة وكل هذا حرام باتفاق العلماء، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه والدعاء بالويل والثبور. وقد رواه البخاري ومسلم.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ في البيعة أن لا ننوح، رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب والنياحة على الميت» رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة رواه أبو داود. وعن ابي بردة قال: وجع أبو موسى الأشعري فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها، فلما أفاق قال: «أنا بريء مما بريء منه رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة».

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أغمي على عبدالله بن رواحة، فجعلت أخته تعدد عليه، فتقول: واكذا واكذا. فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي أنت كذا أنت كذا. أخرجه البخاري.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه».

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واسيداه واجبلاه واكذا واكذا ونحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت؟». أخرجه الترمذي.

وقال ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». وقال ﷺ: «إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة ولهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمش في وجوه وشق في الجيوب ورنة شيطان». وقال الحسن: صوتان ملعونان مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة.

وقال رسول الله ﷺ: «إن هذه النوائح يجعلن صفين في النار، فينبحن في أهل النار كما تنبح الكلاب». وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء نساء، فدخل ومعه غيره، فمال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة، فضربها حتى سقط خمارها، وقال: أضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها. إنها لا تبكي بشجوكم إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم، وإنها تؤذي موتاكم في قبورهم، وأحياءكم في دورهم، لأنها تنهى عن الصبر، وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه.

واعلم أن النياحة رفع صوت بالندب، والندب تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت، وقيل هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه.

وقال العلماء: ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام، وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة، ومعه عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم، فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال: «ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم». وأشار إلى لسانه ورويا في صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن إبنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: «يا ابن عوف إنها رحمة». ثم أتبعها بأخرى فقال: «إن العين لتدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

وأما الأحاديث الصحيحة. إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هي مؤولة. واختلف العلماء في تأويلها على أقوال أظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب البكاء أي أن يكون قد أوصاهم به لأن الإنسان لا يعذب بعمل سواه فكلٌ مسؤول عن عمله أمام الله سبحانه وتعالى.

وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع، وتنهى عن الصبر، والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب، ونهيا عن الجزع والسخط قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾[1] قال عطاء عن ابن عباس يقول: إني معكم أنصركم ولا أخذلكم. قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم﴾، أي لنعاملنكم معاملة المبتلي، لأن الله يعلم عاقبة الأمور، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة، ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي، فمن صبر أثابه على صبره، ومن لم يصبر لم يستحق الثواب، وقوله: ﴿بشيء من الخوف والجوع﴾ قال ابن عباس يعني خوف العدو، والجوع يعني المجاعة والقحط ﴿ونقص من الأموال﴾ يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي ﴿والأنفس﴾ بالموت والقتل والمرض والشيب ﴿والثمرات﴾ يعني الحوائج وأن لا تخرج الثمر كما كانت تخرج، ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾[2] ثم نعتهم فقال: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ أي نالتهم نكبة مما ذكر، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة ﴿قالوا إنا لله﴾ عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء ﴿وإنَّا إليه راجعون﴾[3] بالهلاك وبالفناء ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم، إذ قد ملَّك في الدنيا قوماً الحكم وقبل وبعد حكم العباد يرجع الأمر إلى الله عز وجل.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها»[4]. وعن علقمة بن مرثد بن سابط عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب»[5] وقال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد يقول الله

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥٣).

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٥).

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٦).

(٤) رواه مسلم وجاء في الترغيب والترهيب للمنذرين.

(٥) من حديث أبي سعيد الخدري وقد أورده المنذري.

للملائكة، قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد». وعن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة»[٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى». وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن، قام على الباب، ولأهل البيت ضجة، فمنهم الصاكة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الداعية بويلها، فيقول ملك الموت عليه السلام: «مم هذا الجزع ومما هذا الفزع؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً، ولا ذهبت لأحد منكم برزق، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً، فإن كانت شكايتكم وسخطكم عليَّ فإني والله مأمور، وإن كان على ميتكم فإنه مقهور، وإن كان على ربكم، فأنتم به كافرون، وإن لي بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحداً». قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميتهم، ولبكوا على أنفسهم».

وعن معاوية بن إياس عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه فقد رجلاً من أصحابه، فسأل عنه، فقالوا: يا رسول الله إبنه الذي رأيته هلك. فلقيه النبي ﷺ، فسأله عن إبنه، فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: «يا فلان أيهما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟» فقال: يا نبي الله يسبقني إلى الجنة يفتحها لي هو أحب إلي. قال: «فذلك لك» فقيل: يا رسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: «بل للمسلمين عامة» وعن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه خرج إلى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكي فقال لها: «يا أمة الله اتقي الله واصبري». قالت: يا عبدالله إني أنا الحرى الثكلى. قال: «يا أمة الله إتقي الله واصبري». قالت: يا عبد الله لو كنت مصاباً عذرتني. قال: «يا أمة الله اتقي واصبري». قالت: يا عبد الله قد أسمعتني فانصرف. قال: فانصرف عنها رسول الله ﷺ وبصر بها رجل من المسلمين، فأتاها فسألها: ما قال لك الرجل؟ فأخبرته بما قال وبما

---

(٦) رواه البخاري وقال المنذري أنه غريب.

ردت عليه. فقال لها: أتعرفينه؟ قالت: لا والله، قال: ويحك ذلك رسول الله ﷺ. فبادرت تسعى حتى أدركته. فقالت: يا رسول الله أصبر. قال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى». أي إنما يحمل الصبر عند مفاجأة المصيبة، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً. وفي صحيح مسلم: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهله: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه. فجاء أبو طلحة فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت أم سليم فاحتسب إبنك، قال: فغضب أبو طلحة فقال: تركتني حتى إذا تلطخت أخبرتني بإبني، والله لا تغلبينني على الصبر، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في ليلتكما» فذكر الحديث. وفي الحديث: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر». وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً وإلا سلوت كما تسلو البهائم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له فرطان من أمتي دخل الجنة». يعني ولدين. قالت عائشة رضي الله عنها: بأبي أنت وأمي فمن كان له فرط؟ قال ﷺ: «من كان له فرط يا موفقة». قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: «أنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي».

وعن أبي عبيدة رضي الله عنه عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث[7] كانوا له حصناً من النار» فقال أبو الدرداء: قدمت اثنين قال. «واثنين» قال أُبي بن كعب سيد القراء: قدمت واحداً. قال ﷺ: «وواحداً ولكن ذلك في أول صدمة».

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب عبداً مصيبة إلا بإحدى خلتين: إما بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة، أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة».

---

(٧) أي لم يبلغوا مبلغ الرجال.

وقال سعيد بن جبير، لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم: ﴿إنا لِلّه وإنا إليه راجعون﴾ ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول: ﴿يا أسفي على يوسف﴾[8].

وعن أم سلمة رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال عند المصيبة ﴿إنا لِلّه وإنا إليه راجعون﴾ اللهم اجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله وأخلف له خيراً منها». قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت: من خير من أبي سلمة؟ قالت: ثم قلتها فأخلفني الله رسول الله ﷺ، رواه مسلم.

المواساة والتعزية:

عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «من عزى مصاباً فله مثل أجره» رواه الترمذي.

وعن أبي بردة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال لفاطمة رضي الله عنها: «من عزى ثكلى كسي برداً من الجنة» رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: «ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟» قالت: أتيت أهل هذا البيت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به.

وعن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ: «ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة».

واعلم رحمك الله أن التعزية هي التصبير، وذكر ما يسلي صاحب الميت، ويخفف حزنه ويهون مصيبته، وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وهي أيضاً داخلة في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[9] وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية.

واعلم أن التعزية هي «الأمر بالصبر» مستحبة قبل الدفن وبعده، قال أصحاب الشافعي: من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام.

---

(٨) سورة يوسف الآية (٨٤).

(٩) سورة المائدة الآية (٢).

١٢- نفي عقوق الوالدين وإيجاب البر

قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾[١] أي براً بهما وشفقة وعطفاً عليهما ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾ أي لا تكلمهما بتبرم إذا كبرا وأسنا، وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم، وكيف يقع التساوي وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما. ثم قال تعالى: ﴿وقُل لهما قولاً كريماً﴾[١] أي ليناً لطيفاً ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾[٢] وقال تعالى: ﴿أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾[٣].

فانظر - رحمك الله - كيف قرن شكرَهما بشكره. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات نزلت مقرونةً بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها:

---

(١) سورة الإسراء الآية (٢٣).
(٢) سورة الإسراء الآية (٢٤).
(٣) سورة لقمان الآية (١٤).

(إحداها) قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾[٤] فن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه، (الثانية) قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[٥] فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه، (الثالثة) قوله تعالى: ﴿أن أشكر لي ولوالديك﴾[٦] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه. ولذا قال النبي ﷺ «رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد معه، فقال النبي ﷺ: «أحي والداك؟» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد» مخرج في الصحيحين فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين» فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك بالله.

في الصحيحين أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر»، وعنه ﷺ قال: «لو علم الله شيئاً أدنى من الأف لنهى عنه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل، فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل، فلن يدخل النار». وقال ﷺ: «لعن الله العاق لوالديه» وقال ﷺ: «لعن الله من سبَّ أباه، لعن الله من سبَّ أمه» وقال ﷺ: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه [٧]، يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة.

وقال كعب الأحبار ـ رحمه الله ـ : إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذ كان باراً بوالديه ليزيده براً وخيراً. ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أبي يريد أن يجتاح مالي. فقال ﷺ: «أنت ومالك

---

(٤) سورة النور الآية (٥٤) وسورة محمد الآية (٣٣) وسورة التغابن الآية (١٢).

(٥) سورة البقرة الآية (٨٣) و (١١٠) والعديد من السور الأخرى.

(٦) سورة لقمان الآية (١٤).

(٧) رواه الحاكم.

لأبيك»(٨). وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو؟ قال: هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما، وإذا سألاه شيئاً لم يعطهما، وإذا ائتمناه خانهما.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أصحاب الأعراف من هم وما الأعراف؟ فقال: أما اعراف فهو جبل بين الجنة والنار، وإنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثماروأنهار وعيون، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم، فقتلوا في الجهاد فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة. فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره.

وفي الصحيحين: «أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس مني بحسن الصحبة؟ قال أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك.. قال: ثم من؟ قال: أبوك. ثم الأقرب فالأقرب»، فحض على بر الأم ثلاث مرات، وعلى بر الأب مرة واحدة وما ذاك إلا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل.

رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة؛ فقال: يا ابن عمر أتراني جازيتها! قال: ولا بطلقة واحدة من طلقاتها! ولكن أحسنت؛ والله يثيبك على القليل كثيراً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة نفر من حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم ظلماً والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا»(٩) وقال ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات»(١٠) وجاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: يا أبا الدرداء إني تزوجت امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها. فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو

---

(٨) رواه ابن ماجه.

(٩) رواه الحاكم.

(١٠) وروى نحوه ابن ماجه والنسائي والحاكم.

احفظه»[11]. وقال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده». وقال ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم» أي في البر والإكرام والصلة والإحسان. وعن وهب ابن منبه قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه؛ يا موسى وقر والديك فإن من وقر والديه مددت في عمره ووهبت له ولداً يوقره ومن عق والديه قصرت في عمره ووهبت له ولداً يعقه.

وقال أبو بكر بن أبي مريم: قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل. وقال وهب: قرأت في التوراة: على من صك والده الرجم.

وعن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان، وأديت الزكاة، وحججت البيت، فماذا لي؟ فقال: رسول الله ﷺ: «من فعل، ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه». وقال ﷺ: «لعن الله العاق وإلديه». وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رأيت ليلة أسري بي أقواماً في النار معلقين في جذوع من نار فقلت يا جبريل: من هؤلاء، قال: الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا».

وروي أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض. ويروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه، وأشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المشرك والزاني والعاق لوالديه.

وقال بشر: ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله، والنظر إليها أفضل من كل شيء. وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله ﷺ يختصمان في صبي لهما، فقال الرجل: يا رسول الله، ولدي خرج من صلبي. وقالت المرأة: يا رسول الله حمله خفاً، ووضعه شهوة، وحملته كرهاً، ووضعته كرهاً. وأرضعته حولين كاملين، فقضى به رسول الله ﷺ لأمه.

---

(١١) رواه ابن ماجه والترمذي.

وقد روي[١٢] أنه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة، وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله، في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه، فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ: إن زوجي علقمة في النزاع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله. فأرسل النبي ﷺ عماراً وصهيباً وبلالاً وقال: أمضوا إليه ولقنوه الشهادة. فمضوا إليه، ودخلوا عليه، فوجدوه في النزع الأخير، فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) ولسانه لا ينطق بها. فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة. فقال النبي ﷺ: هل من أبويه أحد حي؟ قيل: يا رسول الله أم كبيرة السن. فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول: قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقري في المنزل حتى يأتيك. قال: فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت: نفسي لنفسه فداء أنا أحق بإتيانه. فتوكأت، وقامت على عصا. وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام، وقال: يا أم علقمة أصدقيني وإن كذبتني جاء الوحي من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة. قال رسول الله ﷺ فما حالك؟ قالت: يا رسول الله أنا عليه ساخطة. قال: ولِمَ؟ قالت: يا رسول الله كان يؤثر عليَّ زوجته، ويعصيني. فقال رسول الله ﷺ: إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة. ثم قال: يا بلال انطلق واجمع لي حطباً كثيراً، قالت: يا رسول الله وما تصنع؟ قال: أحرقه بالنار بين يديك. قالت: يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي. قال: يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى، فإن سرك أن يغفر الله له فارضي عنه، فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه، ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة. فقالت: يا رسول الله إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة. فقال رسول الله ﷺ: إنطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا، فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني. فانطلق بلال فسمع علقمة من داخل الدار يقول: (لا إله إلا الله). فدخل بلال فقال: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وإن رضاها أطلق لسانه، ثم مات علقمة من يومه، فحضره رسول الله ﷺ، فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه، وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره،

(١٢) وردت هذه القصة في الترغيب والترهيب للمنذري وفي الكبائر للذهبي وسواه.

وقال: «يا معيشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عز وجل؛ ويحسن إليها، ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها، وسخط الله في سخطها.

١٣- نفي الكِبَر (الاستكبار)

ومن الكبائر أيضاً استكبار الإنسان على إخوانه في الإنسانية وقد قال الله تعالى: ﴿ وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ إنه لا يحب المستكبرين ﴾[٢] وقال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يتبختر في مشيه، إذ خسف الله به الأرض، فهويتجلجل فيها إلى يوم القيامة» وقال عليه الصلاة والسلام: «يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، يطأهم الناس، يغشاهم الذل من كل مكان». وقال بعض السلف: أول ذنب عصي الله به الكبر. قال الله تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾[٣] فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس.

وعن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر» رواه

---

(١) سورة غافر الآية (٢٧).

(٢) سورة النحل الآية (٢٣).

(٣) سورة البقرة الآية (٣٤).

مسلم. وقال تعالى: ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾[4]. وقال ﷺ: «قال الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما ألقيته في النار». رواه مسلم. المنازعة: المجاذبة.

وقال ﷺ: «اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، وقالت النار: أوثرت بالجبارين والمتكبرين» الحديث. وقال تعالى: ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾[4] أي لا تمل خدك معرضاً متكبراً. والمرح التبختر.

وقال سلمة بن الأكوع، أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله قال: «كل بيمينك». قال لا أستطيع. فقال: «لا استطعت ما منعه إلا الكبر» فما رفعها إلى فيه بعد، رواه مسلم وقال[4] عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر» العتل الغليظ الجافي، والجواظ: الجموع المنوع، وقيل الضخم المختال في مشيته وقيل البطين.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يختال في مشيته ويتعاظم في نفسه إلا لقي الله وهو عليه غضبان» وصح من حديث أبي هريرة: «ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط أي ظالم، وغني لا يؤدي الزكاة، وفقير فخور» وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب». والمسبل هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار».

وهذا الأخير يدخل في الاستكبار والخيلاء بالملابس والأردية أمام من ليس لهم طاقة على شرائها واقتنائها.

---

(٤) سورة لقمان الآية (١٨).

التكبر بالثياب:

قال الله تعالى: ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[٥].

وقال النبي ﷺ : «ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار»[٦] وقال عليه الصلاة والسلام: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً»[٧].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[٨].

وفي الحديث أيضاً: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

وقال عليه الصلاة والسلام: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» وقال ﷺ: «والإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إزرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار».

وهذا عام في السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس، فنسأل الله العافية. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره، قال له رسول الله: «اذهب فتوضأ». ثم جاء فقال: «اذهب فتوضأ». فقال له رجل: يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه. فقال: «إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره ولا يقبل الله صلاة رجل يصلى مسبلاً إزاره».

ولما قال ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». فقال أبو

---

(٥) سورة لقمان الآية (١٨).

(٦) من حديث أبي هريرة المروي في البخاري والوارد أعلاه.

(٧) رواه الإمام مالك.

(٨) من أحاديث أبي ذر الغفاري.

بكر رضي الله عنه: يا رسول الله إن ازاري يسترخي إلا أن أتعاهده. فقال له رسول الله ﷺ: «إنك لست ممن يفعله خيلاء».

التكبر بلبس الحرير والذهب.

ومن الكبر والتكبر أيضاً لبس الرجال للحرير والذهب وقد جاء فيه عن رسول الله في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» وهذا عام في الجند وغيرهم لقوله ﷺ: «حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليها، أخرجه البخاري.

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر، وإنما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حكة أو جرب أو غيره للمقاتلين عند لقاء العدو، وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام بإجماع المسلين، سواء كان قباء أو قبطياً أو كلوثة، وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حراماً، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال سواء كان خاتماً أو حياصة، أو سقط سيف حرام لبسه وعمله. وقد رأى النبي ﷺ في يد رجل خاتماً من ذهب، فنزعه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده». وكذلك طراز الذهب، وكلوثة الزركش حرام على الرجال. واختلف العلماء في جواز إلباس الصبي الحرير والذهب، فرخص فيه قوم ومنع منه آخرون. ولعموم قوله ﷺ عن الحرير والذهب: «هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم». فدخل الصبي في النهي وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين عليهم رحمات الله ورضوانه.

التكبر بالعلم:

وأشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه، ويتعاظم في نفسه بفضيلته، فإن هذا لم ينفعه علمه، فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه،

وخشع قلبه، واستكانت نفسه، وكان بالمرصاد فلا يفترغها بل يحاسبها كل وقت، ويفتقدها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته، ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم، وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

١٤ ـ إيجاب الصلاة ونفي تركها

الصلاة ركن أساسي من أركان الإسلام أوجبها الله على عباده بكيفية علمها لرسوله الكريم وأنزل فيها الآيات وحدد لها أوقاتها. وقد جاء عن الرسول ﷺ أنه بين المؤمن والكفر ترك الصلاة. لذا فترك الصلاة يعتبر أكبر الكبائر على الاطلاق.

وقال الله تعالى: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً** ﴾[1]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية، ولكن أخروها عن أوقاتها، وقال سعيد بن المسيب امام التابعين رحمه الله: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي العصر إلى المغرب ولا يصلي المغرب إلى العشاء ـ ولا يصلي العشاء إلى الفجر ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغي وهو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم**

(١) سورة مريم الآيتان (٥٩ ـ ٦٠).

ساهون ﴾[٢] أي غافلون عنها متهاونون بها. وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون، قال: «هو تأخير الوقت»[٣] أي تأخير الصلاة عن وقتها سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا بها وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب، وقيل هو واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى، ويندم على ما فرط. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم، ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾[٤]. قال المفسرون المراد بذكر الله في هذه الآية الصلوات الخمس، فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين، وهكذا قال النبي ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد خاب وخسر». وقال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم: ﴿ **ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾[٥]. وقال النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[٤]. وقال النبي ﷺ: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة». حديثان صحيحان.

وفي صحيح [illegible]ري أن رسول الله ﷺ قال: «من فاتته صلاة العصر حبط عمله».

وفي السنن أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله»[٦] وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» متفق عليه[٧]، وقال ﷺ: «من حافظ عليها كانت له نوراً

---

(٢) سورة الماعون الآية (٤).

(٣) رواه البزار.

(٤) سورة المنافقون الآية (٩).

(٥) سورة المدثر الآيات (٤٢ ـ ٤٨).

(٦) رواه ابن ماجه والبيهقي.

(٧) من حديث عمر.

وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف»[٨]. وقال عمرو رضي الله عنه: أما إنه لا حظَّ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة.

قال بعض العلماء ـ رحمهم الله ـ: وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه وبوزارته أو بتجارته، فإن اشتغل بماله حشر مع قارون، وإن اشتغل بملكه حشر مع فرعون، وإن اشتغل بوزارة حشر مع هامان، وإن اشتغل بتجارته حشر مع أبي بن خلف تاجر الكفار بمكة. وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله عز وجل»[٩] وروى البيهقي بإسناده[١٠] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله: أي الأعمال أحب إلى الله تعالى في الإسلام؟ قال: «الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين» ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له: الصلاة يا أمير المؤمنين قال: نعم ,أما إنه لاحظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة. وصلى رضي الله عنه وجرحه يشخب[١١] دماً. وقال عبدالله بن شقيق التابعي رضي الله عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، وسئل علي رضي الله عنه عن امرأة لا تصلي فقال: من لم يصلِ فهو كافر[١٢] وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من لم يصل فلا دين له. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله تعالى وهو عليه غضبان. وقال رسول الله ﷺ: «من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته ـ أي ما يفعل وما يصنع بحسناته ـ إذا كان مضيعاً للصلاة»[١٣]. وقال ابن حزم: لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق وقال إبراهيم النخعي: من

---

(٨) رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني.
(٩) رواه الطبراني في الكبير.
(١٠) ضعفه الحاكم وقال بأن عكرمة لم يسمع عمر.
(١١) يسيل.
(١٢) رواه الترمذي والحاكم.
(١٣) رواه الطبراني من أحاديث أنس.

ترك الصلاة فقد كفر. وقال أيوب السختياني مثل ذلك. وقال عون بن عبدالله: إن العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسأل عنه، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله، وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد. وقال ﷺ: «إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة، وتقول: حفظك الله كما حفظتني. وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها، صعدت إلى السماء وعليها ظلمة، فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق، ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني»[١٤]. وروى أبو داود في سننه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم: من تقدم قوماً وهم له كارهون، ومن استعبد محرراً، ورجل أتى الصلاة دباراً» والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الكبائر».

متى تجب الصلاة

روى أبو داود في السنن أن رسول الله ﷺ قال: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» وفي رواية: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

عقوبة ترك الصلاة

لقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تارك الصلاة فقال مالك والشافعي وأحمد ـ رحمهم الله ـ: تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبته. ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها، فقال إبراهيم[١٥] النخعي وأيوب السختياني[١٦] وعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه:

---

(١٤) رواه الطبراني والبيهقي والغزالي في إحياء علوم الدين.

(١٥) هو إبراهيم بن يزيد أبو عمران الكوفي من رجال الكتب الستة.

(١٦) أبو الحسن البصري سبق الحديث عنه وهو من رجال الكتب الستة.

هو كافر. واستدلوا بقول النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» وبقوله ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة».

إيجاب المحافظة على الصلاة.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه: اللهم لا تدع فينا شقياً ولا محروماً» ثم قال ﷺ: «أتدرون من الشقي المحروم؟...» قالوا: من هو يا رسول الله، قال: «تارك الصلاة».

وروي أنه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة، وإن في جهنم وادياً يقال له الملحم، فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير، طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه.

وقد روي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ إنه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه، فصلى الرجل، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال له: ارجع فصل، فإنك لم تصلِ. فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال: ارجع فصلِ، فإنك لم تصلِ. فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، وقال: ارجع فصلِ، فإنك لم تصل - ثلاث مرات - فقال في الثالثة: والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني. فقال ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً وافعل ذلك في صلاتك كلها».

وروى الإمام أحمد رضي الله عنه عن البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود» ورواه أبو داود أيضاً والترمذي، وقال حديث حسن صحيح، وفي رواية أخرى: «حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود».

وهذا نص عن النبي ﷺ في أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان، فصلاته باطلة وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو في موضعه.

إيجاب احترام الصلاة وأدائها بخشوع:

لقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته». قيل: وكيف يسرق من صلاته؟. قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها» وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده».

وقال ﷺ: «تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»[١٧].

وعن أبي موسى قال: صلى رسول الله ﷺ يوماً بأصحابه ثم جلس، فدخل رجل فقام يصلي فجعل يركع وينقر سجوده، فقال رسول الله ﷺ: «ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد ﷺ ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم» أخرجه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره فإن أتمها عرجا بها إلى الله تعالى، وإن لم يتمها ضربا بها وجهه».

وروى البيهقي بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتني ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها إلا قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعد بها إلى السماء، وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء، ثم تلف كما يلف الثواب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها».

---

(١٧) أي بسرعة كنقرة الغراب.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة مكيال فمن وفى وفي له، ومن طفف، فقد علمتم ما قال الله في المطففين» قال تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾[18] والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذرع أو الصلاة وعدهم الله بويل وهو وادٍ في جهنم تستغيث جهنم من حره نعوذ بالله منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فإن الله تعالى أوحى إليَّ أن أسجد على سبعة أعضاء: الجبهة والأنف والكفين والركبتين: وصدور القدمين وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته»[19].

وروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أنه رأى رجلاً يصلي ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها، فقال له حذيفة: ما صليت، ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد ﷺ.

وفي رواية أبي داود أنه قال: منذ كم تصلي هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة قال: ما صليت منذ أربعين سنة شيئاً، ولو مت مت على غير فطرة محمد ﷺ.

وكان الحسن البصري يقول: يا ابن آدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟ وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة ـ كما تقدم من قول النبي ﷺ: «أول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر» فإن انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى: «انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله كذلك»[20].

---

(١٨) سورة المطففين الآية (١).

(١٩) متفق عليه.

(٢٠) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

إيجاب صلاة الجماعة وعقوبة تركها

قال الله تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق، ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾[٢١] وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود.

قال إبراهيم التيمي: يعني الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة. وقال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون «حي على الصلاة حي على الفلاح» فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون.

وقال كعب الأحبار: «والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة» فأي وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة. مع القدرة على إتيانها.

وأما من السنة فمما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام. ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»[٢٢] ولا يتوعد بحرق بيوتهم بالنار إلا على ترك واجب مع ما في البيوت من الذرية والمتاع.

وفي صحيح مسلم: أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد وسأل النبي ﷺ أن يرخص[٢٣] له، أن يصلي في بيته. فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟»[٢٤] قال: نعم. قال: «فأجب». ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام[٢٥] والسباع وأنا ضرير البصر شاسع

---

(٢١) سورة القلم الآيتان (٤٢ - ٤٣).
(٢٢) الظاهر أن المقصود بذلك هو صلاة الجمعة لأن الجماعة فيها فرض.
(٢٣) أن يسمح له.
(٢٤) الأذان.
(٢٥) كالأفاعي والعقارب وما شابه.

الدار - أي بعيد الدار - ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال: «هل تسمع النداء»؟ قال: نعم. قال: «فأجب فإني لا أجد لك رخصة».

فهذا رجل ضرير شكى ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد، وليس له قائد يقوده إلى المسجد، ومع هذا لم يرخص له النبي ﷺ في الصلاة في بيته، فكيف بمن يكون صحيح البصر سليماً لا عذر له؟ ولهذا لما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل يصوم النهار يقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجتمع فقال: إن مات على هذا فهو في النار.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب؟.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع المنادي بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر». قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى» يعني في بيته.

وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لعنهم الله. من تقدم قوماً وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قيل: ومن جار المسجد؟ قال: من سمع الاذان[٢٦].

وروى مسلم وأبو داود في الصحيح والسنن عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ومن سره أن يلقى الله غداً مسلماً يعني يوم القيامة فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم» ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام في الصف أو حتى يجيء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة.

---

(٢٦) رواه أحمد في المسند.

وكان الربيع بن خيثم قد سقط شقه في الفالج، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين، فيقال له: يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلي في بيتك، أنت معذور. فيقول: هو كما تقولون ولكن اسمع المؤذن يقول: حي على الصلاة حي على الفلاح فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفاً أو حبواً فليفعل.

وقال حاتم الأصم: فاتتني مرة صلاة الجماعة، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولدلعزاني أكثر من عشرة آلاف إنسان، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا.

وكان بعض السلف يقول: ما فاتت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه. وقال ابن عمر: خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع، وقد صلى الناس العصر فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة، أشهدكم أن حائطي(٢٧) على المساكين صدقة، ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه.

إيجاب الجماعة في صلاتي العشاء والصبح:

لقد أوجب الرسول ﷺ على المؤمنين صلاة الجماعة في صلاتي العشاء والفجر لما في ذلك من عظيم الأجر أو على الأقل أداءهما في المسجد.

والرسول ﷺ قال: «إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ـ يعني العشاء والفجر ـ ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولا حبواً»(٢٨).

وقال ابن عمر كنا إذا تخلف منا إنسان في صلاة العشاء والصبح في الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق(٢٩).

إيجاب الجماعة في الجمعة ونفي تركها

قال الله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساقٍ ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم

---

(٢٧) الحائط: هو بستان النخل حوله سور أو جدران.

(٢٨) على اليدين والرجلين

(٢٩) صار من المنافقين.

سالمون﴾[٣٠]. قال كعب الأحبار: ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات. وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله: كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار». وفي رواية لمسلم أيضاً من حديث أبي هريرة: «لقد هممت أن آمر فتيتي أن يجمعوا إليّ حزماً من حطب، ثم آتي قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم». وفي هذا الحديث الصحيح والآية التي قبله، وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر. فقد روى أبو داود في سننه بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع المنادي فلم يمنعه من إتيانه عذر» قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى» يعني في بيته.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما بأنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة، ولا يجمع، فقال: إن مات هذا فهو في النار.

وروى مسلم أن رجلاً أعمى جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة» قال: نعم. قال: «فأجب». وفي رواية أبي داود إن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي ﷺ وقال: «يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع ﷺ أنا ضرير البصر فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ: «تسمع حي على الصلاة حي على الفلاح» قال: نعم. قال: «فأجب، فحي هلا». وفي رواية أنه قال: يا رسول الله إني ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة؟ وقوله «فحي هلا» أي تعال وأقبل.

---

(٣٠) سورة القلم الآيتان (٤٢ - ٤٣).

وروى الحاكم في مستدركه على شرط الصحيحين، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له» قالوا: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «خوف أو مرض» وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله ثلاثة: من تقدم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها ساخط، ورجلاً سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب». قال أبو هريرة: «لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير من أن يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لا يجيب». وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قيل: من جار المسجد؟ قال: من يسمع الأذان». وقال أيضاً: «من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هذه الصلوات الخمس، حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنها من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، أو مريض، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، يعني يتكىء عليهما من ضعفه حرصاً على فضلها وخوفاً من الإثم في تركها.

فضل الصلاة في المسجد:

وفضل صلاة الجماعة عظيم كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[٣١] إنهم المصلون الصلوات الخمس في الجماعات. وفي قوله تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾[٣٢] أي آثار خطاهم.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ: «قال: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته أحدهما تحط

---

(٣١) سورة الأنبياء الآية (١٠٥).

(٣٢) سورة يس الآية (١٢)

خطيئة، والأخرى ترفع درجة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه».

وقال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط». رواه مسلم[٣٣].

(٣٣) رواه المنذري في الترغيب والترهيب.

١٥ ـ إيجاب الإيمان بالقدر
ونفي التكذيب له

قال الله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[1] قال ابن الجوزي في تفسيره: في سبب نزولها قولان أحدهما: أن مشركي مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت هذه الآية. انفرد بإخراجه مسلم وروى أبو أمامة أن هذه الآية نزلت في القدرية. والقول الثاني أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك فقال رسول الله ﷺ: «أنتم خصماء الله» فنزلت هذه الآية: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[2].

وروى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، أمر منادياً فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون: أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية، فيؤمر بهم إلى النار، يقول الله ﴿ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾». وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه

---

(١) سورة القمر الآية (٤٩).

(٢) سورة القمر الآيات (٤٧ ـ ٤٩).

لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها. وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: والله لو أن قدرياً صام حتى يصير كالحبل، ثم صلى حتى يصير كالوتر، لكبه الله على وجهه في سقر، ثم قيل له ذق مس سقر ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾، وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس». وقال ابن عباس: كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه قال الله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[٣] قال ابن جرير: فيها وجهان، أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم والثاني: أن تكون بمعنى الذي فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام، وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم، وقال تبارك وتعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾[٤]، الإلهام إيقاع الشيء في النفس. قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها، وقال ابن زيد جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور، والله أعلم. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله منَّ على قوم، فألهمهم الخير، فأدخلهم في رحمته، وابتلى قوماً فخذلهم، وذمهم على أفعالهم، ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم، فعذبهم وهو عادل» ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[٥]. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبياً قط إلا وفي أمته قدرية ومرجئة، إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً». وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيتهم فأخبرهم أني منهم بريء، وأنهم براء مني». ثم قال: «والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل منه، حتى يؤمن بالقدر خيره وشره». ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ قال: «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره».

---

(٣) سورة الصافات الآية (٩٦).

(٤) سورة الضحى الآية (٨).

(٥) سورة الأنبياء الآية (٢٣).

قوله: «أن تؤمن بالله» الإيمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال، منزه عن صفات النقص، وأنه فرد صمد، خالق جميع المخلوقات، متصرف فيها بما يشاء، يفعل في ملكه ما يريد والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله: ﴿بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾[٦].

والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته، وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم.

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار. وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل .

والإيمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره، وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه: ﴿والله - لقكم وما تعملون﴾ وقوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حقاً سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة لأن القدر من علم الله لا يعلمه إلا هو سبحانه.

---

(٦) سورة الأنبياء الآيات (٢٦ ـ ٢٨).

١٦ـ نفي المكر والخداع

والمكر والخداع كبيرة من الكبائر أيضاً لأن فيه إضراراً بالناس وإساءة للعلاقات بين المسلمين، لأن فيه نفاقاً ورياء وإظهار المرء غير ما يبطن وهذه ليست من شيمة المؤمنين.

وقد قال الله عز وجل: ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾[١].

وقال النبي ﷺ: «المكر والخديعة في النار»[٢].

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان».

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾[٣].

قال الواحدي: يعاملون عمل المخادع على خداعهم ـ وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنون، فإذا مضوا على الصراط أطفىء نورهم، وبقوا في الظلمة.

---

(١) سورة فاطر الآية (٤٣).

(٢) رواه البزار.

(٣) سورة النساء الآية (١٤٢).

وقال ﷺ في حديث[4]: «وأهل النار خمسة وذكر منهم رجلاً لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك».

---

(٤) رواه مسلم.

١٧ ـ نفي الظلم

من أسماء الله الحسنى سبحانه وتعالى العدل، فالله يكره الظلم والظالمين وحسابهم لديه عسير، لذا كان الظلم كبيرة من الكبائر وساء سبيلا.

وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء * وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾[١]. وقال تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[٣]. وقال ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم**

---

(١) سورة إبراهيم الآيات (٤٢ ـ ٤٥).

(٢) سورة الشورى الآية (٤٢).

(٣) سورة الشعراء (٢٢٧).

شديد﴾[4] وقال ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم، من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه».

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا». وقال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج! فيأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار». وهذه الأحاديث كلها في الصحاح. وتقدم حديث: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة». وتقدم قوله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». وفي الصحيح: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة».

وكان بعض السلف يقول: لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء. وقال أبو هريرة: مكتوب في التوراة: ينادي منادٍ من وراء الجسر ـ يعني الصراط ـ : يا معشر الجبابرة الطغاة، ويا معشر المترفين الأشقياء، إن الله يحلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم. عن جابر قال: لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال: «ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟». فقال فتية كانوا منهم: بلى يا رسول الله: بينما نحن يوماً جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها، وانكسرت قلتها، فلما قامت التفتت إليه ثم قالت: سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الله الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، سوف تعلم من أمري وأمرك عنده غداً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «صدقت كيف يقدس الله قوماً لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم».

---

(٤) سورة هود الآية (١٠٢).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا، وإلا أمر بهم في الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ حقه من رعيته، ولا ينصفهم من نفسه، ولا يدفع الظلم عنهم، وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف، ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته، ورجل ظلم امرأة صداقها».

وعن أبي أمامة قال: «يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به. فما يبرح الذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار».

وعن عبد الله بن أنيس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهماً، فيناديهم منادٍ بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة إلى أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها، ولا يظلم ربك أحداً» قلنا: يا رسول الله كيف وإنما نأتي حفاة عراة. فقال: «بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحداً». وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة».

ظلم الزوجة حقها:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان، من كان له عليه حق فليأت إلى حقه، قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها» ثم قرأ: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾(٥) قال: «فيغفر الله من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق: إئتوا إلى حقوقكم. قال: فيقول الله تعالى للملائكة:

---

(٥) سورة المؤمنون الآية (١٠١).

خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته، فإن كان ولياً للّهِ وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها، وإن كان عبداً شقياً ولم يفضل له شيء، فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه، فيقول الله: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صك له صكاً إلى النار». ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبي ﷺ: «أتدرون من المفلس» فذكر أن المفلس من أمته من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

ظلم الناس حقوقها:

لقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره». وكذلك إذا ظلم يهودياً أو نصرانياً، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه، فهو داخل في قوله تعالى: «أنا حجيجه» أو قال: «أنا خصمه يوم القيامة»، ومن ذلك أن يحلف على دين في ذمته كاذباً، لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة». قيل: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك».

وقد روي أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «لتؤدَّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء[٦] من الشاة القرناء[٧]».

وقال ﷺ «من كانت عنده مظلَمة[٨] لأخيه من عرضه أو من شيء،

---

(٦) التي لا قرن لها.
(٧) التي لها قرون.
(٨) حق غصبه منه.

فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه، ثم طرح في النار». وروى عبد الله بن أبي الدنيا بسنده إلى أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته، والله ما يتكلم لسانها، ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا، ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان قدم إلى زوجته من خير أو شر، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك، فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط، ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال سوقوهم إلى النار». وكان شريح القاضي يقول: سيعلم الظالمون حق من انتقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصر والثواب. وروي أنه إذا أراد الله بعبده خيراً سلط الله عليه من يظلمه. ودخل طاووس اليماني على هشام بن عبدالملك فقال له: اتق الله يوم الأذان. قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾[9]. فصعق هشام. فقال طاووس: هذا ذل الصفة فكيف بذل المعاينة؟ يا راضياً باسم الظالم عليك من المظالم؟

الإستطالة على الضعيف بالفعل والقول:

وهو ظلم الإنسان لمن وجب عليه الإحسان إليهم من الضعفاء والمساكين وأهل السبيل ومن هم تحت رعايته، لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم. إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾[10] قال الواحدي في قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني بإسناده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله.

---

(٩) سورة الأعراف الآية (٤٤).

(١٠) سورة النساء (٣٦).

قال: «هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: يا نبي الله أوصني، قال: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرقت ولا تدع الصلاة لوقتها فإنها ذمة الله ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر».

قوله: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب، ولا يغلظ لهما الجواب، ولا يحد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما، بل يكون بين أيديهما، مثل العبد بين يدي السيد تذللاً لهما. قوله: ﴿وبذي القربى﴾ قال يصلهم ويتعطف عليهم ﴿واليتامى﴾، يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم، ﴿والمساكين﴾ ببذل يسير ورد جميل ﴿والجار ذي القربى﴾ يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة، وحق الجوار، وحق الإسلام ﴿والجار الجنب﴾ هو الذي ليس بينك وبينه قرابة، يقال: رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً أهله، وقوم أجانب، والجنابة البعد: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول: يا رب أوسعت على أخي هذا واقترت عليَّ، أمسي طاوياً ويمسي هذا شبعان، سله لِمَ أغلق بابه عني، وحرمني ما قد أوسعت به عليه».

﴿والصاحب بالجنب﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق في السفر، له حق الجوار وحق الصحبة ﴿وابن السبيل﴾ هو الضيف يجب إقراؤه إلى أن يبلغ حيث يريد، وقال ابن عباس: هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك. ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ يريد المملوك يحسن رزقه، ويعفو عنه فيما يخطىء، قوله: ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ قال ابن عباس: يريد بالمختال العظيم في نفسه، الذي لا يقوم بحقوق الله. والفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته، وما أعطاه من نعمه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشي في حلة مختالاً فخوراً، إذ ابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة». وعن أسامة قال:

سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يجر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» هذا ما ذكره الواحدي.

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصي بالصلاة وبالإحسان إلى المملوك ويقول: «الله الله في الصلاة، وما ملكت أيمانكم».

وفي الحديث: «حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم». وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة سيىء الملكة».

قال أبو مسعود رضي الله عنه: كنت أضرب مملوكاً لي بالسوط فسمعت صوتاً من ورائي: «إعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام». قال: قلت يا رسول الله لا أضرب مملوكاً لي بعده أبداً، وفي رواية: سقط السوط من يدي من هيبة رسول الله ﷺ، وفي رواية: فقلت: هو حر لوجه الله. فقال: «أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة». رواه مسلم. وروى مسلم أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضرب غلاماً له حداً لم يأته أو لطمه فكفارته بأن يعتقه». ومن حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا».

وفي الحديث: «من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة» وقيل لرسول الله ﷺ: كم تعفو عن الخادم؟ قال: «في اليوم سبعين مرة».

وكان في يد النبي ﷺ يوماً سواك فدعا خادماً له فأبطأ عليه فقال: «لولا القصاص لضربتك بهذا السواك». وكان لأبي هريرة رضي الله عنه جارية زنجية فرفع يوماً عليها السوط فقال: لولا القصاص لأغشيتكيه، ولكني سأبيعك لمن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني قلت لأمتي يا زانية. قال: «هل رأيت عليها ذلك»؟ قالت: لا. قال: «أما إنها ستستقيد منك يوم القيامة». فرجعت إلى جاريتها فأعطتها سوطاً، وقالت: اجلديني، فأبت الجارية، فأعتقتها، ثم رجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بعتقها. فقال: «عسى» أي عسى أن يكفر عتقك لها ما قذفتها به.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد يوم القيامة حداً إلا أن يكون كما قال. وفي الحديث: «للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق». وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول: «الله الله في الصلاة، وما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تكتسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم، ولا تعذبوا خلق الله، فإنه ملككم إياهم، ولو شاء لملكهم إياكم».

ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو أمير على المدائن، فوجدوه يعجن عجين أهله، فقالوا له: ألا تترك الجارية تعجن؟ فقال رضي الله عنه: إنا أرسلناها في عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملاً آخر. وقال بعض السلف: لا تضرب المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك، فإذا عصى الله فاضربه على معصية الله، وذكره بالذنوب التي بينك وبينه.

ومن ذلك أن يضرب الدابة ضرباً وجيعاً، أو يحبسها ولا يقوم بكفايتها، أو يحملها فوق طاقتها، فقد روي في تفسير قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم﴾[11] الآية. قيل يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة، فيقضي بينهم، حتى أنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، حتى يقاد للذرة من الذرة، ثم يقال لهم: كونوا تراباً فهنالك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم، بينها وبين بني آدم حتى أن الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها، فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها، والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عذبت امرأة في هرة، ربطتها حتى ماتت جوعاً، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض» أي من حشراتها.

وفي الصحيح أنه ﷺ رأى امرأة معلقة في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها، وهي تعذبها كما عذبتها في الدنيا بالحبس والجوع. وهذا عام في سائر الحيوان، وكذلك إذا حملها فوق طاقتها، تقتص منه يوم القيامة، لما ثبت

---

(١١) سورة الأنعام الآية (٣٨).

في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها، فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث». فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذى ولا تستعمل في غير ما خلقت له، فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق، فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه.

قال أبو سليمان الداراني: ركبت مرة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثاً. فرفع رأسه ونظر إليّ وقال: يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فإن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر. وقال: فقلت: لا أضرب شيئاً بعده أبداً. ومر ابن عمر بصبيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً. والغرض كالهدف يرمى إليه.
ونهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم، يعني أن تحبس للقتل، وإن كان مما أذن الشرع بقتله، كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور، قتله بأول دفعة، ولا يعذبه، لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته».

وكذلك لا يحرقه بالنار، ولما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما».

قال ابن مسعود: كنا مع رسول الله ﷺ في سفره، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت ترفرف، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا عليها ولديها». ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل، أي مكان نمل، قد أحرقناها، فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن. فقال عليه الصلاة والسلام: «إنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا ربها». وفيه من النهي عن القتل والتعذيب بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرهما.

ويكره قتل الحيوان عبثاً لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة، وقال: يا رب سل هذا لِمَ قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة؟».

ويكره صيد الطير أيام فراخه، لما روي ذلك في الأثر، ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه، لما روي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله. قال: ذبح رجلٌ عجلاً بين يدي أمه فأيبس الله يده.

التحذير من مخالطة الظالم ومساعدته

قال الله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[١٢] والركون ههنا السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة. وقال السدي وابن زيد: لا تداهنوا الظلمة. وقال عكرمة: هو أن يطعمهم ويودهم. وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم: ﴿فتمسكم النار﴾ فيصيبكم لفحها ﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾[١٣]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله: ﴿ثم لا تنصرون﴾[١٣] لا تمنعون من عذابه. وقال تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾[١٤] أي أشباههم وأمثالهم وأتباعهم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون أمراء يغشاهم غواش أو حوش من الناس. يظلمون ويكذبون. فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني، ولست منه، ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه». وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من أعان ظالماً سُلط عليه». وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: «لا تملوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة» وقال مكحول الدمشقي: «ينادي منادٍ يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم؟ فما يبقى أحد مدَّ لهم حبراً، أو حبَّر لهم دواة، أو برى لهم قلماً، فما فوق ذلك إلا حضر معهم، فيجمعون في تابوت من نار، فيلقون في جهنم». وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال: إني رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان: «بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط».

---

(١٢) سورة هود الآية (١١٣).

(١٣) سورة هود الآية (١١٣).

(١٤) سورة الصافات الآية (٢٢).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الاسواط يضربون بها الناس بين الظلمة». وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: «الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة». الجلاوزة: أعوان الظلمة.

وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام، أن مُرْ بني اسرائيل أن لا يتلوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني، وإن ذكري إياهم أن العنهم، وفي رواية فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة.

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقف أحدكم في موقف يضرب فيه رجل مظلوم، فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتي رجل في قبره فقيل له: إنا ضاربوك مائة ضربة. فلم يزل يتشفع إليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة، فضربوه، فالتهب القبر عليه ناراً، فقال: لِمَ ضربتموني هذه الضربة؟ فقالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت برجل مظلوم فلم تنصره». فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم؟!

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فقال: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره».

ومما حكي قال بعض العارفين: رأيت في المنام رجلاً ممن يخدم الظلمة المكاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة، فقلت له: ما حالك؟ قال: شر حال. فقلت: إلى أين صرت؟ قال: إلى عذاب الله. قلت: فما حال الظلمة عنده؟ قال: شر حال. أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[١٥].

---

(١٥) سورة الشعراء الآية (٢٢٧).

١٨ـ نفي الأذى
وإيجاب الإصلاح بين الناس

نفي الأذى

قال الله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾(١). وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾(٣). وقال النبي ﷺ: «إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه» وقال ﷺ: «عباد الله إن الله وضع الحرج إلا من اقترض بعرض أخيه فذلك الذي حرج أو هلك».

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٥٨)

(٢) سورة الحجرات الآية (١١).

(٣) سورة الحجرات الآية (١٢)

وفي الحديث: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم». وفيه أيضاً: «سباب المسلم فسوق وقتله كفر».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله إن فلانة تصلي الليل، وتصوم النهار، وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال: «لا خير فيها هي في النار» صححه الحاكم. وفي الحديث أيضاً: «أذكروا محاسن موتاكم وكفروا عن مساويهم». وقال رسول الله ﷺ: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه». وقال عليه الصلاة والسلام: «مررت ليلة أُسري بي بقوم لهم أظفار من النحاس، يخبشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم».

نفي أذى الجار

ثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه» أي غوائله وشروره. وفي رواية: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» وسُئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خصال: «أن تجعل لِلّه نداً وهو خلقك، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، وأن تزني بحليلة جارك» وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره». والجيران: ثلاثة: جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وجار مسلم له حق الجوار وحق الإسلام، والجار الكافر له حق الجوار.

وكان لابن عمر رضي الله عنهما جار يهودي، فكان إذا ذبح الشاة يقول: احملوا إلى جارنا اليهودي منها. وروي أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة ويقول: يا رب سل هذا لِمَ منعني معروفه وأغلق عني بابه.

وينبغي للجار أن يحمل أذى الجار فهو من جملة الإحسان إليه. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملت به دخلت الجنة.

فقال: «كن محسناً» فقال: يا رسول الله: كيف أعلم أني محسن؟ قال: «سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن وإن قالوا إنك مسيء فأنت مسيء». ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن، وليس بمؤمن، من لا يأمن جاره بوائقه» وقيل: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره». وفي سنن أبي داوود من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جاره فقال له: «اذهب فاصبر». فأتاه مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: «اذهب فاطرح متاعك على الطريق». ففعل، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره، فجعلوا يلعنون جاره، ويقولون: فعل الله به وفعل، ويدعون عليه، فجاء إليه جاره، وقال: يا أخي إرجع إلى منزلك فإنك لن ترى ما تكره أبداً.

إيذاء المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾(٤). وقال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾(٥). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب». وفي رواية: «فقد بارزني بالمحاربة». أي أعلمته أني محارب له.

وفي الحديث أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن أغضبتهم لقد أغضبت ربك». فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي.

---

(٤) سورة الأحزاب الآية (٥٨).

(٥) سورة الشعراء الآية (٢١٥).

الإضرار بالوصية

ومن الأذية أيضاً، الإضرار بالوصية بإنكار الشهادة فيها، أو تحريفها لظلم بعض الورثة من أجل إفادة البعض الآخر.

وقد قال الله تعالى: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار﴾[٦]. أي غير مدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصي بدين ليس عليه، يريد بذلك ضرر الورثة، فمنع الله منه ﴿وصية من الله والله عليم حليم﴾[٦].

قال ابن عباس: يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في شأن المواريث ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله﴾[٧] قال مجاهد فيما فرض الله من المواريث.

وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله ﴿يدخله ناراً﴾[٧]. ؟

وقال الكلبي يعني يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدى حدوده استحلالاً ﴿يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾[٧]. ؟

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ـ ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار﴾ رواه أبو داود.

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من فرط بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة».

وقال ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» صححه الترمذي.

---

(٦) سورة النساء الآية (١٢).

(٧) سورة النساء الآيتان (١٣ ـ ١٤).

إيجاب الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾[٨]. قال مجاهد: هذه الآية عامة بين الناس. يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير وهو قوله: ﴿إلا من أمر بصدقة﴾ ثم حذف المضاف ﴿أو معروف﴾ قال ابن عباس: بصلة الرحم وبطاعة الله، ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها، قوله تعالى: ﴿أو إصلاح بين الناس﴾ هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الأنصاري: «ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم» قال: بلى يا رسول الله. قال: «تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا» وروت أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر لِلّه».

وروي أن رجلاً قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث! قال سفيان: ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف﴾ الآية فهذا هو بعينه.

ثم أعلم الله سبحانه أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ أي ثواباً لا حد له.

وفي الحديث: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً». رواه البخاري. وقالت أم كلثوم: ولم أسمعه ﷺ يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاثة أشياء: في الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها. وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه من أصحابه رواه البخاري.

---

(٨) سورة النساء الآية (١١٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل شيء أفضل من مشي إلى الصلاة، أو إصلاح ذات البين، وحلف جائز بين المسلمين». وقال رسول الله ﷺ: «من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة، ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه».

١٩ ـ نفي النشوز
وإيجاب حقوق الزوجية

قال الله تعالى: ﴿ واللاتي تخافـون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فـإن أطعنكم فلا تبغـوا عليهن سبيلاً إن الله كـان علياً كبيراً ﴾[1] قال الواحدي رحمه الله تعالى: النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف. وقال عطاء: هو أن لا تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية ﴿ فعظوهن ﴾ بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ قال ابن عباس، وهو أن يليها ظهره على الفراش ولا يكلمها، وقال الشعبي ومجاهد: هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها ولا يكلمها، ﴿ واضربوهن ﴾ ضرباً غير مبرح. قال ابن عباس: أدباً مثل اللكزة وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله في هذه الآية: ﴿ فإن أطعنكم ﴾ فيما يلتمس منهن ﴿ فلا تبغوا عليهن ﴾ قال ابن عباس: فلا تتجنوا عليهن العلل.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح». وفي لفظ: «فبات وهو عليها غضبان لعنتها

(١) سورة النساء الآية (٣٤).

الملائكة حتى تصبح». ولفظ الصحيحين أيضاً: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها».

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها، والسكران حتى يصحو».

وعن الحسن قال: حدثني من سمع النبي ﷺ قال: يقول: «أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها». وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، وتأذن في بيته إلا بإذنه» أخرجه البخاري. ومعنى شاهد أي حاضر غير غائب، وذلك في صوم التطوع، فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته، وقال ﷺ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» رواه الترمذي.

وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال: «انظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك». أخرجه النسائي. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه» وجاء عنه ﷺ أنه قال: «إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب» وقال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة».

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أرادها، لقول النبي ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التنور». قال العلماء: إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه، ولا يحل للرجل أيضاً أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس، ولا يجامعها حتى تغتسل ـ لقوله تعالى: ﴿ **فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن**﴾[2]. أي لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن قال ابن

---

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢٢).

قتيبة: يطهرن ينقطع عنهن الدم، فإذا تطهرن أي اغتسلن بالماء والله أعلم. ولما تقدم من قول النبي ﷺ: «من أتى حائضاً أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد». وفي حديث آخر: «ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها». والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها في حال الحيض والنفاس، وتطيعه فيما عدا ذلك، وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقها، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تفتخر عليه بجمالها ولا تعيبه بقبح إن كان فيه.

قال الأصمعي: دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح، فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا؟ فقالت: اسمع يا هذا؛ لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني ثوابه، ولعلي أسأت فجعله عقوبتي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها.

وقال ﷺ: «نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا آذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه، فتقول لا أذوق غمضاً حتى ترضى».

ويجب على المرأة دوام الحياء من زوجها، وغض طرفها قدامه، والطاعة لأمره، والسكوت عند كلامه والقيام عند قدومه، والابتعاد عن جميع ما يسخطه، والقيام معه عند خروجه، وعرض نفسها عليه عند نومه، وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته، وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب، ودوام الزينة بحضرته وتركها لغيبته، وإكرام أهله وأقاربه، وترى القليل منه كثيراً.

فضل الطائعة وعذاب العاصية:

ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها، وتطلب رضاه جهدها، فهو جنتها بقول النبي ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها راضٍ عنها دخلت الجنة». وفي الحديث أيضاً: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء والحيتان في الماء والملائكة في السماء والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها، وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع».

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضاً أنه قال: «أربع من النساء في الجنة وأربع في النار، فأما الأربع اللواتي في الجنة: فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها، ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها، ذات حياء إن غاب عنها حفظت نفسها وماله صابرة، وإن حضر أمسكت لسانها عنه. والرابعة امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا. وأما الأربع اللواتي في النار من النساء: فامرأة بذيئة اللسان على زوجها، أي طويلة اللسان فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آذته بلسانها. والثانية امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق. والثالثة امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة والرابعة امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها». المرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار إلا أن تتوب إلى الله، وقال النبي ﷺ: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء». وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ولرسوله ولأزواجهن، وكثرة تبرجهن، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت، وخرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها، ولهذا قال النبي ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان».

وأعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها، وفي الحديث أيضاً: «المرأة عورة فاحبسوها في البيوت». فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها: أين تريدين؟ قالت: أعود مريضاً، أشيع جنازة، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها، وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع زوجها، وقال علي رضي الله عنه لزوجه فاطمة رضي الله عنها: يا

فاطمة ما خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى الرجال ولا يروها، وكان علي رضي الله عنه يقول: ألا تستحيون؟ ألا تغارون؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال، تنظر إليهم، وينظرون إليها، وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما يوماً عند النبي ﷺ جالستين، فدخل ابن أم مكتوم، وكان أعمى فقال النبي ﷺ: احتجبا منه. فقالتا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا. فقال ﷺ: «أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه؟».

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال، كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها: إن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها. فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها أو عيادتهم ونحوه، مما لا بد لها منه، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها، وتغض طرفها في مشيتها، وتنظر إلى الأرض لا يميناً ولا شمالاً، فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية، وقد حكي أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا، وكانت تخرج من بيتها متبرجة فماتت فرآها بعض أهلها في المنام وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رقاق، فهبت ريح فكشفتها، فأعرض الله عنها وقال: خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: دخلت على النبي ﷺ أنا وفاطمة رضي الله عنها، ووجدناه يبكي بكاء شديداً، فقلت له: فداك أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: «يا علي ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبن أنواع العذاب، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها، ويداها إلى ناصيتها، ورأيت امرأة معلقة بثدييها، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن حمار، عليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب، والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها، والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار».

فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت: حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب؟ فقال ﷺ: «يا بنية أما المعلقة بشعرها فإنها

كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما التي كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها، وأما التي تشد رجلاها إلى ثدييها ويدها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض، وتستهزىء بالصلاة. وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة. وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فمها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذي المرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله ويا بنية الويل لامرأة تعصي زوجها».

إيجاب حقوق الزوجة على زوجها

وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه فالزوج أيضاً مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة، لقوله تعالى: ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ ولقول النبي ﷺ: «واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهم وطعامهن. وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون» وقوله ﷺ: «عوان» أي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالأسير.

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله» وفي رواية: «خيركم ألطفكم بأهله» وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء. وقال ﷺ: «أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته، أعطاه الله من الأجر ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، وأيما امرأة صبرت على سوء زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون».

وقد روي أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه، وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعاً وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين، فكيف حالي؟ فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها عليّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت، وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر: يا أخي إني احتملتها لحقوق لها علي: إنها طباخة لطعامي، خبازة لخبزي غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا احتملها لذلك، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي، فقال عمر: فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة.

٢٠ـ نفي الأخلاق السيئة
والمتخلقين بها

نفي الكذب والكذاب

قال الله تعالى: ﴿ فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿قتل الخراصون ﴾[٢] أي الكاذبون. وقال تعالى: ﴿ إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾[٣]. وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». وفي الصحيحين أيضاً أنه ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اثتمن خان». وقال عليه الصلاة والسلام: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن

---

(١) سورة ال عمران الآية (٦١).

(٢) سورة الذاريات الآية (١٠).

(٣) سورة غافر الآية (٢٨).

خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ قال: «فأتينا على رجل مضطجع لقفاه، وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأول فما يرجع إليه حتى يصح مثل ما كان فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة فقلت لهما: من هذا؟ فقالا: إنه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق».

وقال ﷺ: يطبع المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب». وفي الحديث. «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث». وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر». العائل: الفقير، وقال ﷺ: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب، ويل له ويل له ويل له». وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله: ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾[4]. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا، فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها وفى له، وإن لم يعطه لم يف له». وقال ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب». وفي الحديث أيضاً: من تحلم بحلم لم يره كلّف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد». وقال رسول الله ﷺ: «أفرى الفرى على الله أن يُري الرجل عينيه ما لم تريا». معناه أن يقول: رأيت في منامي كيت وكيت، ولم يكن رأى شيئاً، وقال ابن مسعود رضي الله عنه «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين».

فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، فإن في السكوت سلامة، والسلامة لا يعدُلها شيء. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم

---

(٤) سورة المجادلة الآية (١٤).

الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في أنه لا ينبغي للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته للمتكلم. قال أبو موسى: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده». وفي الصحيحين: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ـ أي ما يفتكر فيها بأنها حرام ـ يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب». وفي موطأ الإمام مالك من رواية بلال بن الحارث المزني أن رسول الله ﷺ قال: «فإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى له بها سخطه إلى يوم يلقاه». والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية.

وسئل بعضهم: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها، وهي حفظ اللسان.

الكذب على الله عز وجل وعلى الرسول ﷺ

قال عز وجل: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾[٥]. قال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا، وإن شئنا لم نفعل. قال ابن الجوزي في تفسيره: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر. ينقل عن الملة ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض، وإنما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك.

وقال ﷺ: «من كذب عليَّ بني له بيت في جهنم». وقال ﷺ: «ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وقال ﷺ: «من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». وقال ﷺ: «إن كذباً عليَّ ليس ككذب على غيري، من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وقال ﷺ: «من يقل عني ما لم

---

(٥) سورة الزمر الآية (٦٠).

أقله فليتبوأ مقعده من النار» وقال ﷺ: «يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب».

نفي الرياء والمرائي:

قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين: ﴿ يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴾[٧]. وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ﴾[٨] الآية. وقوله تعالى: ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾[٩] أي لا يرائي بعمله وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد في سبيل الله فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء وقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، وقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال هو عالم، وقرأت ليقال هو قارىء، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار» رواه مسلم. وقال ﷺ: «ومن سمعَّ سمع الله به ومن يرائي يرائي به». قال الخطابي: معناه من عمل عملاً على غير إخلاص، إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جوزي على ذلك بأنه يشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك، والله أعلم.

---

(٦) سورة النساء الآية (١٤٢).

(٧) سورة الماعون الآيات (٤ ـ ٧).

(٨) سورة البقرة الآية (٢٦٤).

(٩) سورة الكهف الآية (١١٠).

وقال عليه الصلاة والسلام: «اليسير من الرياء شرك». وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». فقيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم، فانظروا، هل تجدون عندهم جزاء». وقيل في قوله تعالى: ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾[10] قيل: كانوا عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسنات، بدت لهم يوم القيامة سيئات. وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول: ويل لأهل الرياء! وقيل: إن المرائي ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له، فلا أجر لك عندنا. وقال الحسن: المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه، هو رجل سوء يريد أن يقول الناس: هو صالح، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء؟ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة: إذا راءى العبد يقول الله: انظروا إلى عبدي كيف يستهزىء بي! وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأطىء رقبته فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، وإنما الخشوع في القلوب، وقيل إن أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو، فقال له أبو أمامة: أنت أنت لو كان هذا في بيتك، . وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمت بالليل، فإنه أشرف من إظهاره بالنهار، لأن السمت بالنهار للمخلوقين، والسمت بالليل لرب العالمين. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

نفي الجدل واللدد:

قال الله تعالى: ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك

---

(١٠) سورة الزمر الآية (٤٧).

الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[11] ومما يذم من الألفاظ المراء والجدال والخصومة.

قال الإمام «حجة الإسلام» الغزالي رحمه الله: المراء طعنك في كلام لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله، وإظهار مزيتك عليه، قال: وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، قال: وأما الخصومة فلجاج في الكلام ليستوفي مقصوداً من مال أو غيره، وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً. هذا كلام الغزالي.

وقال النووي رحمه الله: اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل قال الله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾[12] وقال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[13] وقال تعالى: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾[14]. قال: فإن كان الجدال الموقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه، والمجادلة والجدال بمعنى واحد قال بعضهم: ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة.

فإن قلت لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه؟ فالجواب: ما أجاب به الغزالي رحمه الله: اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم. كوكيل القاضي[15] فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أي جانب هو، فيخاصم بغير علم.

ويدخل في الذم أيضاً من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسليط على خصمه، كذلك من خلط بالخصومة

---

(11) سورة البقرة الآيتان (٢٠٤ ـ ٢٠٥).
(12) سورة العنكبوت الآية (٤٦).
(13) سورة النحل الآية (١٢٥).
(14) سورة غافر الآية (٤).
(15) وكيل القاضي هو ما نسميه في أيامنا المحامي.

كلمات تؤذي وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه، وكذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم.

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء، ففعل هذا ليس حراماً ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر، ويحزن لمسرته، ويطلق لسانه في عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى أنه يكون في صلاته وخاطره متعلق بالمحاججة والخصومة، فلا تبقى حاله على الاستقامة، الخصومة مبدأ الشر، وكذا الجدال والمراء فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها.

وقد رأينا في كتاب الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً».

وجاء عن علي رضي الله عنه قال: إن الخصومة لها قُحم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال» ثم تلا: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً﴾[١٦] الآية.

وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن ودنيا تقطع أعناقكم». رواه ابن عمر.

وقال النبي ﷺ: «المراء في القرآن كفر».

---

(١٦) سورة الزخرف الآية (٥٨).

نفي التشدق والثرثرة

جاء في كتاب الترمذي عن عبدالله بن‌عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»، قال الترمذي: حديث حسن وروينا فيه أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون». قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون؟ قال: «المتكبرون». قال الترمذي: حديث حسن. قال: والثرثار هو كثير الكلام والمتشدق من يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم.

نفي التنصت على الناس والتجسس

قال الله تعالى: ﴿ ولا تجسسوا﴾[17]. قال ابن الجوزي رحمه الله قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء، قال أبو عبيدة التجسس والتحسس واحد وهو البحث ومنه الجاسوس. وقال يحيى بن أبي كثير: التجسس بالجيم عن عورات الناس، وبالحاء الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم، فالمعنى لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذا ستره الله، وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً. قال: إنا نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيء نأخذ به.

وقال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة». أخرجه البخاري، والآنك: الرصاص المذاب.

نفي النميمة والنمام

النمام وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم. هذا بيانها.

---

(17) سورة الحجرات من الآية (12).

وأما أحكامها فهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاءٍ بنميم ﴾[18].

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «لا يدخل الجنة نمام» وفي الحديث أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم مرَّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما إنه كبير أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين، وغرز في كل قبر واحدة وقال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا».

وقوله «وما يعذبان في كبير» أي ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير زعمهما، ولهذا قال في رواية أخرى: «بلى إنه كبير» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، ومن كان ذا لسانين في الدنيا، فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة». ومعنى من كان ذا لسانين أي يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام، وهو بمعنى صاحب الوجهين.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: إنما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا. وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه، سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكناية أو الرمز أو الإيماء أو نحوها، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو غيره. فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه. وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية. قال: وكل من حملت إليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال:

١ ـ أن لا يصدقه لأنه «نمام» فاسق وهو مردود الخبر.
٢ ـ أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.

---

(١٨) سورة القلم الآيتان (١٠ ـ ١١).

٣ ـ أن يبغضه في الله عز وجل فإنه بغيض عند الله، والبغض في الله واجب.

٤ ـ أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾[١٩].

٥ ـ أن لا يحمل ما حكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ولا تجسسوا ﴾[١٩].

٦ ـ أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميمته.

نفي المن والمنان

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾[٢٠] قال الواحدي: هو أن يمن بما أعطى. قال الكلبي: بالمن على الله في صدقته والأذى لصاحبها، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب». المسبل هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين. لأنه ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار». وفي الحديث أيضاً: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان». رواه النسائي وفيه أيضاً: «ولا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان». والخب هو المكر والخديعة، والمنان هو الذي يعطي شيئاً أو يتصدق به ثم يمن به. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر». ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾.

نفي الغدر وإيجاب الوفاء

قال الله تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾[٢١] قال الزجاج:

---

(١٩) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٢٠) سورة البقرة الآية (٢٦٤).

(٢١) سورة الإسراء الآية (٣٤).

كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد. وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾[٢٢].

قال الواحدي: قال ابن عباس في رواية الوالي (العهود) يعني ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن. وقال الضحاك: بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض. والعهود، وكذا العهود جمع عهد: العقد بمعنى العقود وهو الذي أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك ولا سبيل إلى نقضه بحال وقال مقاتل بن حيان: أوفوا بالعقود، التي عهد الله إليكم في القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذي نهاكم عنه، وبالعهود الذي بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم.

وقال النبي ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». مخرج في الصحيحين.

وقال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال هذه غدرة فلان بن فلان». وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره» أخرجه البخاري. وقال ﷺ: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». أخرجه مسلم. وقال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر».

نفي الخيانة:

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا

---

(٢٢) سورة المائدة الآية (١).

أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾[٢٣]. قال الواحدي رحمه الله تعالى: نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حاصرهم، وكان أهله وولده فيهم، فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أي إنه الذبح فلا تفعلوا. فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله. قال أبو لبابة، فما زالت قدماي من مكاني حتى عرفت أني خنت الله ورسوله. وقوله: ﴿ وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ عطف على النهي أي ولا تخونوا أماناتكم. قال ابن عباس: الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني الفرائض، يقول لا تنقضوها. قال الكلبي أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما، وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء الله خانها، وإن شاء أداها، لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، وقوله: ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ إنها أمانة من غير شبهة. وقال تعالى: ﴿ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾[٢٤] أي لا يرشد كيد من خان أمانته، يعني أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية وقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

وقال رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له». والخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أدِ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك. وفي الحديث أيضاً «يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب». وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله أنا ثالث الشريكين، ما لم يخن أحدهما صاحبه». وفيه أيضاً: «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل لا خير فيه». وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة» وقال عليه الصلاة والسلام: «هكذا أهل النار وذكر منهم رجلًا لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه» وقال ابن مسعود: «يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة التي خان فيها، فيقال له أدِ أمانتك فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ قال: فتمثل له كهيئتها يوم أخذها في قعر جهنم ثم يقال

---

(٢٣) سورة الأنفال الآية (٢٧).

(٢٤) سورة يوسف الآية (٥٢).

له: انزل إليها فأخرجها. قال: فينزل إليها فيحملها على عاتقه، فهي عليه أثقل من جبال الدنيا، حتى إذا ظن أنه ناج هوت، وهوى في أثرها أبد الآبدين. ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والغسل أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة.

٢١- نفي شهادة الزور وشاهد الزور

لقد قال ربنا عز وجل في القرآن الكريم: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ [١] يصف بذلك المؤمنين فاستثنى شاهد الزور من زمرتهم فهو غير مؤمن.

وقال تعالى: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾[٢] وما أمر الله باجتنابه كان أكبر من الكبائر، لأنه من أمهاتها، فالاجتناب أشد من التحريم، كما في أمره تعالى لآدم وحواء عليهما السلام بعدم الاقتراب من الشجرة فالتحريم لم يكن فقط للأكل منها بل وحتى للقعود قربها والمرور بها والاجتناب يفيد نفس المعنى.

وفي الأحاديث النبوية الشريفة قال ﷺ: «عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين» وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة والطبراني، فإذا كان الله سبحانه يغفر الذنوب ما عدا الشرك فكيف بما يعادل الشرك مرتين.

وقال الرسول ﷺ أيضاً: «لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار».

---

(١) سورة الفرقان الآية (٧٢)

(٢) سورة الحج الآية (٣٠).

وشاهد الزور قد ارتكب بشهادته أربعاً من كبيرات الكبائر وهي:

١ - الكذب والافتراء، وقد قال تعالى: ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾[٣]. وفي الأحاديث الشريفة للرسول ﷺ «يطبع المؤمن على كل شيء، ليس الخيانة والكذب». فهو مستثنى من زمرة المؤمنين، داخل في جماعة الكفر والكفار.

٢ - أنه ظالم، فشهادته بالزور قد ظلمت صاحب الحق وسلبته حقه أو ماله أو عرضه أو حياته.

٣ - أكل وأطعم مالاً حراماً بما غصبه بشهادته وأعطاه لغير صاحب الحق، وقد قال الرسول ﷺ: «من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار» وهو من الأحاديث المتفق عليها.

٤ - قد أباح ما أوجب الله حفظه وحرم إباحته من دم أخيه وعرضه وماله وحتى حياته بشهادته.

وفي الأحاديث المروية عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» (لكثرة ما ظهر على الرسول ﷺ من الضيق والانفعال لمجرد ذكر الزور).

اليمين الغموس

ومن شهادة الزور وقول الزور، اليمين الباطل يقسمه المرء ليقتطع به من مال غيره أو حقوقه لنفسه إذ لم يوجد الكتاب أو العقد الذي يقطع بالحق أو الشهود لإثبات الحق ونفي الباطل فكان اليمين في هذه الحال هو الحل الوحيد.

قال الله تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم

---

(٣) سورة غافر الآية (٢٨).

ولهم عذاب أليم﴾[4] قال الواحدي: نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضيعة، فهمَّ المدعى عليه أن يحلف، فأنزل الله هذه الآية، فنكل المدعى عليه عن اليمين، وأقر للمدعي بحقه. وعن عبدالله[5] قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم، لقي الله تعالى وهو عليه غضبان». فقال الأشعث: في والله نزلت، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال: ألك بينة؟ قلت: لا. قال لليهودي: أحلف. قلت: يا رسول الله إنه إذا يحلف فيذهب بمالي. فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ أي عرضاً يسيراً من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين ﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي لا نصيب لهم في الآخرة ﴿ولا يكلمهم الله﴾ أي بكلام يسرهم ﴿ولا ينظر إليهم﴾ نظراً يسرهم يعني نظر الرحمة ﴿ولا يزكيهم﴾ ولا يزيدهم خيراً ولا يثني عليهم.

وعن عبدالله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف على مال امرىء مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان» قال عبدالله: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ إلى آخر الآية، أخرجاه في الصحيحين.

وعن أبي أمامة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال رجل: وإن كان يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك» أخرجه مسلم في صحيحه. قال حفص بن مسرة: ما أشد هذا الحديث؟ فقال: أليس في كتاب الله تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ الآية. وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا يا رسول الله من هم؟ قال: «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وقال ﷺ: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» أخرجه البخاري

---

(٤) سورة آل عمران الآية (٧٧).

(٥) عبد الله بن مسعود.

في صحيحه، والغموس هي التي يتعمد الكذب فيها سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الإثم وقيل تغمسه في النار.

الحلف الباطل:

وكل حلف بغير الله عز وجل باطل ولا يجوز ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل: كالنبي، والكعبة، والملائكة، والسماء، والماء، والحياة، والأمانة وهي من أشد ما هنا، والروح والرأس، وحياة السلطان، ونعمة السلطان، وتربة فلان، والآباء والإخوة والأبناء وما شابه ذلك.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت»، وفي رواية في الصحيح: «فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت».

وعن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم» رواه مسلم. الطواغي: جمع طاغية وهي الأصنام، ومنه الحديث: «هذه طاغية دوس» أي صنمهم ومعبودهم. وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا». رواه أبو داود وغيره. وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال إني بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: لا والكعبة فقال: «لا تحلف بغير الله» فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك» رواه الترمذي وحسنه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهم. قال وفسر بعض العلماء قوله كفر أو أشرك على التغليظ كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الرياء شرك».

وقال ﷺ: «من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله». وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها، قبل إسلامه، فربما سبق لسانه إلى الحلف بها، فأمره النبي ﷺ أن يبادر بقول: لا إله إلا الله ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه.

ومن ذلك حلف الناس في هذه الأيام من باب المزاح أو الغضب بالجدران والأشجار والزعيم الفلاني والقائد الفلاني أو ما شابه ذلك من الأمور، فإن فيه ريح الشرك ويجب التشهد بقول لا إله إلا الله منه وإن لم يكن الحالف يريد الشرك فإنه قد وقع فيه.

٢٢ـ نفي القمار

ومن الأمور التي دعانا رب العالمين إلى اجتنابها أيضاً لما فيه من عظيم الضرر والفساد والإفساد: القمار وهو الميسر، فالمقامر على استعداد ليبيع نفسه وأن يضيع ما جناه طوال عمره لنفسه ولعائلته وأطفاله في جلسة قمار واحدة، لا ضمير يردعه ولا وازع يرده والمقامر الآخر معه جاهز كي يتلقف كل هذا منه حراماً بحرام غير آبه للحرام ولا للتحريم، وبعضهم قد يقع ميتاً على طاولة القمار لشدة خسارته وحزنه على ما فقد، ومن ألزمه بالقمار؟ أما كان الأحرى به أن يلزم داره أو يقوم بعمل يفيده؟.

ولقد سمعت عن أشخاص رهنوا نساءهم وباعوا بناتهم من أجل لعب القمار. كما سمعت عن أحدهم طلب منه الذي يلعب معه أصابعه يلاعبه بها بعد أن خسر كل ماله، فقطع أصابعه وقدمها على طاولة القمار والعياذ بالله.

وكم من الأسر قد دمرت وشردت وخرجت إلى الحياة لا تملك سوى الفقر بسبب القمار، أنجانا الله وإياكم من شروره إنه سميع مجيب.

وقد قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان

أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾[1] والميسر هو القمار بأي نوع كان نرداً أو شطرنجاً أو فصوصاً أو كعاباً أو جوزاً أو بيضاً أو حصى أو غير ذلك، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى الله عنه بقوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[2]. وداخل في قول النبي ﷺ: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة». وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليتصدق»، فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فكيف بالفعل.

أنواع الميسر

كل ما فيه خسارة وربح بغير حق ولا جهد فهو من الميسر.

١ ـ المضاربة في البورصة فهو قمار بالأوراق المالية ورهان على ارتفاع أسعارها أو سقوطها.

٢ ـ المتاجرة بالعملات: وخصوصاً في هذه الأيام بالرهان على ارتفاع الأسعار.

٣ ـ سبق الخيل والمراهنة على سبق خيوله كي يربح من الأموال التي خسرها سواه من المراهنين.

٤ ـ أوراق اللعب: وكل أنواع اللعب بها على مال أو على ما يؤكل ويشرب بدفع ثمنه الخاسر فهم يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

٥ ـ كل ما فيه شرط على مال أو ما كان ثمنه مالاً حتى لو كان الشرط على المطر أو الوقت أو المسافة أو الخ... فهو ميسر داخل في التحريم والاجتناب.

٦ ـ كما أن هناك أنواعاً أخرى كالشطرنج والنرد وطاولة الزهر والدومينو وأي لعبة أخرى إن كان ثمة شرط فهو ميسر وإن لم يكن ثمة شرط فهو تضييع للوقت في غير ذكر الله أو العمل المفيد وهو منهي عنه ومكروه وإن لم يكن فيه عقوبة.

---

(١) سورة المائدة الآيتان (٩٠ ـ ٩١).

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٨).

٧ ـ وثمة أنواع أخرى مستحدثة يقامر فيها المرء مع الآلة فهو هنا يقامر مع صاحب الآلة والإثنان في العقاب سواء

من الآثار

وللسلف الصالح آثار في النرد والشطرنج وما شابههما من الألعاب وإن لم يكن اللعب من أجل المال.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الشطرنج ميسر الأعاجم». ومر رضي الله عنه على قوم يلعبون بها، فقال: ما هـذه التماثيـل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس احدكم جمراً حتى يطفي خير له من أن يمسسها. ثم قال: والله لغير هذا خلقتم. وقال أيضاً رضي الله عنه: صاحب الشطرنج أكـذب الناس. يقول أحدهم: قتلت، وما قتل، ومات، وما مات، وقال أبو مـوسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: لا يلعب بالشطرنج إلا خاطىء. وقيل لإسحاق ابن راهويه: أترى في اللعب بالشطرنج بأس؟ فقال: البأس كله فيه. فقيل له: إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب. فقال: هو فجور. وسُئل محمد بن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال: أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة ـ أو قال يحشر يوم القيامة ـ مع أصحاب الباطل.

وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الشطرنج فقال: هي أشر من النرد. وتقدم الكلام على تحريمه، وسُئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج: فقال الشطرنج من النرد. بلغنا عن ابن عباس أنه ولي مالاً ليتيم فوجدها في تركة والد اليتيم، فأحرقها. ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم، ولكن لما كان بها اللعب حراماً أحرقها، فتكون من جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم وجبت إراقته، كذلك الشطرنج وهذا مذهب حبر الأمة رضي الله عنه، وقيل لإبراهيم النخعي: ما تقول في اللعب بالشطرنج، فقال: إنها ملعونة.

وروى أبو بكر الأثرم صاحب الإمـام أحمد في جـامعه، عن واثلة بن الأسقع، عن رسول الله ﷺ، قال: «إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه، ليس لصاحب الشاه فيها نصيب». يعني لاعب الشطرنج، لأنه يقول: شاه مات، وروى أبو بكر الآجري بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

ﷺ قال: «إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم، فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده، فأحدق بهم، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها، لكزه الشيطان بجنوده، فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة، فأكلت منها حتى ملأت بطونها، ثم تفرقت، ولأنهم يكذبون عليها فيقولون: شاه مات» وروي عنه ﷺ أنه قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة صاحب الشاه». يعني صاحب الشطرنج ألا تراه يقول: قتلته والله، مات والله، افترى وكذب على الله.

ومما يشابه الشطرنج في هذه الأيام هذه الألعاب الألكترونية التي تصور للاعب أنه يقتل ويدمر وهو لا يفعل فتسمم عقل الناشئة ولا تفيدها في علم أو ثقافة، إنما هي ضياع للمال والوقت والأخلاق.

٢٣- نفي اللعن واللعان
وإيجاب لعن من لعنهم الله ورسوله

وما أسهل اللعن على لسان الناس، يلعن فلان وفلان وحتى من باب التحبب.

إذا أرادوا أن يقولوا عن أحدهم انه أريب قالوا: ملعـون أو شيطان أو عفريت وكلها صور للُعن.

إذا أرادوا نهي طفل عن عمل لعنوه .

إذا أرادوا شتم بعضهم البعض تلاعنوا ولعنوا والديهم.

لقد صارت اللعنة في أفواههم وكأنها أكلة طيبة يتداولونها بينهم.

وهم لا يكتفون بهذا فهم يلعنون الطقس والسير والحرارة والبرودة والأسعار وكأنهم يتداولون كلمة طيبة.

لقد قال النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». وقال ﷺ: «لعن المؤمن كقتله». أخرجه البخاري. وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة». وقال عليه الصلاة

والسلام: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً». وفي الحديث: «ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء». والبذيء هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام. وعن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعن إن كان أهلاً لذلك، وإلا رجعت إلى قائلها». وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت ناقتها بأن حرمها ركوبها، قال عمران بن حصين: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجت، فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة». قال عمران فكأني أنظر إليها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد أخرجه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم». وعن عمرو بن قيس قال: إذا ركب الرجل دابته قالت اللهم اجعله بي رفيقاً رحيماً، فإذا لعنها قالت: على أعصانا الله ورسوله لعنة الله عز وجل.

من وما يجوز لعنه

١ - قال تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾[1] فالظلم والظالم واقعان في اللعنة دون تسمية للشخص على التحديد، لأن تحديد الظلم والظالم لا يكون من الفرد وحده اذ قد يكون هو الظالم في اتهامه للآخر بالظلم.

٢ - قال تعالى في قصة المباهلة: ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[2] واللعنة على الكذب والكاذبين عموماً دون تحديد للشخص، إذ قد يكون ما تظنه كذباً صدق وأنت لا تدري ولا تعلم فالعلم عند الله وحده.

٣ - قال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾[3] وهم الذين آتاهم الله العلم ووسع له صدورهم فتعلموا ثم كتموا ما أعطاهم الله من العلم

---

(١) سورة هود الآية (١٨).

(٢) سورة آل عمران الآية (٦١)

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٩).

والمعرفة مع أن في إعلانه إحقاق للحق وإبطال للباطل فاستحقوا لعنة الله والناس.

٤ ـ قال تعالى: ﴿ويفسدون في الأرض، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[٤]. الذين يقطعون الطرق ويسرقون الناس، والذين يضلون الناس عن سواء السبيل ويقودونهم إلى البغي والضلالة كل هؤلاء من المفسدين في الأرض وكلهم قد لعنهم الله.

٥ ـ إبليس، وقد لعنه الله في الكثير من آيات القرآن الكريم فقال عز من قائل: ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾[٥].

٦ ـ وقد لعن الله أيضاً الذين يضلون الناس ويحرفون الكلام عن مواضعه ويدعون بالباطل ودعوة الضلالة. فقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾[٦] وقد نزلت في اليهود وهي لهم ولمن فعل فعلهم.

٧ ـ كما لعن الله المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر فقال تعالى: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾[٧].

٨ ـ وفي الأحاديث النبوية الشريفة أن الرسول ﷺ قال: «لعن الله آكل الربا» وهو الذي يأكل أموال الناس بالربا مستغلاً حاجتهم لماله فيقضيه منهم أضعافاً مضاعفة.

٩ ـ «وموكله» الذي يدفع الربا إذا استدان، لأنه شريكه في الإثم بالقبول والرضى.

---

(٤) سورة الرعد الآية (٢٥).
(٥) سورة ص الآية (٧٨).
(٦) سورة النساء الآيتان (٥١ ـ ٥٢).
(٧) سورة التوبة الآية (٦٨).

١٠ ـ «وشاهده» لأن يشهد على عمل حرَّمه الله ويقبل به ويوافقهم عليه.

١١ ـ «وكاتبه» لأنه يكتب الباطل وما حرَّم الله ويتنكر لتكليفه من الله بالكتابة بالعدل فهو يكتب بالظلم والافتراء على الله وعلى الناس.

١٢ ـ كما ثبت عن الرسول ﷺ قوله: «لعن الله المحلل» أي الذي يعقد قرانه على زوجة قد طلقها زوجها ثلاث مرات كي يمكنهما من الزواج مرة أخرى وهو يعلم أن هذا القران باطل لا يراد به وجه الله ولا الحصانة ولا الزواج الصحيح لأن الزواج بعده باطل وزنا فهو كالقواد الذي يسهل الزنا، كي تعود إلى الزوج الأول دون زواج صحيح من سواه كما فرض الله تعالى سبحانه وقد أسماه الرسول ﷺ «التيس المستعار».

١٣ ـ «والمحلل له» أي الذي تم هذا القران لصالحه إن كان المرأة أو الرجل، إذا كان الأمر هذا قد تم بعلم أحدهما فإن كان بعلم الإثنين ورضاهما فهما في اللعنة سواء وزواجهما باطل وهو زنا.

١٤ ـ كما قال الرسول ﷺ: «لعن الله الواصلة» وهي ما تسمى حلاقة النساء في هذه الأيام و «الواصلة» هي التي تزين المرأة بالشعر المستعار تصل به شعرها كي يصير طويلاً أو تصنع وتلبس المرأة الشعر المستعار لأن في ذلك تغيير لما خلق الله.

١٥ ـ «والمستوصلة» وهي التي تذهب للأولى كي توصل لها شعرها بشعر مستعار، تستعير به جمال شعر صاحبة الشعر الأصلية أو تستعير جمالاً بالشعر الصناعي كي تبدو على غير ما خلقها الله.

١٦ ـ «والواشمة» وهي التي تصنع الوشم للزينة على جلود النساء.

١٧ ـ «والمستوشمة» وهي التي تذهب للواشمة كي ترسم لها الوشم على جلدها.

١٨ ـ «والنامصة» التي تنتف شعر حواجب النساء فتغير ما خلق الله في المرأة من جمال طبيعي فطري كي تجعلها ملفتة للأنظار وهذه دعوة إلى الرذيلة والفسوق.

١٩ ـ «والمتنمصة» التي تنتف شعر حاجبيها بنفسها أو بواسطة نامصة كي تزيد جمال وجهها فتلفت نظر الرجال بجمالها ولو فعلته لزوجها فإنها عن قصد أو غير قصد ستثير شهوة الرجال.

٢٠ ـ كما لعن رسول الله ﷺ: «الصالقة»: وهي التي ترفع صوتها عند المصيبة بالصراخ والنواح.

٢١ ـ «والحالقة» التي تحلق شعر رأسها عند المصيبة وإذا مات لها عزيز.

٢٢ ـ والشاقة: وهي التي تشق ملابسها عند المصيبة فتكشف ما أمر الله بستره وكأنها تعترض على حكم الله في خلقه.

٢٣ ـ كما لعن ﷺ: المصورين الذين يصنعون الأنصاب والتماثيل والصور تقليداً لخلق الله، وعذابهم عند الله عظيم لا يغادرون جهنم حتى ينفخوا الروح في ما صنعوا وما هم بفاعلين.

٢٤ ـ وقال ﷺ: «لعن الله من لعن والديه وسب أمه» مباشرة أو سب الناس وشاتمهم فشتموه وشتموا والديه.

٢٥ ـ وقال ﷺ «لعن الله من أضل أعمى عن الطريق» لأنه لا يملك إرشاد نفسه، فإضلاله عن الطريق أذى متعمد لمن لا يستطيع لهذا الأذى رداً.

٢٦ ـ «ولعن من أتى بهيمة» كما يفعلون في بعض القرى والدساكر من مجامعة الحيوانات، فالفاعل يقام عليه الحد والدابة تقتل.

٢٧ ـ «ولعن من عمل عمل أهل لوط» من إتيانهم للذكران شهوة من دون النساء، وهذا يشمل أيضاً النساء اللواتي يأتين النساء شهوة، لأنه شذوذ من نفس النوع وهو أكثر انتشاراً من الأول في هذه الأيام والعياذ بالله.

٢٨ ـ كما لعن الرسول ﷺ من أتى كاهناً أي ساحراً مصدقاً به لأنه بذلك يشرك ويعطي للكاهن قدرة الله تعالى على النفع والضر، واللعنة هنا تشمل الكاهن والمصدق به.

٢٩ ـ كما لعن من أتى امرأة في دبرها وهي اللوطية الصغرى وإتيان للمرأة في غير المكان الذي خلقه الله له.

٣٠ ـ ولعن النائحة ومن حولها: لأنها تتصنع الحزن وتعترض على حكم الله وتسبب العذاب للميت في قبره.

٣١ ـ ولعن من أمَّ قوماً وهم له كارهون، يصلي بهم إماماً وهم لا يثقون به ولا بدينه، فصلاته مردودة عليه وصلاتهم مقبولة لأن امامته كانت رغماً عنهم.

٣٢ ـ ولعن امرأة باتت وزوجها عليها ساخط فهي في لعنة الله ما دام زوجها ساخط عليها حتى تعود إليه وتسترضيه لأن الله جعله قواماً عليها وأمرها بطاعته ما دامت في عصمته.

٣٣ ـ ولعن المرأة التي تهجر فراش زوجها حتى ترجع لأنها تحرمه حقاً من حقوقه أوجبه الله له وتمنعه من إحصان نفسه بها وكأنها تدفعه إلى الزنا حتى أن بعضهن يقلن لأزواجهن أن يذهبوا إلى سواهن لأنهن.لا يرغبن بهم والعياذ بالله.

٣٤ ـ ولعن المرأة التي تخرج من دارها بغير إذن زوجها ولذا كان أكثر أهل النارَ من النساء ومن تعداد الملعونين يتبين الأمر بصورة أوضح فالأمور التي لعنت النساء بسببها كثيراً ما يأتينها وهن يعلمن ضلالها.

٣٥ ـ ولعن المتشبهات من النساء بالرجال، ونظرة واحدة إلى الشوارع حيث يسرن متبخترات بسراويل الرجال كاشفات الرؤوس كاسيات عاريات، يلبسن من السراويل (البنطلون) ما يبرز مفاتنهن لنعلم أسباب كثرة النساء في أهل النار.

٣٦ ـ والمتشبهين من الرجال بالنساء وهم المتخنثون، سيماهم في وجوههم، يعرفهم المرء من مشيتهم وأحاديثهم.

٣٧ ـ ولعن المترجلات من النساء، يعملن أعمال الرجال ويرتدن أماكنهم وما أكثرهم تحت إسم تحرير المرأة وجمعيات تحرير المرأة وكلها ضلالات وكفر لعنه الله.

٣٨ ـ ولعن رجلاً سمع حي على الصلاة، حي على الفلاح ثم لم يجب داعي الصلاة بالقيام لها أو الغدو إلى المسجد لأدائها.

٣٩ ـ ولعن من ذبح لغير الله، يذبح الذبيحة على اسم فلان وعلّان ولا يذكر الله الذي أحل ذبحها، أو لا يذبح كما أمر الله بالذبح.

٤٠ ـ ولعن الله السارق لأنه يسلب الناس حقوقهم ويأخذ منهم أموالهم خلسة.

٤١ ـ ولعن من سب الصحابة، فليس للمرء أن يشتم أحداً من صحابة الرسول ﷺ، أما ما شجر بينهم من خلاف فأمره إلى الله هو يقضي به ولا علاقة للناس في ذلك، كي يقضوا في الأمر بينهم، فلم يوكلهم الله قضاة على حماية الرسول ﷺ وسب صحابة الرسول ﷺ كبيرة من أكبر الكبائر.

٤٢ ـ ولعن الرسول ﷺ أيضاً من سَلَّ سخيمته على الطريق، يعني تغوط على الطريق فآذى المارة ريح غائطه ومنظره.

٤٣ ـ ولعن المرأة التي لا تكتحل كي تنفر زوجها منها، فهي تحتال، فلا تتزين له كي ينفر منها فلا تكون هي من هجر فراش الزوجية أو تشغل نفسها بالعمل حتى يصل الزوج إلى الدار فيراها والأقذار تعلوها والمنزل قائم قاعد فيترك الدار ويخرج وما أكثرهن يفعلنه قصداً وعن غير قصد.

٤٤ ـ ولعن من أفسد امرأة على زوجها، فهو يمدحها ويهجوه بمدح جمالها ويبرز قبحه، يتحدث عن غنى نفسه وفقر زوجها، يتحدث عما يلبس سواها من النساء وهي محرومة أو يذكر لها من سيرة زوجها ما ينفرها منه وكأنه بذلك يحبب إليها الزنا، فهو قواد وزانٍ وإن لم يفعل ولم يقصد وهذا يشمل المرأة التي تفعل ذلك والرجل أيضاً.

٤٥ ـ ولعن من أتى حائضاً لأن الله أمر باجتناب المواقعة في المحيض، لما فيه من الأذى.

٤٦ ـ ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة، سواء كانت سلاحاً أم لم تكن، لأن المقصود هو التهديد بالقتل والوعيد.

٤٧ ـ ولعن مانع الزكاة، لأنه يمنع حقاً من حقوق الله أوجبه على عباده.

٤٨ ـ ولعن من انتسب إلى غير أبيه وهو يعلم لأن في ذلك تضييع لأبيه وافتئات على رجل آخر.

٤٩ ـ ولعن من كوى دابة في وجهها، لأنه ظلم وتعذيب وتشويه لخلق الله.

٥٠ ـ ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أمكنه ذلك ولم يمنعه أحد إلا نفسه التي ترى الشر وترضاه.

٥١ ـ ولعن «الخمرة» وكل ما يسكر خمر، وفي «نفي الخمر وشربه» تفصيل لمن أراد.

٥٢ ـ «وشاربها» أي من يشرب الخمر ليسكر.

٥٣ ـ وساقيها: من يسقيها للناس.

٥٤ ـ مسقيها: الذي يشرب الخمر ويسقي من يجلس بجانبه أو يحبب شربها للناس.

٥٥ ـ و «بائعها»: الذي يبيعها للناس وإن كان لا يشربها.

٥٦ ـ و«مبتاعها» الذي يشتريها لنفسه أو لسواه ولو كان غير شارب لها، كي يقدمها كهدية.

٥٧ ـ عاصرها: الذي يعمل في صناعتها.

٥٨ ـ معتصرها: صاحب صناعتها الذي ينشىء المصانع والمخامر لتخميرها وتصنيعها.

٥٩ ـ وحاملها: ناقلها ولو في سيارة أو طائرة أو يده أو ثيابه كي يوصلها.

٦٠ ـ والمحمولة إليه: الذي يستلمها من حاملها.

٦١ ـ وآكل ثمنها: الذي يعيش من ثمنها، بائعاً أو صانعاً أو عاملاً أو مزارعاً يزرع الفاكهة التي تصنع منها يبيعها إلى صاحب الخمارة وهو يعلم أنه إنما لصنع الخمر يشتريها.

٦٢ - و «الدال عليها» من يرشد السائل إلى أماكن بيعها أو يحببها إليهم بالوصف.

٦٣ - ولعن الزاني بامرأة جاره، وجعل الزنا بها مساوياً للزنا بعشر نساء من سواها لما في ذلك من إيذاء لجاره الذي أوجب الله عليه حفظ حقوقه ورعايته.

٦٤ - ولعن ناكح يده والتي يسمونها بالعادة السرية، ودعا إلى الزواج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه وجاء.

٦٥ - ولعن ناكح الأم وإبنتها وهو وناكح الأخت وأختها من أعظم العظائم وأكبر الكبائر سواء بسواء لأنه يكشف عورتيهما والله قد حرَّم الواحدة منهن إذا أحل الأخرى بالنكاح فهو مستحل لما حرَّم الله.

٦٦ - ولعن الشافع في حد من حدود الله لأنه يدعو لمنع احقاق ما أمر الله بإحقاقه وداعية إلى العصيان على الله تعالى.

٦٧ - ولعن «المشفع» في الحدود إذا بلغ الحاكم لأنه وافق على الامتناع عن إقامة حدود الله.

٦٨ - ولعن «الراشي» الذي يدفع الرشوة لتسهيل أموره وتعطيل أمور سواه، ومال الرشوة حرام وإن جاء من حلال.

٦٩ - والمرتشي: الذي يقبض الرشوة.

٧٠ - والرائش: الذي يتوسط بينهما ويسهل أمر الرشوة.

٧١ - ولعن المحتكر الذي يخفي الطعام حتى يرتفع سعره فيأكل أموال الناس بالباطل والربح الحرام.

٧٢ - ولعن من أخفر مسلماً، فخذله ولم ينصره وكان نصره عليه حقاً.

٧٣ - ولعن الرسول ﷺ أيضاً، الوالي، القائم على أمور الناس إذا ظلمهم وقد وجب عليه رعايتهم وحفظ حقوقهم وصيانتها وإرشادهم ومساعدتهم بما أعطاه الله من الإمرة عليهم.

٧٤ ـ ولعن الله المتبتلات من النساء يرفضن الزواج وقد جعله الله سنة عباده.

٧٦ ـ ولعن راكب الفلاة، المسافر وحده في الأرض المنقطعة لأن الشيطان زميله في السفر ولا يكون الركب أقل من ثلاثة.

٧٧ ـ وقال رسول الله ﷺ: «ستة لعنتهم وكل نبي مجاب الدعوة: المحرف لكتاب الله، والمكذب بقدر الله والمتكلم بالجبروت يعز من أذل الله ويذل من أعز الله والمستحل من عترتي ما حرَّم الله، والتارك لسنتي» وأكثر هؤلاء مرٌ ذكره فيما سبق.

تحريم لعن المسلمين وذكر من يجوز لعنه والكيفية

اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة، كقولك لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين، ونحو ذلك كما تقدم، وأما لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودي، أو نصراني أو ظالم أو زانٍ أو سارق أو آكل ربا فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام. وأشار الغزالي رحمه الله إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب وأبي جهل وفرعون وهامان وأشباههم. قال: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندري ما يختم به لهذا الفاسق والكافر. قال وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال: «اللهم العن رعلاً وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله» وهذه ثلاث قبائل من العرب، فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر، قال: ويقرب من اللعن الدُّعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم، كقول الإنسان: لا أصح الله جسمه، ولا سلمه الله، وما جرى مجراه، وكل ذلك مذموم: وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات، فهذا كله مذموم، قال بعض العلماء: من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا أن يكون لا يستحق.

٢٤- نفي قطع الأرحام
وإيجاب وصلها

قال الله تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾[١] أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقال تعالى: ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرس وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾[٣] وقال الله تعالى: ﴿ يضل به ﴾[٤] - أي بالمثل الذي ضربه ﴿ كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾[٤] أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله مما عهده الله على العبد.

---

(١) سورة النساء الآية (١).

(٢) سورة محمد الآيتان (٢٢ - ٢٣).

(٣) سورة الرعد الآيتان (٢٠ - ٢١).

(٤) سورة البقرة الآيتان (٢٦ - ٢٧).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» فمن قطع أقاربه الضعفاء، وهجرهم، وتكبر عليهم، ولم يصلهم ببره وإحسانه، وكان غنياً وهم فقراء، فهو داخل في هذا الوعيد، محروم من دخول الجنة، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل، ويحسن إليهم. وقد ورد في الحديث، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة» وإن كان فقيراً وصلهم بزيارتهم والتفقد لأحوالهم لقول النبي ﷺ «صلوا أرحامكم ولو بالسلام».

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي من إذا قطعت رحمه وصلها».

وقال ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا الرحمن وهي الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته» وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال لولده: يا بني لا تصحبن قاطع رحم، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال: أحرِّج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة، فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين، فصالحها، فقالت له عمته: ما جاء بك يا ابن أخي؟ فقال: إني جلست إلى أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال: أحرج كل قاطع رحم إلا قام من عندنا، فقالت له عمته: ارجع إلى أبي هريرة واسأله لِمَ ذلك؟ فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله لِمَ لا يجلس عندك قاطع رحم؟ فقال أبو هريرة إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرحمة لا تنزل على قاطع رحم».

٢٥ـ نفي منع الزكاة
وإيجاب أدائها

قال تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيـامة﴾(١). وقال تعالى: ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾(٢) فسماهم المشركين. وقال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾(٣).

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنباه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها إلا

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨٠).

(٢) سورة فصلت من الآيتين (٦ ـ ٧).

(٣) سورة التوبة الآيتان (٣٤ ـ ٣٥).

إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر[٤] أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه آخرها، رد عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء[١] ولا جلحاء[٢] ولا عضباء[٣] تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليها أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

وقال ﷺ: «أول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله وفقير فخور».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت. فقال له رجل: اتق الله يا ابن عباس، فإنما يسأل الرجعة الكفار! فقال ابن عباس: سأتلوا عليك بذلك قرآناً قال الله تعالى: ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق** ﴾[٤] أي أؤدي الزكاة ﴿ **وأكن من الصالحين** ﴾[٤] أي أحج. قيل له: الزكاة. قال: إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة، قيل: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة.

ولا تجب الزكاة في الحلي المباح إذا كان معداً للاستعمال، فإن كان معداً للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة.

وتجب في قيمة عروض التجارة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(٤) الأرض المستوية لا مَيْل فيها.
(١) عقصاء: مستوية القرون.
(٢) جلحاء: لا قرون لها.
(٣) عضباء: مكسورة القرون، أي أنها كلها سليمة القرون.
(٤) سورة المنافقون الآية (١٠).

رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع[٥] له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه (أي بشدقيه) فيقول أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية: ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾[٦] أخرجه البخاري.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى في مانعي الزكاة: ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾[٧] قال: لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم، ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته.

فإن قيل لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي؟ قيل: لأن الغني البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه، وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه، فإذا قرب منه ولى بظهره فعوقب بكي هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل.

وقال ﷺ: «خمس بخمس» قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر».

---

(٥) الشجاع هو الثعبان الضخم.

(٦) سورة آل عمران الآية (١٨٠).

(٧) سورة التوبة الآية (٣٥).

٢٦ـ نفي سب الصحابة رضوان الله عليهم

لقد جعلت بعض الفرق الغالية من سب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هدفاً من أهدافها ووسيلة من وسائلها لشق المسلمين والتحريش بينهم متخذة من أسباب ذلك ما حصل من خلاف بينهم بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ وعلى الأخص بعد مقتل عثمان وما نشأ عن ذلك من صراع.

وهم يسبون سيدنا أبا بكر رضي الله عنه وهو الذي سمّاه الرسول ﷺ بالصديق وهو الذي نزلت فيه بعض آيات الله.

ويسبون سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي سمّاه الرسول ﷺ الفاروق، والذي قال فيه ﷺ: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين، فأعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وبقي عمرو بن هشام (أبو جهل) على جهله.

والرسول ﷺ قد تزوج عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بنت سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، كما تزوج حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها بنت سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وسيدنا عمر بن الخطاب قد تزوج بنت الإمام علي رضي الله عنه ويسبون سيدنا عثمان بن عفانٍ رضي الله عنه والرسول ﷺ والصحابة قد أسموه ذي النورين لأن الرسول ﷺ قد زوجه اثنتين من بناته رقية وأم كلثوم، توفيت الأولى فزوجه الثانية وهو الذي جمع القرآن الكريم.

ويسبون خالد بن الوليد رضي الله عنه رغم أنه لم يشترك في الخلاف الحاصل بل وتوفي بعيداً عنهم جميعاً في حمص، والرسول ﷺ قد أسماه سيف الله المسلول على الكافرين منذ معركة مؤتة.

وإذا أردنا ذكر فضائل كل واحد من صحابة الرسول ﷺ لطال الحديث كثيراً.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب». وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». مخرج في الصحيحين.

وقال ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه» أخرجه الترمذي.

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم، وكفرهم، واجترأ عليهم.

وقوله ﷺ «الله الله» كلمة تحذير وإنذار، كما يقول المحذر: النار النار. أي أحذروا النار وقوله: «لا تتخذوهم غرضاً بعدي» أي لا تتخذوهم غرضاً للسب والطعن، كما يقال اتخذ فلان غرضاً لسبه أي هدفاً للسب، وقوله: «فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم». فهذا من أجل الفضائل والمناقب، لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه، وواسوه بالأنفس والأموال، فمن أحبهم فإنما أحب النبي ﷺ فحب أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته ـ وبغضهم عنوان بغضه، كما جاء في الحديث الصحيح: «حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق». وما ذاك إلا لسابقتهم

ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ وكذلك حب علي رضي الله عنه من الإيمان، وبغضه من النفاق، وإنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار، ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً.

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساوئهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور، والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق، ومن الزندقة، والإلحاد في عقيدته، وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك، كقول النبي ﷺ: «إن الله اختارني، واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً، وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نسب، فقال رسول الله ﷺ: : من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اختارني، واختار لي أصحابي، وجعل لي أصحاباً وإخواناً وأصهاراً، وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم، فلا تواكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تناكحوهم، ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا». قال العلماء: معناه من فحص عن سر القدر في الخلق وهو أي الإمساك علامة الإيمان

والتسليم لأمر الله، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك، وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيباً وأضافه إليهم كان منافقاً، بل الواجب على حب الله تحب رسوله، وحب ما جاء به، وحب من يقوم بأمره، وحب من يأخذ بهديه، ويعمل بسنته، وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده، وغلمانه، وخدامه، وحب من أحبهم، ويغض من أبغضهم، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

وقال أيوب السختياني رضي الله عنه: من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد بريء من النفاق.

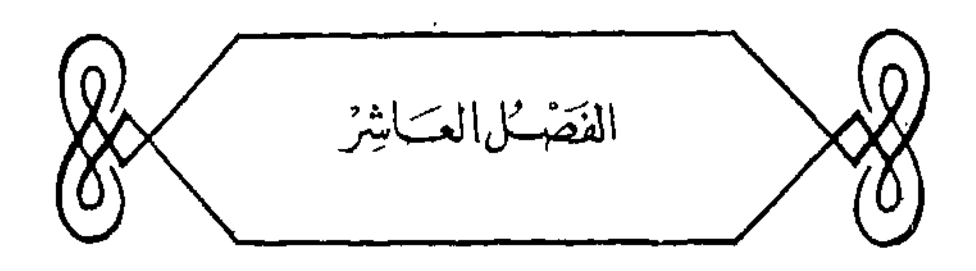
مناقب الصحابة

وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم، وأفضل العشرة أبو بكر الصديق ثم عمر ابن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث.

وقد نص النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور». الحديث.

والخلفاء الراشدون هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن قال الله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين﴾[1] الآية، لا خلاف أن ذلك فيه فنعته بالفضل رضوان الله عليه، وقال تعالى: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾[2] الآية، لا خلاف أيضاً أن ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة، وحلاه

بثاني اثنين، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما. وقال تعالى: ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** ﴾[٣] قال جعفر الصادق: لا خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه، وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم أجمعين.



الفَصْلُ العَاشِرُ

إيجاب الطاعات

١ - إيجاب الطهارة

تعريفات

الطهارة لغة هي النظافة وشرعاً النظافة من النجاسة حقيقية كانت وهي البول والغائط وما شابه والحيض عند النساء أو حكمية وهي الحدث الأكبر وهو الجماع والحدث الأصغر وهو الاحتلام وكذا حيض النساء والطهارة قد تكون حقيقية وهي الغسل بالماء أو حكمية وهي التيمم.

الكيفية:

١ ـ النجاسة الحكمية والطهارة فيها تكون بالغسل الكامل أي تعميم الماء على سائر البدن من منبت الشعر إلى أخمص القدمين.

٢ ـ النجاسة الحقيقية وهي البول والغائط فالطهارة منهما تكون بغسل موضعهما والوضوء.

وينوب التيمم في الحالين عند الضرورة وعدم توفر الماء.

الوضوء:

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾[1].

ومن سُنن الوضوء:

١ ـ غسل اليدين قبل ادخالهما الإناء إذا استيقظ المتوضىء من نومه.
٢ ـ التسمية بالله تعالى في ابتداء الوضوء والدعوات خلاله.
٣ ـ السواك.
٤ ـ المضمضة للفم.
٥ ـ الاستنشاق والاستنثار من الأنف.
٦ ـ مسح الأذنين.
٧ ـ تكرار كل غسل ثلاث مرات وابتداء غسل الأعضاء من جهة اليمين ثم اليسار.

منقضات الوضوء:

وينقض الوضوء ما دعا إلى إيجابه وهو النجاسة الحقيقية من:

١ ـ البول.
٢ ـ الغائط.
٣ ـ خروج الريح.
٤ ـ النوم فلا يدري الإنسان ما فعل خلال نومه.
٥ ـ القيء إذا ملأ الفم.
٦ ـ الإغماء.
٧ ـ نوبات الجنون أو الصرع.
٨ ـ خروج المذي أو الوذي (وسنشرحه مع الغسل).
٩ ـ خروج الدم من الأنف أو الفم او أي مكان آخر.

---

(١) سورة المائدة الآية (٦).

الغسل:

موجباته:

١ ـ الحدث الأكبر وهو الجماع مع الانزال.
٢ ـ الحدث الأصغر وهو الاحتلام، إن كان لدى الرجل أو المرأة إرادياً أو غير إرادي.
٣ ـ التقاء الختانين ولو بدون إنزال.
٤ ـ الحيض لدى المرأة.
٥ ـ النفاس بعد الوضع.

ـ وليس في المذي وهو الرطوبة التي تحصل في عضو الرجل إذا اهتاج ولم يعقب ذلك جماع لأن هذا السائل إنما هو ترطيب للمجرى وتنظيف له من آثار البول ويجب فيه الوضوء.
ـ وكذلك الوذي وهو سائل سميك وهو عبارة عن عصارة غدة البروستات، إذ قد يخرج بسبب مرض ما أو بسبب الإمساك فيخرج أثناء التغوط وليس فيه غسل إنما وضوء.

سنن الغسل:

غسل الجمعة والعيدين ولو على طهارة اقتداء بالرسول الكريم ﷺ وصحبه رضي الله عنهم.

كيفية الغسل:

ـ فرض الغسل: المضمضة والاستنشاق وغسل سائر البدن مع نية الغسل للطهارة.

وسنة الغسل: أن يبدأ بغسل اليدين والفرج وإزالة آثار النجاسة إن كانت على البدن ثم الوضوء ما عدا غسل الرجلين، وبعدها إفاضة الماء على سائر الجسد من الرأس إلى أدنى ثلاث مرات ثم غسل الرجلين بعد التنحي عن مكان الغسل.

الماء الصالح للطهارة

- ماء الأنهار والبحار والماء الجاري في البيوت.

- ماء البرك ما لم يتغير لونه أو تصدر عنه رائحة منفرة أو تقع فيه نجاسة إلا إذا كان غديراً كبيراً إذا حُرِّك منه طرف لم يتحرك طرفه الآخر.

- ما لا يجوز الوضوء فيه: الماء إذا تغير لونه أو صار له ريح سيء وعصارة الشجر أو الثمر، أو الماء القليل إذا أصابته نجاسة.

- ماء البئر إذا مات فيه حيوان أو طير أو سقط فيه سؤر إنسان أو حيوان حتى ينزح منه ما يطهره ويزيل ريحه حسب حجم الساقط فيه.

التيمم:

- وهو جائز لمن لم يجد الماء أو كانت المسافة بينه وبين الماء تحتاج إلى وقت يجعل وقت الصلاة يفوت.

- أو كان يخشى عليه الماء لمرض في جلده.

- أو البرد الشديد الذي قد يؤذي فيه الماء ويخشى أن يقتله البرد.

الكيفية:

التيمم ضربتان: يمسح بإحداهما وجهه وبالأخرى يديه إلى المرفقين والتيمم من الجنابة والحدث سواء.

ما يجوز التيمم به:

الصعيد الطيب كالتراب والرمل والحجر والجص والكحل وما شابهه من صعيد طيب لا نجاسة فيه ولا ريح سيء له.

وينقض التيمم ما ينقض الوضوء.

الحيض:

ـ أقل الحيض ثلاثة أيام بلياليها وأكثره عشرة أيام بلياليها وما زاد أو نقص عن ذلك فهو استحاضة.

ـ الطهور منه يكون برؤية البياض الخالص ثم الاغتسال منه.

ـ والحيض يسقط عن الحائض الصلاة ولا تقضيها.

ـ يسقط عنها الصوم وتقضيه ويمنع الوطء.

ـ دم الاستحاضة حكمه حكم الرعاف من الأنف يجب الغسل والتطهر منه ولا يسقط الصلاة ولا الصوم ولا الوطء.

النفاس:

هو الدم الخارج عقب الولادة، والدم الذي تراه الحامل. وأقل النفاس لا حد له وأقصى حد له أربعون يوماً وما زاد على ذلك فهو استحاضة.

الطهارة الاستثنائية:

ـ الاستحاضة: وهي جريان الدم في غير وقت الحيض، أو استمراره لفترة طويلة، فالمرأة تمتنع فيه عن الصلاة مدة حيضها المعتادة فإن لم يكن لها مدة حيض معتادة وصارت في حالة المستحاضة منذ بلوغها فحيضها عشرة أيام من كل شهر.

وتطهر من الاستحاضة بالوضوء لكل وقت في وقته تصلي فيه ما شاءت فإذا مضى وقت الصلاة سقطت الطهارة ووجب عليها طهارة جديدة للوقت الجديد.

والرعاف الدائم من الأنف وسلس البول حكمه حكم الاستحاضة.

التطهير من النجاسة:

ـ تطهير النجاسة واجب من بدن المصلي وثوبه، ومكان صلاته وما يصلي عليه.

ـ تطهير النجاسة يكون بالماء وبكل مائع طاهر كالخل أو ماء الورد وماء الزهر.

- إذا أصابت النجاسة الأرض فجفت بالشمس وذهب أثرها جازت الصلاة بمكانها ولم يجز التيمم منها.

- كل ما ينقض الوضوء من بول وغائط ومني وودي ومذي هونجاسة ويجب إزالته وتطهيره.

٢ ـ إيجاب الصلاة
«الصلاة عمود الدين»

١ ـ أوقات الصلاة

الصبح: وهو وقت صلاة الصبح أو صلاة الفجر.

وابتداء وقتها بداية ظهور البياض في الأفق وهو ما يسمى الفجر الثاني.
وآخر وقتها قبيل طلوع الشمس.

الظهر: أول وقت الظهر إذا زالت الشمس أي مالت الظلال بعد تعامدها والتعامد تطابق كل شيء مع ظله.

وآخر وقت الظهر إذا صار ظل الشيء مثليه، عند أبي حنيفة. فمتى صار الظل مثليه دخل وقت العصر.

أما عند مالك فوقت الظهر من الزوال حتى يصير ظلك مثلك فإذا زاد عن ذلك دخل وقت العصر.

العصر: ابتداء وقت العصر إذا صار ظلك مثليك عند أبي حنيفة وإذا زاد عن مثلك عند مالك.

ونهاية وقت العصر إذا مالت الشمس نحو الغروب.

المغرب: ابتداء وقت المغرب إذا مالت الشمس نحو الغروب وظهرت حمرة الشفق.

ونهاية وقت المغرب إذا زال الشفق وحلّت العتمة.

العشاء: ابتداء وقت العشاء من حلول العتمة إلى ثلث الليل عند مالك، وعند أبي حنيفة إلى أن يحين موعد صلاة الصبح.

٢ - الأذان:

الأذان للصلوات الخمس والجمعة دون سواها من النوافل والتطوع.

صفة الأذان:

- قول: الله أكبر الله أكبر الخ... ويزيد في أذان الفجر بعد حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم.

- الإقامة: مثل الأذان عدا زيادة قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة بعد حي على الفلاح.

لا يؤذن للصلاة قبل حلول وقتها ولا بعد انقضائه.

٣- شروط ما قبل الصلاة:

أ - الطهارة من الأحداث والأنجاس بالغسل والوضوء.

ب - ستر العورة، والعورة من الرجل مما فوق السرة إلى ما دون الركبة والركبة من العورة. وبدن المرأة كله عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها.

جـ - من لم يجد ثوباً صلى عرياناً قاعداً يومىء بالركوع والسجود.

د - النية، أن ينوي الصلاة التي يريد أن يصليها إن كانت فرضاً فتحديده وإن كانت نافلة فنافلة وإن كانت سنة فسنة ولا يفصل بين النية والإحرام بعمل.

هـ - استقبال القبلة فإذا كان في مكان لا يعرف اتجاه القبلة فيه وليس فيه من يسأله اجتهد ولا إعادة عليه إن علم بعد ذلك.

٤ - صفة الصلاة:

فرائض الصلاة ستة.

أ ـ التحريمة وهي التكبير مع رفع اليدين حتى تحاذي شحمتي الأذنين.
ب ـ القيام وهو التوجه واقفاً نحو القبلة ولا يجوز القعود إلا لمن أجزاه الشرع ذلك لسبب لا طاقة له به ويعتمد بيده اليمنى على اليسرى تحت سرته.
جـ ـ القراءة وهي دعاء التوجه في الركعة الأولى فقط ويجزىء عنها التسبيح والمباركة والحمد والاستعاذة. ثم قراءة فاتحة الكتاب وسورة معها ويجزىء عن السورة ثلاث آيات من أي سورة أو آية طويلة كآية الكرسي وما زاد على ذلك فهو سنة.

د ـ الركوع: وهو الانحناء مع اسناد اليدين إلى الركبتين وقول سبحان ربي العظيم ثلاث مرات وما زاد على ذلك فهو سنة، ويعود منه إلى القيام قائلاً: سمع الله لمن حمده فإذا كان في جماعة أضاف بعد قول الإمام ذلك «ربنا لك الحمد» فإذا استوى قائماً كبّر.

هـ ـ السجود مرتان في كل ركعة قائلاً: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات وما زاد على ذلك فهو سنة فإذا قام من السجدة الأولى كبّر وعاد للسجدة الثانية.
و ـ التشهد: وهو إذا جلس من الركعة الثانية أن يقول: التحيات المباركات والصلوات الطيبات الزاكيات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(فإذا كانت الصلاة غير صلاة الصبح، قام وأدى الركعتين التاليتين حتى يعود إلى التشهد فيكرره ويكمله بالصلاة على الرسول والتسليم أو إذا كانت صلاة المغرب أكمل الركعة الثالثة وعاد إلى التشهد وأكمله بالصلاة على النبي والتسليم، أما في صلاة الصبح فيكمله مرة واحدة).

صفة الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (وما زاد على ذلك من الصلوات على الرسول ﷺ فهو سنة).

ثم يسلم إلى اليمين أولاً ثم إلى اليسار، السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله.

٥ ـ السنن والتطوع في الصلاة:

١ ـ الوتر: ثلاث ركعات لا يفصل بينها بسلام ويقنت في الثالثة قبيل الركوع.
٢ ـ تحية المسجد: ركعتان.
٣ ـ سنة الصبح: ركعتان قبل الفرض ومثلها بعده.
٤ ـ سنة الظهر والعصر: ركعتان أو أربع قبل الفرض وركعتان بعدها.
٥ ـ سنة المغرب: ركعتان أو أربع قبل الفرض وركعتان بعدها.
٦ ـ سنة العشاء: ركعتان أو أربع قبل الفرض والوتر بعده وما أحب بعد ذلك من قيام الليل.
٧ ـ الجماعة سنة مؤكدة وخصوصاً في صلاة الصبح والعشاء وفرض في الجمعة.
٨ ـ للدخول في صلاة الجماعة نيتان، نية الصلاة ونية المتابعة.
٩ ـ لا يقرأ المؤتم خلف الإمام بل يؤمن (يقول آمين بعد الفاتحة) والقراءة هي المذكورة في (جـ) في صفة الصلاة أما ما عداها فيؤديها كأنه يصلي وحده. وقد قال بعض الأئمة بوجوب قراءة الفاتحة والتأمين بعد الإمام ولا خلاف فيما عدا ذلك.
١٠ ـ أولى الناس بالإمامة أعلمهم بالسنة فإن تساووا فأقرؤهم فإن تساووا فأورعهم فإن تساووا فأسنهم، ولا تجوز إمامة من يكره الناس إمامته فإذا أجبرهم قبلت صلاتهم وردّت صلاته.

٦ ـ صفات الجماعة

ـ يكره تقديم العبد والإعرابي والفاسق والأعمى وولد الزنا فإن تقدموا جاز.
ـ يكره أن يطيل الإمام الصلاة حتى يتضايق الناس.
ـ يكره للنساء أن يصلين وحدهن جماعة فإذا فعلن وقفت الإمام منهن وسطهن.
ـ من صلى مع واحد أقامه عن يمينه فإن كانا اثنين تقدم بهما.

- لا يجوز للرجال أن يقتدوا بامرأة أو صبي. فإذا كانوا في موضع واحد، تقدم الرجال ثم الصبيان وخلفهم النساء.
- إذا قامت امرأة إلى جنب رجل في صلاة ففيها قولان: الحنفية تقول بفساد صلاته والشافعية بإجازتها، ولكن يستحب على كل حال أن تكون خلفه للزوم الخشوع وعدم الالتفات إليها عن قصد أو غير قصد.
- يكره خروج النساء للجماعة ولا بأس للعجوز في الفجر والمغرب والعشاء، أي في أوقات العتمة والغلس.
- لا يصلي الطاهر خلف من به سلس البول أو الرعاف.
- لا تصلي الطاهرة خلف من بها سلس البول أو الرعاف أو الاستحاضة.
- لا يصلي القائم خلف القاعد الذي لا يقدر على القيام. فإذا صلى الإمام قاعداً صلوا قعوداً خلفه لأن الإمام إنما جعل ليأتم الناس به كما جاء عن الرسول ﷺ.

- لا يصلي من يصلي الفرض خلف المتنفل أو المتطوع.
- لا يصلي من يصلي فرضاً حاضراً خلف من يصلي فرضاً آخر قضاء.
- يكره ترك اليد حرة تحرك الثوب أو تفرقع أو يلعب بأرض المسجد سواء كان مفروشاً أم غير مفروش.
- إذا رأى المتيمم الماء وهو يصلي بطلت صلاته ووجب عليه الوضوء وإعادة الصلاة.
- يبطل الصلاة ما يبطل الوضوء فيعيد الوضوء والصلاة فإن كان إماماً أخلف آخر مكانه وبنى على صلاته.
- لا تجوز الصلاة قبل دخول وقتها فإذا انقضى وقتها جاز أن يصليها قبل الفرض التالي إن لم يخف فوات وقت الفرض فإن خاف ذلك صلاها بعدها.

٧ـ سجود السهو:

سجود السهو واجب في الزيادة والنقصان بعد السلام ويسجد سجدتين ثم يتشهد ويسلم، فإن علم بسهوه وهو يصلي لما يتشهد بعد سجود السهو قبل التسليم.

٨ ـ سجود التلاوة:

وهي مواضع السجود في القرآن الكريم، إذا وصل إليها المسلم في قراءته وجب عليه السجود كما وجب على السامع أيضاً.

١ ـ آخر سورة الأعراف الآية (٢٠٦) وموضعها ﴿ ويسبحونه وله يسجدون ﴾.
٢ ـ سورة الرعد أول الآية (١٥) ﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرض ﴾.
٣ ـ سورة النحل أول الآية (٤٩) ﴿ ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض ﴾.
٤ ـ سورة الإسراء في الآية (١٠٧) عند ﴿ يخرون للأذقان سجداً ﴾.
٥ ـ سورة مريم آخر الآية (٥٨) عند ﴿خَرُّوا سُجَّداً وبُكياً﴾.
٦ ـ سورة الحج الآية (١٨) عند ﴿ يسجد له من في السماوات ومن في الأرض ﴾.
٧ ـ سورة الفرقان الآية (٦٠) عند ﴿ اسجدوا للرحمن ﴾.
٨ ـ سورة النمل أول الآية (٢٥) عند ﴿ألا يسجدوا لله﴾.
٩ ـ سورة السجدة في الآية (١٥) عند ﴿ خروا سجداً ﴾.
١٠ ـ سورة ص آخر الآية (٢٤) عند ﴿ وخر راكعاً وأناب ﴾ وهذه السجدة عند أبي حنيفة ومالك وليست عند سواهما.
١١ ـ سورة فصلت في الآية (٣٧) عند ﴿ واسجدوا لله ﴾.
١٢ ـ سورة النجم آخر الآية (٦٢) وهي آخر السورة عند ﴿ فاسجدوا لله ﴾ وهي سجدة لغير مالك فمالك لا يقول بها.
١٣ ـ سورة الانشقاق آخر الآية (٢١) ﴿ لا يسجدون ﴾ وهي سجدة لغير مالك.
١٤ ـ آخر سورة العلق الآية (١٩) عند ﴿ واسجد واقترب ﴾ وهي أيضاً سجدة لغير ذلك.

٩ ـ صلاة المسافر

تعريف السفر:

السفر الذي تتغير به الأحكام هو أن يقصد الإنسان موضعاً بينه وبين ذلك الموضع مسيرة ثلاثة أيام بلياليها بسير الإبل ومشي الاقدام ولا يعتبر ذلك بالسير في الماء.

فروض المسافر:

من خرج مسافراً فإذا فارق بيوت البلد حتى غابت عن عينيه، وهو مسافر حتى ينوي البقاء في بلد خمسة عشر يوماً فما فوق فإذا نوى ذلك، لم يعد مسافراً بل صار مقيماً عليه حكم المقيم، فإن لم ينو إنما أخَّرته أمور لا يعرف متى تنقضي كالتجارة والحرب وما شابه فلا عبرة بمدة البقاء فيبقى مسافراً ولو طالت إقامته لأنه لا يعلم متى السفر ونيته العودة في أقرب فرصة ممكنة ولو بعد يوم أو ساعة.

- فرض المسافر في كل صلاة من أربع ركعات ركعتان فإن صلّى أربعاً احتسبت له اثنتان نافلة.
- والسفر يبيح فطر رمضان والقضاء في أيام اخر يكون فيها مقيماً.
- والسفر يسقط الجمعة، إذ قد يكون في الطريق فإذا كان في بلدٍ مسلم يستحب صلاة الجمعة فيها.
- إذا صلى المسافر بالمقيمين ركعتين سلَّم ثم أتم المقيمون الصلاة ويستحب له أن يقول: «أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر».
- إذا دخل المسافر إلى بلده الأصلي وإن كان ينوي متابعة السفر وجب الاتمام.
- إذا دخل المسافر إلى بلده الأصلي وكان قد غادره منذ زمن واستوطن سفره ولا ينوي الإقامة فيه إنما مروره مرور المسافر، لم يتم.

١٠ ـ صلاة الجمعة:

لا تصح الجمعة ما دام في بلدٍ، سواء قرية أو مدينة إلا في الجامع أو المصلى ما دام فيهما إمام يؤم المصلين قد ارتضاه لهم القائم بأمور المسلمين في قطرهم.

شروطها:

- الوقت فتصح في صلاة الظهر ولا تصح في سواها.
- الخطبة قبل الصلاة.
- الجماعة وأقلهم عند أبي حنيفة ثلاثة عدا الإمام.
- يجهر الإمام بالقراءة في الركعتين.

- يؤمن المأمومون في فاتحة الكتاب بقول آمين إذا أنهاها الإمام.
- يقول المأمومون ربنا لك الحمد إذا قام الإمام من الركوع قائلاً سمع الله لمن حمده.
- من أدرك ركعة مع الإمام أتمها بركعة ثانية ومن أدرك أقل من ركعة صلى أربع ركعات فرض صلاة الظهر.
- لا كلام ولا صلاة أثناء خطبة الإمام. أما من دخل المسجد وقد بدأ الإمام الخطبة فيصلي ركعتين خفيفتين تحية المسجد.
- لا تجب صلاة الجمعة على المسافر والمريض إن لم يكن بإمكانه مغادرة فراشه والأعمى إذا لم يكن له من يقوده ويخشى السير بمفرده أما من اعتاد السير بمفرده فقد وجبت عليه ولمن له عذر قاهر يمنعه كأهل السجن.

١ - صلاة العيدين:

يستحب في عيد الفطر الأكل والاغتسال والتطيب قبل الخروج إلى الصلاة.

وفي صلاة الأضحى الاغتسال والتطيب قبل الخروج إلى الصلاة والأكل بعده.

ومن فاتته صلاة العيد لم يقضها ووقتها من ارتفاع الشمس إلى الظهر.

كيفيتها:
يصلي الإمام بالناس ركعتين، يكبر في الأولى تكبيرة الافتتاح وثلاثاً إلى سبع بعدها. ثم يقرأ فاتحة الكتاب وسورة معها ثم يكبر تكبيرة يركع بها ثم يبتدىء الركعة الثانية بالقراءة فإذا فرغ كبر ثلاث تكبيرات إلى خمس اتبعها تكبيرة يركع بها ويرفع يديه في تكبيرات العيدين ثم يخطب بعد الصلاة خطبتين.

١٢ - صلاة الكسوف:

ركعتان يصليهما الإمام بالناس كما في النوافل ويطول القراءة فيهما وبعدهما الدعاء. ولا خطبة فيها.

١٣ ـ صلاة الخسوف:

ليس في الخسوف جماعة وإنما يصلي كلٌ بمفرده وبعد ذلك الدعاء.

١٤ ـ صلاة الاستسقاء

عند أبو حنيفة لا جماعة فيها وعند أبو يوسف ومحمد فيها جماعة وخطبة. وإنما الاستسقاء على كل حال هو الدعاء والاستغفار.

١٥ ـ صلاة التراويح أو الترويحات

وهي عشر ركعات تصلى بعد العشاء في رمضان يصلي الإمام فيها بالناس خمس ترويحات في كل ترويحة تسليمتان ويجلس بين كل ترويحتين مقدار ترويحة واحدة.

وبعد التراويح يُصلى بهم الوتر ولا يُصلى الوتر في جماعة إلا في رمضان.

١٦ ـ صلاة الخوف:

إذا اشتد الخوف في حرب أو غزو أو ما شابه صلى الإمام بالناس جماعتان، جماعة تصلي مع الإمام وجماعة تحرس ركعة وسجدتين ثم تقوم الجماعة الأولى إلى الحراسة وتصلي من حرست ركعة وسجدتين. ثم تعود الأولى إلى الصلاة وتكمل وتسلم وتقوم إلى الحراسة وتأتي الثانية فتكمل وتسلم.

١٧ ـ صلاة الجنازة:

يصليها الإمام بالناس والجنازة أمامهم قياماً.

- يكبر تكبيرة ثم يحمد الله عقبها.
يكبر تكبيرة ثانية ويصلي على النبي ﷺ.
- يكبر تكبيرة ثالثة ويدعو فيها لنفسه وللميت والمسلمين.
- يكبر تكبيرة رابعة ويسلم.

١٨ ـ الشهيد:

من قتله البغاة أو قطاع الطرق أو أعداء الإسلام، لم يغسل ولم تنزع عنه ثيابه إلا الفرو والحشو والخف والسلاح ولا يُصلى عليه.

أما إذا أصيب ومر عليه وقت صلاة حياً ومات بعد ذلك وجب الغسل.

١٩ ـ الموت بحدٍ أو قصاص

ومن قتل في حدٍ أو قصاص غسل وصلي عليه صلاة الجنازة.

٣ ـ إيجاب الزكاة

الزكاة ركن من أركان الإسلام من أبطله أو رفض القيام به، فقد نقص إيمانه وأزال ركناً من أركان دينه.

تعريف:

الزكاة واجبة على الحر المسلم البالغ العاقل، إذا ملك نصاباً تاماً والنصاب هو المقدار الذي تجب فيه الزكاة، ومر عليه العام. فليس على الصبي ولا المجنون زكاة كما ليس على المديون الذي يتجاوز دينه ما لديه زكاة أما إذا كان ماله أكثر من الدين زكّى عن الفرق بينهما إذا بلغ النصاب.

ما ليس فيه زكاة:

١ ـ لا زكاة في دور السكن، إذا كانت لسكناه هو وعائلته وليست للإيجار إذ بذاك تصير عقاراً.

٢ ـ لا زكاة في ثياب البدن إذا كانت للباسه هو وأهله فإن لم تكن لذلك كانت بضاعة ومالاً ووجبت فيها الزكاة.

٣ ـ لا زكاة في أثاث المنازل إذا كانت لداره واستعماله أما إذا كانت للبيع صارت مالاً ووجبت فيها الزكاة.
٤ ـ لا زكاة في دواب الركوب وما شابهها في هذه الأيام وحل محلها إذا كانت لاستعماله الشخصي له ولأهل بيته فإن كانت للعمل أو التجارة أو البيع والشراء صارت مالاً ووجبت فيها الزكاة.
٥ ـ سلاح الاستعمال للدفاع عن نفسه أو الجهاد في سبيل الله لا زكاة فيه أما إذا كان للتجارة والبيع وجبت فيه الزكاة إذ صار مالاً ومصدر رزق.

النية:

النية فرض في الزكاة فلا يجوز إداءها إلا بنية مقارنة للأداء أو مقارنة لعزل مقدار الواجب ولو تبرع بكل ماله دون نية الزكاة لم تسقط عنه الزكاة واعتبر ما فعله صدقة وإحساناً.

نصاب الزكاة ومقداره:

ونبدأه بأذن الله في المواشي من الإبل والبقر والشياه إلخ...

زكاة الإبل:

- ليس في أقل من خمسٍ زكاة.
- من خمسةٍ إلى تسعة: فيها شاة.
- من عشرة إلى أربع عشره: فيها شاتان.
- من خمس عشرة إلى تسع عشرة: فيها ثلاث شياه.
- من عشرين إلى أربع وعشرين: فيها أربع شياه.
- من خمس وعشرين إلى خمس وثلاثين: فيها بنت مخاض[1].
- من ست وثلاثين إلى خمس وأربعين: فيها بنت لبون[2].

---

(١) ناقة حديثة الولادة.

(٢) ناقة في سن الرضاعة أي لم تكمل عامها الأول.

- من ست وأربعين إلى ستين: فيها حقة[3].
- من واحد وستين إلى خمس وسبعين: فيها جذعة[4].
- من ست وسبعين إلى تسعين: فيها بنتا لبون.
- من واحد وتسعين إلى مائة وعشرين: فيها حقتان. وما زاد على ذلك نعود من البداية فيكون في الخمس شاة إضافة إلى الحقتان وفي العشر شاتان إضافة إلى الحقتان وهكذا دواليك.

زكاة البقر:

ليس في أقل من ثلاثين بقرة زكاة.

فإن كانت ثلاثين: فيها عجل أو عجلة (تبيع أو تبيعة).

في أربعين: بقرة أو ثور.

فإذا زادت زادت الزكاة بنفس النسبة وقال أبو يوسف ومحمد لا شيء في الزيادة حتى الستين ففي الستين تبيعان أو تبيعتان (أي عجلان أو عجلتان).

زكاة الغنم:

ليس في أقل من أربعين شاة سائحة حال عليها العام زكاة.
- من أربعين إلى مائة وعشرين: فيها شاة.
- من مائة وواحد وعشرين إلى مائتين: فيها شاتان.
- من مائتين وواحد إلى ثلاثمائة: فيها ثلاث شياه.

وهكذا دواليك في كل مائة أو كسرها شاة. والضأن والماعز سواء.

زكاة الخيل:

إذا كانت الخيل سائحة ترعى فصاحبها له حق الإختيار يدفع عن كل فرس منها ديناراً وإن شاء قوّمها فيدفع عن كل مائتي درهم خمسة دراهم أي

---

(٣) الحقة: الناقة التي جاوزت سن الحمل.

(٤) الجذعة: الناقة في عامها الرابع.

٢,٥٪ من القيمة ـ وليس في الذكور منفردة لا إناث معها زكاة.

والبغال والحمير، إذا كانت معدة للبيع نفس المقدار. وإلا لا زكاة عليها.

زكاة الفضة:

ليس فيما دون مائتي درهم زكاة، فإذا كانت مائتي درهم ومر عليها العام كان فيها خمس دراهم أي كما سبق وذكرنا إثنان ونصف بالمائة ٢,٥٪.

وكل ما هو مال أو يستعل كالمال أو يقوم بالمال عدا ما سبق أن ذكرنا فهو كذلك ٢,٥٪ وحدُّه حد الفضة.

زكاة الذهب:

ليس فيما دون عشرين مثقالاً من الذهب زكاة، فإذا كان عشرين مثقالاً ومر عليه العام وجبت فيه الزكاة إثنان ونصف بالمائة ٢,٥٪.

وكل ما هو مصنوع من الفضة أو الذهب ففيه نفس الحد. ونفس النصاب.

زكاة الزروع والثمار:

زكاة الزروع ما يحفظ منها من العام إلى العام كالحبوب من القمح والشعير والعدس والحمص والفول وما شابه ذلك كالزيتون حبه وزيته سواء كان مروياً أو بعلاً فهو العشر أي ١٠٪.

ـ الخضار والثمار التي لا تحفظ فإذا حفظت تلفت ففيها نصف العشر أي ٥٪.

ـ لا زكاة في القصب والحشيش والعشب إذا كان متروكاً، أما إذا زرع للبيع وسوِّر بحيث لا يستفيد منه إلا صاحبه وجبت فيه الزكاة في أخضره نصف العشر وفي يابسه المعدّ للخزن، العشر وحدّ نصابه كله إن كان حباً أو خضاراً أو ثماراً بالقياس حد كفاية أهله لطعامهم وما زاد على ذلك وجبت فيه الزكاة.

صدقة الفطر:

وتسمى أيضاً زكاة الفطر أو الفطرة. وهي واجبة على الحر المسلم إذا كان مالكاً لمقدار النصاب زيادة على مسكنه وثيابه وأثاثه وفرسه وسلاحه وعبيد الخدمة يخرجه عن نفسه وأولاده الصغار ومماليكه ولا يؤديه عن أولاده الكبار وإن كانوا في داره إذ عليهم أداؤها عن أنفسهم.

مقداره:

الفطرة نصف صاع من القمح أو صاع من تمر أو زبيب أو شعير أو ما يعادله بالقيمة.

موعد أدائها ووجوبها:

تجب الفطرة متى طلعت شمس صباح عيد الفطر، فإن مات قبل ذلك لم تجب عليه فطرة وإن أسلم أو ولد بعد ذلك لم تجب أيضاً عليه فطرة. ويجب أداؤ ها صباح عيد الفطر وتأخير أدائها لا يسقطها.

٤ ـ إيجاب الصوم

الصوم ركن هام من أركان الإسلام الخمسة وقد فرضه الله على عباده في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات.

فمن أفطر عامداً متعمداً منكراً لوجوبه كان ناقص الإيمان قد أسقط ركناً من أركان دينه وصار في جملة المنافقين.

فرضه:

فرضه الله تعالى على عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياماً معدوداتٍ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدة من أيامٍ أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكينٍ فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾[1].

---

(١) سورة البقرة الآيتان (١٨٣ ـ ١٨٤).

وقد كرم الله شهر رمضان بأن أنزل فيه القرآن الكريم ﴿ شهر رمضان الذي أنزلَ فيه القرآن هدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾[٢].

تعـريـف:

الصوم لغة الإمساك مطلقاً وشرعاً الإمساك عن المفطرات حقيقة من طعام أو شراب يدخل الجوف وحكمـاً كالوطء ومقدماته.

وهو نوعان واجب وهو صوم رمضان.

وتطوع كصيام نصف شعبان ويوم عاشوراء وصيام الإثنين والخميس او صيام النذر. ونية الصوم تجوز بالتلفظ بها وبنيتها في القلب.

وقته:

ووقت الصيام المفروض وهو شهر رمضان يبدأ من أول أيامه إلى مساء آخرها (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته). وينبغي للناس أن يلتمسوا الهلال في اليوم التاسع والعشرين من شعبان فإذاغُمَّ عليهم أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً ثم صاموا فإن كان في السماء علة من غيم أو سواه قبلت شهادة الفرد العدل لرؤياه فإن لم يكن كذلك لم تقبل شهادة الفرد الواحد واقتضى رؤية أكثر من شخص للهلال.

- ووقت الصيّام من طلوع الفجر عندما يتبين الخيط الأبيض من الأسود من الفجر إلى غروب الشمس.

الكيفية:

الصوم هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع نهاراً ضمن الوقت الذي سبق ذكره مع النيّة.

---

(٢) سورة البقرة من الآية (١٨٥).

فإذا أتى الإنسان أمراً من هذه الأمور ناسياً غير قاصد للإفطار، لم يفطر.

ما لا يفطر الإنسان:

- إذا نام فاحتلم.
- إذا نظر إلى إمرأة فأنزل.
- إذا فجاه القيء ولم يستطع له رداً.
- إذا أكل أو شرب ناسياً.
- إذا قبّل آمناً على نفسه من الانزال، في الخد على ألا يدخل جوفه شيء من عطر أو طيب أو دهن إلخ. . .

ما يجيز الإفطار:

- الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وقضتا ولا فدية عليهما.
- الشيخ العجوز الفاني الذي لا يقدر على الصيام يفطر ويطعم لكل يوم مسكيناً.
- المريض إذا خيف عليه أو لم يستطع أفطر وقضى.
- المسافر يفطر ويقضي لترخيص الله له وللمريض.
- من مات وعليه قضاء رمضان فأوصى به أطعم عنه وليه لكل يوم مسكيناً جاز. ويجوز أن يصوم عنه وليه.
- من أغمي عليه في رمضان لم يقض اليوم الذي حدث فيه الإغماء وقضى ما بعده.

الفطر:

ينظر الهلال في اليوم التاسع والعشرين من رمضان، فإذا رآه أكثر من شخص وجب الإفطار ويكون تاليه عيد الفطر فإذا غم ولم يظهر لأي سبب من الأسباب، أتموا الصيام ثلاثين يوماً، والرسول (ص) صام عاماً واحداً ثلاثين يوماً وصام باقي سنيه تسع وعشرون.

الكفارة:

إطعام مسكين عن كل يوم إفطار مع قضائه. لمن أفطر دون عذر أو بدون رخصة الله تعالى له كالمسافر والمريض، أما هذان فعليهما القضاء فقط.

الفطرة:

وهي زكاة رمضان أو زكاة الفطر، وقد سبق شرحها في باب الزكاة.

٥ - إيجاب الحج

نختم به العبادات الخالصة اقتداء بحديث الرسول ﷺ: «بني الإسلام على خمس».

وقال تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين في كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطَّوَّفوا بالبيت العتيق﴾[1].

صدق الله العظيم

وحج البيت فرض على من استطاع إليه سبيلاً.

فرض الحج:

الحج واجب على المسلم البالغ العاقل الصحيح إذا قدر على الزاد

---

(١) سورة الحج الآيات (٢٧ - ٢٩).

والراحلة فاضلاً عن مسكنه وما لا بد منه وعن نفقة عياله إلى حين عودته وكان الطريق آمناً.

ويعتبر في المرأة أن يكون لها محرم يحج بها أو زوج. ولا يجوز لها أن تحج بغيرهما إذا كان بينها وبين مكة مسيرة ثلاثة أيام بلياليها.

مواقيت الإحرام

المواقيت التي لا يجوز أن يتجاوزها الإنسان إلا محرماً:

لأهل المدينة ذو الحليفة.
لأهل العراق ذات عرق.
لأهل الشام الجحفة.
لأهل نجد قرن المنازل.
لأهل اليمن يلملم.

فإن قدم الإحرام على هذه المواقيت جاز، أما من كان منزله بعد المواقيت فميقاته الحلُ ومن كان بمكة فميقاته في الحج الحرم وفي العمرة الحل.

والآن مع تقدم وسائط النقل والطيران يحرم الإنسان من بلده لأن وصوله إلى الحج لا يستغرق أكثر من ساعات ولجواز الإحرام قبل المواقيت.

كيفية الإحرام

إذا أراد المسلم الإحرام اغتسل وتوضأ، والغسل أفضل، ولبس ثوبين جديدين أو غسيلين إزاراً ورداءً، وصلى ركعتين وقال: «اللهم إني أريد الحج فيسره لي وتقبله مني» ثم يلبي عقب صلاته فإن كان مفرداً بالحج نوى بتلبيته الحج.

والتلبية قول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». ولا يجوز الإخلال بهذه الكلمات ويجوز الزيادة عليها. فمتى لبى أحرم. ومتى أحرم فليتق الله من الرفث والفسوق

والجدال، ولا يقتل صيداً ولا يشير إليه، ولا يدل عليه ولا يلبس قميصاً ولا سراويل ولا عمامة ولا قبعة ولا قباء ولا خفين إلا أن لا يجد النعلين فيقطع أسفل كعبي ما يحتذيه. ولا يغطي رأسه ولا وجهه ولا يمس طيباً ولا يحلق رأسه ولا شعر بدنه ولا يقص من لحيته ولا من ظفره ولا يلبس ثوباً مصبوغاً ويكثر من التلبية عقب الصلوات.

ولا بأس بالاغتسال ودخول الحمام.

المناسك

طواف القدوم

إذا دخل مكة ابتدأ بالمسجد الحرام فإذا رأى البيت، كبر وهلل ثم ابتدأ بالحجر الأسود فاستقبله وكبر ورفع يديه واستلمه وقبّله إن استطاع من غير أن يؤذي مسلماً، ثم أخذ عن يمينه مما يلي الباب وقد اضطبع رداءه قبل ذلك. ثم يطوف بالبيت سبعة أشواط، ويجعل طوافه من وراء الحطيم، ويرمل في الأشواط الثلاثة الأولى ويمشي فيما بقي على هيئته، ويستلم الحجر كلما مر به إن استطاع ويختم الطواف بالاستلام ثم يأتي المقام فيصلي عنده ركعتين أو حيث تيسر له من المسجد.

وطواف القدوم سنة وليس فرضاً.

السعي:

بعد انتهاء طواف القدوم يخرج من باب بني مخزوم، تيمناً بالرسول ﷺ، وهو المعروف بباب الصفا، فيصعد إلى الصفا ويستقبل البيت ويكبر ويهلل، ويصلي على النبي ﷺ ويدعو الله تعالى بحاجته ثم ينزل إلى المروة ويمشي على مهل فإذا بلغ بطن الوادي سعى بين الجبلين الأخضرين سبعاً حتى يأتي المروة ويصعد عليها ويفعل كما فعل على الصفا وهذا كله شوط وهكذا يتمها سبعة أشواط يبدأ بالصفا ويختم بالمروة.

ثم يقيم بمكة حراماً يطوف بالبيت كلما أحب ذلك فإذا كان قبل يوم

التروية بيوم خطب الإمام خطبة[2] يعلم الناس فيها بالخروج إلى منى والصلاة بعرفة والوقوف والإفاضة.

وإذا صلى الفجر يوم التروية بمكة خرج إلى منى فأقام بها.

الوقوف بعرفة

يوم عرفة، يصلي الفجر ثم يتوجه إلى عرفات فيقيم بها فإذا زالت الشمس، صلى الإمام[3] بالناس الظهر والعصر، يبتدىء فيخطب خطبة يعلم الناس فيها الوقوف بعرفة والمزدلفة ورمي الجمار والنحر وطواف الزيارة، ويصلي بهم الظهر والعصر، في وقت الظهر بأذان وإقامتين، ومن صلى في رحله وحده صلى كل واحدة منهما في وقتها (عند أبي حنيفة) (وقال أبو يوسف ومحمد يجمع بينهما المنفرد) ثم يتوجه إلى الموقف، وعرفات كلها موقف إلا بطن عرفة فيقف الإمام (المطوف) ويدعو ويعلم الناس المناسك ويستحب الاغتسال قبل الوقوف والاجتهاد في الدعاء.

الإفاضة

وعند الغروب يفيض الإمام والناس معه حتى يأتوا المزدلفة فينزلوا بها.

ويصلي الإمام بالناس المغرب والعشاء بأذان وإقامة. فإذا طلع الفجر صلى بالناس صلاة الصبح بغلسٍ[4]، ثم وقف والناس معه ودعا .

رمي الجمار

والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر، ثم أفاض الإمام والناس معه قبل طلوع الشمس حتى يأتوا منى فيبتدىء بجمرة العقبة فيرميها من بطن الوادي بسبع حصيات مثل حصى الحذف ويكبر مع كل حصاة ولا يقف عندها، ويقطعُ التلبية مع أول حصاة.

---

(٢) هذه أولى خطب الحج والثانية بعرفة والثالثة بمنى يوم الحادي عشر من ذي الحجة.

(٣) الإمام لكثرة الناس حتى بلغوا الملايين هو مُطَوِّفُ كلِ جماعة على حدة.

(٤) قبيل انجلاء العتمة تماماً.

ذبح الأضاحي (يوم النحر)

ثم يذبح إن كان بإمكانه وإلا صام ثلاثة أيام في الحج وسبع متى رجع إلى أهله، ثم يحلق أو يقصّر والحلق أفضل، وقد حلَّ له كل شيء إلا النساء.

طواف الزيارة

ثم يأتي مكة فيطوف بالبيت طواف الزيارة سبعة أشواط، فإن كان سعى بين الصفا والمروة عقب طواف القدوم لم يرمل في هذا الطواف ولا سعي عليه وإلا رمل وسعى.

وهذا هو الطواف المفروض في الحج ويكره تأخيره.

رمي الجمار

ثم يعود إلى منى فيقيم بها فإذا زالت الشمس من اليوم الثاني من النحر فيرمي الجمار الثلاث يبتدىء بالتي تلي المسجد فيرميها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف ويدعو عندها. ثم يرمي التي تليها مثل ذلك ويقف عندها ثم جمرة العقبة ولا يقف عندها.

فإذا كان الغد رمى الجمار الثلاث الأخيرة بعد زوال الشمس.

فإذا أراد أن يتعجل النفر نفر إلى مكة، وإن أراد أن يقيم رمى الجمار الثلاث في اليوم الرابع بعد زوال الشمس، فإن قدم الرمي في هذا اليوم قبل الزوال بعد طلوع الفجر (جاز ذلك عند أبي حنيفة).

فإذا نفر إلى مكة نزل بالمحصَّب[٤] ثم طاف بالبيت سبعة أشواط لا يرمل فيها وهذا طواف الصدر.

---

(٤) إسم موضع قرب مكة. كان الرسول ﷺ ينزل فيه.

طواف الصدر

واجب ما عدا عند الشافعية فهو سنة كطواف القدوم. ثم يعود إلى أهله وبلده.

- من لم يدخل مكة عند وصوله بل توجه مباشرة إلى عرفة سقط عنه طواف القدوم ولا شيء عليه لتركه.

- من أدرك الوقوف بعرفة ما بين زوال الشمس من يوم عرفة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فقد أدرك الحج.

- من اجتاز بعرفة وهو نائم أو مغمى عليه أو لم يعلم أنها عرفة أجزأه ذلك عن الوقوف.

المرأة في الحج

المرأة في جميع ما ذكر كالرجل غير أنها لا تكشف رأسها وتكشف وجهها.

- لا ترفع صوتها بالتلبية.
- لا ترمل في الطواف.
- لا تسعى بين الميلين.
- لا تحلق رأسها لكنها تقصِّر.

وإذا حاضت المرأة عند الإحرام اغتسلت وأحرمت وصنعت كما يصنعه الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر وإن حاضت بعد الوقوف وطواف الزيارة انصرفت من مكة ولا شيء عليها لترك طواف الصدر.

القِـــران:

وهو أن يهل بالحج والعمرة معاً من الميقات فيقول عقب صلاته: «اللهم إني أريد الحج والعمرة فيسرهما لي وتقبلهما مني».

فإذا دخل مكة ابتدأ فطاف بالبيت سبعة أشواط يرمل في الثلاث الأول منها ويسعى بين الصفا والمروة.

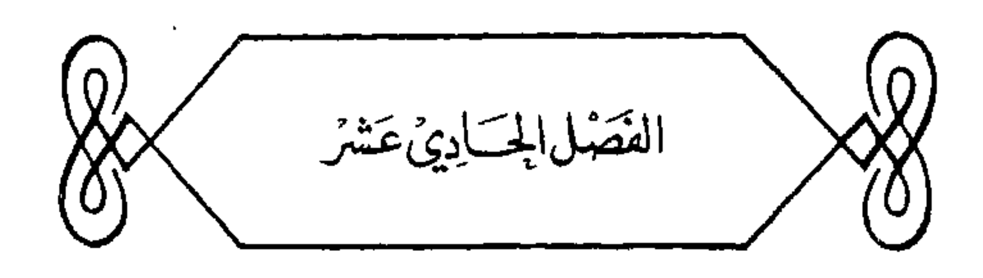
وهذه أفعال العمرة ثم يطوف بعد السعي طواف القدوم ويسعى بين الصفا والمروة كما المفرد فإذا رمى الجمرة يوم النحر ذبح شاة أو بقرة أو بدنة أو سبع بدنة فهذا دم القران، فإن لم يكن له ما يذبح صام ثلاثة أيام في الحج وآخرها يوم عرفة، فإن فاته الصوم حتى جاء يوم النحر لم يجزه إلا الدم، ثم يصوم سبعة أيام إذا رجع إلى أهله. وإن صامها بمكة بعد فراغه من الحج جاز له ذلك.

وإن لم يدخل القارن مكة وتوجه إلى عرفات فقد صار رافضاً لعمرته بالوقوف، ويطل عنه دم القران وعليه دم لرفضه عمرته وعليه قضاؤها.

التمتع

والمتمتع على وجهين: متمتع يسوق الهدي ومتمتع لا يسوق الهدي.

وصفة التمتع أن يبتدىء من الميقات فيحرم بعمرة ويدخل مكة فيطوف بها ويسعى ويحلق أو يقصر، وقد حل من عمرته ويقطع التلبية إذا ابتدأ بالطواف ويقيم بمكة حلالاً، فإذا كان يوم التروية أحرم بالحج من المسجد، وفعل ما فعله الحاج المفرد وعليه دم التمتع فإن لم يجد صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع.



إيجاب الفرائض

أصحاب الفرائض:

الذكور : المجمع على توريثهم من الذكور عشرة أصلاً وزال منهم واحدٌ بزوال العبودية والعتق فبقي تسعة وهم: الإبن وابن الأبن وإن سفل والأب والجد أب الأب وإن علا والأخ وابن الأخ والعم وابن العم والزوج (وكان عاشرهم مولى النعمة).

الإناث : المجمع على توريثهم من الإناث سبع زالت سابعتهم بزوال العبودية والعتق فبقي ست وهن: البنت وبنت الابن والأم والجدة والأخت والزوجة (وكانت سابعتهم مولاة النعمة).

الذين لا يرثون:

المملوك والقاتل من المقتول والمرتد وأهل الملتين. فلا يرث المشرك مسلماً ولا يرث المسلم مشركاً، ولا يرث المسلم من كان غير مسلم من أهل الكتاب ولا يرثه غير المسلم.

الفروض المحدودة:

النصف : وهو فرض خمسة: فرض البنت إذا كانت وحيدة ولا صبي معها وبنت الإبن إذا لم توجد بنت الصلب والأخت الشقيقة[1] والأخت لأب إن لم توجد الشقيقة والزوج إذا لم يكن للزوجة الميت ابن ولا إبن ابن.

الربع : فرض الزوج مع الإبن أو إبن الإبن والزوجات إذا لم يكن للميت إبن ولا ابن لإبن.

الثمن : فرض الزوجات مع الولد: الإبن وابن الإبن.

الثلثان : لكل اثنين فصاعداً ممن فرضه النصف إلا الزوجة.

الثلث : للأم إذا لم يكن للميت ولد ولا ولد ابن ولا إثنان من الإخوة والأخوات فصاعداً، ويفرض لها في مسألتين:

١) زوج وأبوان.
٢) إمرأة وأبوان، بعد فرض الزوج أو الزوجة وهو لكل اثنين فصاعداً من ولد الأم ذكورهم وإناثهم فيه سواء .

السدس : فرض سبعة:
- لكل واحد من الأبوين مع الولد أو ولد الإبن.
- للأم مع الإخوة والأخوات.
- للجدات والجد مع الولد أو ولد الولد.
- لبنات الإبن مع البنت.
- للأخوات لأب مع الأخت الشقيقة.
- للواحد من ولد الأم.

---

(١) الشقيقة: الأخت لأب وأم.
والشقيق: الأخ لأب وأم.

سقوط الفروض

- تسقط الجدات بالأم.
- يسقط الجد والإخوة والأخوات بالأب.
- يسقط ولد الأم، بالولد وولد الولد والأب والجد.
- إذا استكمل البنات الثلثين سقطت بنات الإبن إلا أن يكون بإزائهن أو أسفل منهن ابن ابن فيعصبهن.
- إذا استكمل الأخوات الشقيقات الثلثين سقطت الأخوات لأب إلا أن يكون معهن أخ لهن فيعصبهن.

أقرب العصبات

أقرب العصبات البنون ثم بنوهم ثم الأب ثم الجد ثم بنو الأب وهم الإخوة ثم بنو الجد وهم الأعمام ثم بنو أب الجد وإذا استوى بنو أب في الدرجة فأولاهم من كان لأب وأم.

والإبن وابن الإبن والإخوة يقاسمون أخواتهم للذكر مثل الأنثيين ومن عداهم من العصبات ينفرد بالميراث ذكورهم دون أناثهم.

الحجب

- تحجب الأم من الثلث إلى السدس بالولد أو بأخوين.
- الفاضل عن فرض البنات لبني الإبن وأخواتهم للذكر مثل حظ الأنثيين.

- وإذا ترك بنتاً وبنات ابن وبني إبن فللبنت النصف، والباقي لبني الإبن وأخواتهم للذكر مثل حظ الأنثيين وكذلك الفاضل عن فرض الأخت من الأب والأم لبني الأب وبنات الأب الذكر مثل حظ الأنثيين.

- من ترك ابني عم أحدهما أخ لأم فللأخ للأم السدس والباقي بينهما.
- المُشَرَّكَةُ: أن تترك المرأة زوجاً وأماً أو جدة وأختين من أم وأخاً شقيقاً

لأب وأم فللزوج النصف وللأم السدس ولولد الأم الثلث ولا شيء للإخوة من الأب والأم.

الرد:

الفاضل عن فرض ذوي السهام إذا لم يكن عصبة مردود عليهم بمقدار سهامهم إلا على الزوجين.

مسائل مختلفة:

- إذا غرق جماعة أو سقط عليهم حائط فلم يعلم من مات منهم أولاً فمال كل واحد منهم للأحياء من ورثته.

- عصبة ولد الزنا وولد الملاعنة مولى أمهما.

- ومن مات وترك حملاً وقف ماله حتى تضع امرأته حملها (قول أبي حنيفة).

- الجد أولى بالميراث من الأخوة (عند أبي حنيفة) ويقاسمهم (عند أبو يوسف ومحمد) إلا أن تنقصه المقاسمة من الثلث.

- إذا اجتمعت الجدات السدس لأقربهن.
- يحجب الجد أمه.
- لا ترث أم أبي الأم بسهم.
- كل جدة تحجب أمها.

ذوي الأرحام:

إذا لم يكن للميت عصبة ولا ذو سهم ورثه ذوو أرحامه. وهم عشرة:

ولد البنت، وولد الأخت، وإبنة الأخ، وإبنة العم والخال والخالة وأب الأم والعم من الأم والعمة، وولد الأخ من الأم ومن أولى بهم.

وأولاهم ولد الميت أي أولاد إبنته.

ثم ولد الأبوين أو أحدهما وهم: بنات الأخوة وأولاد الأخوات.

ثم ولد أبوي أبويه أو أحدهما، وهم الأخوال والخالات والعمات.

- إذا استوى ولد أب في درجة فأحقهم من أدلى بوارث وأقربهم احق من أبعدهم.

وذلك كبنت بنت البنت وبنت بنت الإبن فالمال هنا لبنت بنت الإبن لأنها أقرب وإن أدلى بوارث وذلك كبنت العمة وبنت ابن العم لأبوين أو لأب فالحق هنا لبنت العمة.

- وأب الأم وإن علا أولى من ولد الأخ والأخت لأم اعتباراً بالعصبات (هذا عند أبي حنيفة وفي هذه المسألة خلاف).

حساب الفرائض:

- إذا كان في المسألة نصف ونصف فاصلها من اثنين أي لكل واحد سهم والكل سهمان.

- إذا كان في المسألة نصف وما بقي فأصلها من إثنين أي لذي النصف سهم والباقي لهم.

- إذا كان في المسألة ثلث وما بقي فأصلها ثلاثة الثلث سهم والباقي سهمان.

- إذا كان في المسألة ثلثان وما بقي فأصلها ثلاثة الثلثان سهمان والباقي سهم.

- إذا كان في المسألة ربع وما بقي فاصلها من أربعة الربع سهم والباقي ثلاثة سهام.

- إذا كان في المسألة ربع ونصف فاصلها من أربعة الربع سهم والنصف سهمان والباقي سهم.

ـ إذا كان في المسألة ثمن وما بقي فأصلها من ثمانية، الثمن سهم والباقي سبعة.

ـ إذا كان في المسألة ثمن ونصف فأصلها من ثمانية، الثمن سهم والنصف أربع سهام والباقي ثلاثة سهام.

ـ وإذا كان في المسألة ثمن وربع وما بقي فأصلها من ثمانية، الثمن سهم والربع سهمان والباقي خمسة سهام.

ـ إذا كان في المسألة ثمن ونصف وربع، فأصلها من ثمانية، الثمن سهم والنصف أربعة سهام والربع سهمان والباقي سهم واحد.

ـ إذا كان في المسألة سدس وما بقي فأصلها من ستة. السدس سهم والباقي خمسة سهام.

ـ إذا كان في المسألة سدس ونصف فأصلها من ستة، فالسدس سهم والنصف ثلاثة والباقي سهمان.

ـ إذا كان في المسألة نصف وثلث وسدس فأصلها من ستة، السدس سهم والثلث سهمان والنصف ثلاثة سهام.

وتعول إلى سبعة وثمانية وتسعة عشرة.

ـ إذا كان مع الربع ثلث أو سدس فأصلها من إثني عشر.

لأن القاسم المشترك بين مخارج هذه الكسور إثني عشر فالربع ثلاثة سهام والثلث أربعة سهام والسدس سهمان.

ـ إذا كان مع الثمن سدس فأصلها من أربع وعشرين، الثمن ثلاث سهام والسدس أربع سهام والباقي سبعة عشر سهماً تقسم على الورثة فإن لم تقسم تضرب بعددهم ثم تقسم عليهم.

فإذا ترك الميت أماً وزوجة وثلاثة أبناء وبنتان.

فللأم أربعة أنصبة وللزوجة ثلاثة أنصبة والباقي سبعة عشر سهماً والأبناء والبنات ثماني حصص فيضرب

١٣٦ = ٨ × ١٧
يضاف إليها حصة الأم ٤ × ٨ = ٣٢
يضاف إليها حصة الزوجة ٣ × ٨ = ٢٤

فيكون مجموع الأسهم = ١٩٢ سهماً.
للأم ٣٢ سهماً.
للزوجة ٢٤ سهماً.
للصبي ٣٤ سهماً
للبنت ١٧ سهماً.

كما يمكن حساب المسألة بشكل آخر بأن نأخذ القاسم الأكبر بدل القاسم الأصغر:

الأم: $\frac{١}{٦}$
والزوجة $\frac{١}{٨}$ فيكون القاسم الأكبر المشترك ٦ × ٨ = ٤٨.
فيكون للأم ٨ من أصل ٤٨.
وللزوجة ٦ من أصل ٤٨.
والباقي ٣٤.

تضرب بالحصص الكاملة البنت نصف حصة والأبن حصة فيكون المجموع

٤ حصص ٣٤ × ٤ = ١٣٦
الأم ٨ × ٤ = ٣٢
الزوجة ٦ × ٤ = ٢٤
١٩٢

فيكون للأم ٣٢ سهماً من ١٩٢ سهماً.
وللزوجة ٢٤ سهماً من ١٩٢ سهماً.
ولكل ابن $\frac{١٣٦}{٤}$ = ٣٤ سهماً من ١٩٢ سهماً.

ولكل بنت $\frac{١٣٦}{٢\times٤}$ أو $\frac{٣٤}{٢}$ = ١٧ سهماً من ١٩٢ سهماً.

كما يمكن حل الإشكال بشكل أبسط.

فاصل المسألة كما ذكرنا ٢٤ نضربه بعددهم ثمانية حصص

٢٤ × ٨ = ١٩٢ سهماً.

حصة الأم $\frac{١٩٢}{٦}$ = ٣٢ سهماً.

حصة الزوجة $\frac{١٩٢}{٨}$ = ٢٤ سهماً.

والباقي ١٣٦ سهماً

للبنت $\frac{١٣٦\times١}{٨}$ = ١٧ سهماً.

للإبن ١٧ × ٢ أو $\frac{١٣٦\times٢}{٨}$ = ٣٤ سهماً.

مسألة أخرى

إذا ترك الميت امرأة وأخوين:
للمرأة الربع سهم.
وللأخوين ما بقي ثلاثة سهام لا تقسم عليهما فنضرب أصل المسألة بعد الباقي أي الأخوين ٤×٢ =٨.
فيكون للزوجة سهمان والباقي ستة سهام لكل أخ ثلاثة سهام.

ـ إذا لم تنقسم سهام فريقين أو أكثر فاضرب أحد الفريقين في الآخر ثم ما اجتمع في الفريق الثالث ثم ما اجتمع في أصل المسألة حتى يقسم.

ـ إذا كان أحد العددين جزءاً من الآخر أغنى الأكثر عن الأقل كأربع نسوة وأخوين، إذا ضربت الأربعة أجزأك عن الأخوين.

ـ إذا وافق أحد العددين الآخر ضربت وفق أحدهما في جميع الآخر ثم ما اجتمع في أصل المسألة كاربع نسوة وأخت وستة أعمام.

فالستة توافق الأربعة بالنصف فاضرب نصف أحدهما في جميع الآخر، ثم ما اجتمع في أصل المسألة تكون ثمانية وأربعين ومنها تصح.

فإذا صحت المسألة فاضرب سهام كل وارث في التركة ثم إقسم ما اجتمع على ما صحَّت منه الفريضة يخرج حق ذلك الوارث.

ـ إذا لم تقسم التركة حتى مات أحد الورثة فإن كان ما يصيبه من الميت الأول ينقسم على ورثته فقد صحت المسألتان مما صحَّت الأولى، وإن لم ينقسم صححت فريضة الميت الثاني بالطريقة التي ذكرناها ثم ضربت إحدى المسألتين في الأخرى، إن لم يكن بين سهام الميت الثاني، وما صحت منه فريضته موافقة.

فإن كان بينهما موافقة فاضرب المسألة الثانية في الأولى، فما اجتمع صحت منه المسألتان. وكل من له شيء من المسألة الأولى مضروب في وفق المسألة الثانية ومن كان له شيء من المسألة الثانية مضروب في وقف تركة الميت الثاني وإذا صحت مسألة المناسخة وأردت معرفة ما يصيب كل واحد من حبات الدرهم قسمت ما صحت منه المسألة على ثمانية وأربعين، فما خرج أخذت له من سهام كل وارث حبة.

فهرس

الفصل الثامن : نفي الزنا

الفصل التاسع : نفي الكبائر

الفصل العاشر : إيجاب الطاعات

الفصل الحادي عشر : إيجاب الفرائض (أحكام المواريث)